الزمن واللغة

د: مالك يوسف المطلبي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٦

الإهـــداء

إلى الحلفـــاية . . مدينتى

وإلى نحويِّها المجهول . .

أبى،

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة

بدأ اهتمامي بموضوع « الزمن فى اللغة العربية » منذ ان تهيأت لى دراسة « التركيب الشرطى » فى العربية ، وتطبيقاته فى أحد المستويات اللغوية المعاصرة ، فقد لاحظت انه موضوع يثير تساؤلات متنوعة ومعقدة فى آن واحـد ، كمـا ان الاجابات التى قدمها الباحثون ، من القدماء والمعاصرين ، التى وقعت عليها ، جاءت مبتسرة ، ومتناقضة فى أكثرها • وقد اغرتنى هذه الحواجز باجتيازها غير أن الصعوبة لا يمكن ان تدرك الا بعد ان تعاش •

لقد جرنى البحث فى زمن اللغـة العربيـة الى الوقوف أمام أكثر الظواهر اللغوية تشعبا ، والتى تكون ما يمكن أن نطلق عليه شبكة معقدة من الأشكال والعلاقات ، تبدأ من المورفيمات فالصيغ فالمركبات بوصفها بنى لغوية صرفية من جهة ، ونحوية من جهة أخرى • وتنتهى الى النظر فى « المعنى » وعلاقته بـ « الزمن » ، سواء أكان ذلك المعنى على صعيد « المعجم » ، أم على صعيد معنى الصيغة المفـردة ، أم على صعيد الدلالة النحوية •

كما أن الأسئلة التى تثار هنا كثيرة : هل الصيغة هى المعبر عن الزمن فى اللغة العربية ؟ وهل هى الصيغة الفعلية حسب ؟ واذا كانت كذلك ، فما أثر الصيغ التى تنقل الى الفعلية ؟ ثم هل التعبير عن الزمن بالصيغة يتم خارج السياق وداخله بمستـوى واحد ، أو بمستـويات متباينة ؟ وهل هنـاك علاقة لنوع الجملة بالزمن ؟ هل تفقد الصيـغ اتجاهاتها الزمنية داخل الجملة الشرطية مثلا ، لأن الزمن قد حددته سلفا طبيعة تلك الجملة ، من غير ان يكون لتغاير الصيغ أثر فى تعيين حدود الزمن ؟ وهل الزمن فى العربية يتأثر بنوع الأسـلوب من حيث كونه انشائيا أو خبريا ؟ •

ثم ان الأمر لم يقتصر على ادراك ظاهرة الزمن فى اللغة العربية وتفريعاتها بالنظر الى تلك اللغة بكونها لغة ذات بنية جاهزة للوصف ، بل بالنظر اليها أيضا بكونها لغة تاريخية تنماز بتعدد مستوياتها اللغوية . وتلك أهم معضلة تواجه بحوثا من هذا النوع ، تعنى بـ « المدلول » ••

« والدال » فى آن واحد ، اذ ينبغي للباحث أن يحدد « اللغة » التى يمده نظامها ب « الفروق النحوية » ٠

ان اللغة العربية فيما يمكن تصنيفه لأغراض التحليل ، تتمثل فى ثلاثة مستويات تاريخية :

١ ــ العربية بكونها جزءا من عائلة اللغات التى سميت « اللغات السامية » ويمكن ان نطلق عليها « العربية التاريخية » ٠

٢ ــ « العربية الفصيحة » وهى تسمية نختارها لتقابل العربية التاريخية : وهى التى سميت « العربية الحديثة » و « العربية الموحدة » لغة القرآن وكلام العرب وشعرهم ٠

٣ ــ « العربية المعاصرة » : وهى العربية التى تلت الفصيحة وكونها نتــاج القرون المتأخرة ، حيث تزداد الشقة اتســاعا بين هذه العربية والعربية الفصيحة كلما تقدم الزمن ٠ وهذه العلاقة الطردية ، على لغة الرياضة ، بين الزمن واتساع الشقة لا تتعلق ب « مفردات المعجم » وتطور المعنى فيها ٠ فأمر مثل هذا من طبيعة اللغات البشرية ، وله قوانينه اللغوية الموضوعية والذاتية ، بل الأمر يتعلق بالتراكيب النحوية حيث نشأ ما يمكن أن نسميه « معضلة ابن السايقة » ٠

ان العربية الفصيحة فقدت سليقيها ، ان صح ان نقول ذلك ، منذ أن بدأ (التركيب) فى العربية يعبر عن تعددية فى المعنى ، ليس مصدرها التركيب نفسه ، بل ما يحمل من معان مصدرها التباعد بين اللغة وسليقيها ٠

فى عصرنا هذا أصبح احساسنا بالفروق النحوية فى العربيــة الفصيحة ضعيفا ، بحيث يمكن ادراك هذا الضعف بادراك قوة احساس المتكلم بالفروق النحوية فى العاميــة التى تستقر فى عقولنــا أبنيتهــا ونظامها ودلالاتها ٠

ولما كنا نناقش موضوع الزمن فى العربية الفصيحة ، لزم اعادة النظر فى المادة اللغوية القديمة ، أى لزم اعادة الاستقراء ، كما لزم مناقشة المنهج والتفصيلات معا ٠ كما أن تداخل المستويات اللغوية فرض علينا أن نتصل أحيانا ب « ظواهر لغوية » فى العربية التاريخية تارة ، والعربية المعاصرة تارة أخرى ، معرجين على ظواهر فى اللهجات العامية العربية حيثما اقتضى الأمر مقارنة وتوضيحا ٠

وبعد ...

فهذا مؤلف يعرض لموضوع فيه طرافة وجدة ، قد يرد عليها غير المتخصصين .

وهو ثمرة تمازج المنهج اللغوى المعاصر والنظر اللغوى القديم . وقد يرد عليه المتخصصون . وما أرجوه ، فى كل حال ، أن يكون وردا مستساغا . والله من وراء القصد .

د . مالك المطلبى

الزمن اللغوى
المصطلح

حاول كثير من الباحثين المعاصرين ، العرب خاصة ، عبر بحوثهم فى تخليص المنهج اللغوى من سيطرة الاتجاه العقلى التحليلى ، أن يفرقوا بين ثلاثة أنواع زمنية : الزمن الفلسفى المنطقى ، والزمن التقـويمى الفلكى ، والزمن اللغوى . يقول الدكتور مهدى المخزومى : « لم ينجحوا ـ النحاة القدماء ـ فى تصـور أن الزمن النحـوى ، ليس كالزمن الفلسفى » (١) . ويقول الدكتور تمام حسان : « ينبغى أن نفرق بين الزمن النحوى والزمان » (٢) فكأن ذلك كان مقدمة لتحديد مفهوم الزمن اللغوى . يعرف الدكتور المخزومى مفهوم الزمن اللغوى بأنه : « صيغ تدل على وقوع أحداث فى مجالات زمنية مختلفة ، ترتبط ارتباطا كليا بالعلاقات الزمنية عند المتكلم » (٣) .

ان المدقق فى التعريف السابق يجد أن الدكتور المخزومى لم يحدد مفهوم الزمن اللغوى بل حدد أدواته أو وسائله . أما محاولة التفريق بين مفهوم الزمن ووسائله فنجدها واضحة فى تعريف الدكتور تمام حسان ، الذى لم يكتف بذلك ، بل فرق فى الزمن اللغوى بين مفهومين : مفهوم الزمن الصرفى ومفهوم الزمن النحوى (٤) ، ان مفهوم الزمن الصرفى عنده هو وظيفة الصيغة (الفعلية) المفردة (٥) . أما مفهوم الزمن النحوى فعنده « وظيفة فى السـياق . يؤديهـا الفعل أو الصفة ... الخ » (٦) .

---

(١) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤٧ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ . وسنعرض لدلالة مصطلح الزمان عند الدكتور تمام حسان فيما سيأتى من هذا البحث .

(٣) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤٥ .

(٤) سنفصل فى بحث مفهومات الزمن اللغوى فى مواضعها فى مباحث الزمن الصرفى والزمن النحوى والزمن الدلالى .

(٥) انظر اللغة العربية معناها ومبناها :١٠٧ .

(٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ .

لقد صدر الباحثون اللغويون فى قضية التفريق بين المفهومات الزمنية ومن ثم بين المصطلحات الزمنية عن مصطلحى الانجليزية Tense وهـو مصطلح يدل على الزمن اللغوى من حيث كونه صيغا ذوات دلالات زمنية ، و Time وهو زمن الوجود ٠

ولقد ظهر ذلك الصدور جليا فى اشارة الدكتور كمال بشر الى وجوب التفريق بين الزمن الفلسفى Time والزمن اللغوى Tense (٧) ٠ وكان قد وضع الزمن المنطقى مرادفا لـ Time (٨) ٠

وفى ضوء ما تقدم ينبغى لنا أن نعيد النظر فى نوعين من الأنواع الزمنية بازاء الزمن اللغوى ، بغية تحديد :

(أ) طبيعة الزمن اللغوى ٠

(ب) مفهومه ٠

(جـ) أدواته ٠

والنوعان هما : الزمن الفلسفى والزمن الفلكى (٩) ٠

ان الزمن الفلسفى ليس ، فى جوهره ، زمنا بل هو النظر فى الزمن داخل الوجود المادى أو خارجه ، أعنى الوجود المتصور ٠ ومادام نظرا عقليا فهو محل خلاف ، فتارة يكون مثالا ذهنيا تجريديا وتارة يكون حقيقة تكاد تقترب من التشخيص ٠ وبعبارة أخرى قد يكون وجودا وقد يكون عدما ٠ وعدمية الزمن قال بها : « نفاة الزمان : الزمان منه ماض وليس بموجود ومنه مستقبل ليس بموجود ٠٠ فأما الحاضر فمتقض ، فاذا بطل أن يوجد بعد أو فى الحاضر لاستحالة وجـــوده الآن فالزمان لا وجود له » (١٠) ٠ وعلى عبارة برجسون Bergson : « الزمن اختراع ، أو هو لا شىء على الاطلاق » (١١) ٠

أما الزمن الفلكى : فهو آلة قياس الانسان الأحداث والخبرات ـ كما أن المسطرة آلة قياس المسافة أو المكان ـ أو هو ذلك القسم من الوجود

---

(٧) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية ،مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤٥ ٠

(٨) المصدر السابق ، المقالة نفسها : ١٤ : ٤٥ ٠

(٩) اكتفينـا بـ : نوعى الزمن هذين لاحتكاكهما بفكرة الزمن اللغوى سلبا أو ايجابا كما سنعرض لذلك٠ وقد تجاوزنا الزمن الأدبى والزمن العـــلمى لكونهما تعبيرا عن ظاهرتين اخريين ٠ والزمن النفسى لكونه تعبيرا عن حس فردى والزمن الفسيولوجى لكونه تبـــدلا فى الأشياء وليس تعبيرا عنها ٠

(١٠) الزمان فى الفكر الدينى : ٨٩ ٠

(١١) الزمن فى الأدب : ٧٦ ٠

الذى « يخضع للزمان ويجرى فيه كأحداث الطبيعة والتاريخ » (١٢) . ولهذا لابد لنا من تجسيم هذا الزمن أو تأطيره ليكون محسوسا ، فنحن « مضطرون الى ربط أعمارنا بالساعة ، لأننا مغرقون فى دوام المادة ، والساعة تقيس أحد أبعاد هذه المادة » (١٣) .

وعلى هذا فان كلا الزمنين الفلسفى والفلكى زمن موضوعى أى مستقل عن خبراتنا الشخصية . غير ان جوهر افتراقهما يكمن فى كون ما سمى ب « الزمن الفلسفى » نظرا فى الزمن ، و « الزمن الفلكى » هو الزمن ذاته . وعلى هذا فان أبعاد الزمن الفلسفى غير محددة بالوجود المادى ، على العكس من الزمن الفلكى ، الذى هو سجل طويل يمتد الى أعماق سحيقة فى الوجود المكتشف فقط .

واذا كان من الطبيعى أن يكون لكل نوع زمنى وسائله للنظر فى الزمن الفلسفى والتقويم فى الزمن الفلكى والصيغ فى الزمن اللغوى فان السؤال الذى يمكن أن يثار هنا هو : ما الأمور التى تشترك فيها هذه الأنواع ؟

لقد توفر البحث اللغوى ، القديم والمعاصر ، على جانب تطبيقى لالتقاء مفهومى الزمن الفلسفى والزمن اللغوى . فقد نظر بعض النحاة الى أقسام الزمن اللغوى وكأنها أقسام الزمن الفلسفى . فنفوا فى جانب المنطق وجود الزمن الحاضر ونفوا فى جانب اللغة وجود صيغة لهذا الزمن . غير أن ذلك الملحظ سيمتد بالضرورة الى نفى صيغتى المستقبل والماضى لأن كليهما غير موجود ، كما أشير الى ذلك (١٤) . ووفق هذا تتنافر طبيعتا الزمن الفلسفى والزمن اللغوى ومن هذه الزاوية يمكن ان يوجه نقد الى المباحث التى حاولت أن تجعل الزمن اللغوى ذا طبيعة فلسفية .

غير أن التداخل بين مفهومى الزمن الفلسفى والزمن اللغوى يكمن فى قضية ما سمى ب الظروف (١٥) .

لقد درس النحاة الزمن والمكان النحويين تحت عنوان واحد فى قسم

---

(١٢) دراسات فى الفلسفة الوجودية : ٢٤١ .

(١٣) الانسان ذلك المجهول : ١٢٨ .

(١٤) ينظر ص ٩ الزمن اللغوى ، كما ستبحث هذه النقطة بالتفصيل فى الفصل الأخير من هذه الرسالة الذى يتناول حقل الزمن الحاضر .

(١٥) ينظر الفصل السابع من هذه الرسالة الذى عقد على دراسة الظرف .

المفعولات ـ المفعول فيه · لأن لهما وظيفة نحوية واحدة هي وعائية الحدث · والفرق بينهما فرق معجمي ليس غير ·

غير اننا نجد أن مفهوم « ظرف الزمان » يستقل عن مفهوم « ظرف المكان » في اللغة · وهذا أحد وجوه التوافق بين البحث الفلسفي والبحث اللغوي · لقد لاحظ فيلسوف معاصر هو كانت Kunt أن « الزمان أعم وأشمل من المسافة « المكان » لعلاقته بالعالم الداخلي للانطباعات والانفعالات والأفكار » (١٦) · وهذا النظر في فلسفة الزمان والمكان ، كان قد تردد شيء منه في النظر الى الزمن والمكان النحويين · فهذا سيبويه يقول وهو يعرض لمفهوم تعدى الفعل الى الزمان والمكان (١٧) : « الأماكن الى الأناسي ونحوهم أقرب والدهر ليس كذلك ، والاماكن لها جثة ، وانما الدهر مضى الليل فالنهار ، فهو الى الفعل أقرب » (١٨) ·

وقد وجد هذا الخلاف تطبيقا له في وقوع « ظرف المكان » خبرا عن جثة وامتناع وقوع « ظرف الزمان » خبرا عنها ·

فاذا انتقلنا الى البحث عن المشترك بين طبيعتي الزمن اللغوي والزمن الفلكي ، وجدنا انهما ينتميان الى طبيعة واحدة من حيث انهما ينطويان على أبعاد مكانية · فكما ان للزمن الفلكي أبعادا ، وكما انه زمن مجسم يقاس بآلات معينة ، فكذلك الزمن اللغوي : له أبعاد مكانية من قرب وبعد واستمرار وانقطاع ··· الخ ، وله آلات قياسه الخاصة به وهي الصيغ والمركبات وعبارة سيبويه في هذا المجال : « لأنك تفعل بالأماكن ما تفعل بالأزمنة » (١٩) · كما يشير في تحليلاته الى ناحية الأبعاد في الزمن اللغوي ، يقول : « وأما « مذ » فتكون ابتداء غاية الأيام والأحيان كما كانت « من » فيما ذكرت لك » (٢٠) أي لابتداء الغاية في الأماكن (٢١) ، وقد قدم العالمان النحويان الرضي وابن يعيش ملاحظات دقيقة في هذا الجانب ، سنتناولها بتفصيل ، في الفصل الذي نعقده على دراسة حقل الزمن الحاضر في اللغة العربية ·

ان اطار الأبعاذ الذي ينتظم الزمنين اللغوي والفلكي يتمثل بالأقسام

---

(١٦) الزمن في الأدب : ٧ ·
(١٧) ينظر الكتاب ١ : ٣٤ ·
(١٨) الكتاب ١ : ٣٦ ، ٣٧ ·
(١٩) المصدر السابق : ١ : ٣٦ ·
(٢٠) المصدر نفسه : ٤ : ٢٢٦ ·
(٢١) نفسه : ٤ : ٢٢٤ ·

الزمنية التى يشتركان فيهـا : الماضى والحاضر والمسـتقبل ، وكلاهما يتجاوزان ما يعرف ، فى الزمن الفلسفى ، بـ « الزمن افانى » و «الزمن الأزلى » • كما أن كلا الزمنين يعنيان بتفريعات هذه الأقسام • والأجزاء التى تبدأ من ١٪ من الثانية حتى « العصر » الفلكى • والجهات فى الزمن اللغوى •

وخلاصة القول فى هذه النقطة أن اللغة تتعامل مع الزمن على أساس أنه قيمة محسوسة مقطعة الى خانات • وهو بذلك ، ذو طبيعة توقيتية أما مفهومه ووسائله فمما ستجيب عنهما هذه الرسالة فى مواضعهما ، اذ يكونان أحد أهدافها الأساسية •

وينعكس كل ما تقدم فى محاولتنا تقنين المصطلح الزمنى •

ان المصـطلح الأكثر رواجـا هو مصطلح الزمن أو الزمان • وهو مصطلح لم يرد لفظه فى القرآن الكريم قط ، كما انه لم يرد فى كتاب سيبويه باستثناء وروده فى سـياق عام ومنه قوله : فلما صار بمنزلة الوقت فى الزمن » (٢٢) وقوله : « وأما الوقت والساعات والأيام وما أشبه ذلك من الأزمنة والأحيان » (٢٣) •

وملاحظة النصين السابقين تهدينا الى ان دلالة كلمة « زمن » غير مستقرة عند سيبويه فهى تارة اطار للمقدار « الوقت » وتارة ترادفه « الوقت •• وما أشبه ذلك من الأزمنة » •

ان عدم رواج مصطلح « الزمن » عند سيبويه تمثل فى عدم استعماله التسمية التى راجت فى مباحث النحاة بصورة عامة أعنى مصطلح (ظرف الزمان) (والظروف الزمانية) • وقد أطلق بدلا منها تسمية « ظروف الدهر » (٢٤) ، ومن ذلك أيضـا قوله : « اذ وهى لما مضى من الدهر » (٢٥) و « اذا فلما يستقبل من الدهر » (٢٦) •

وكأن سيبويه كان يتفادى لفظة « زمن » ومشتقاتها ، ومن ضروب ذلك التفادى أيضا قوله « لا يكون (متى) الا للأيام والليالى » (٢٧)

---

(٢٢) الكتاب : ١ : ٣٦ •
(٢٣) المصدر السابق : ١ : ٤١٨ •
(٢٤) الكتاب : ١ : ٤١٩ •
(٢٥) الكتاب : ٤ : ٢٢٩ •
(٢٦) الكتاب : ٤ : ٢٣٢ •
(٢٧) المصدر السابق : ١ : ٢٢٠ •

وقوله « هذا ما يكون فيه المصدر حينا » (٢٨) وقوله : « ومما يختار ان يكون ظرفا • صفة الأحيان » (٢٩) • وفي المعجم تقع مادة « زمن » وشقيقتها « زمان » على معنى واحد • لسان العرب : « الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره » (٣٠) أما مادتا « دهر » و « زمان » فقد عرضتا مترادفتين تارة ومختلفتين أخرى • « قال شمر : الدهر والزمان واحد • قال أبو الهيثم أخطأ شمر • الزمان زمان الرطب والفاكهة ، وزمان الحر والبرد • قال والدهر لا ينقطع » (٣١) •

ولعل دلالة زمن أو زمان هذه أقرب الى طبيعة اللغة التى تقوم على زمن متفاوت أو زمن خاص وليس عاما • وعلى عبارة الخضرى : « قد يراد به (الزمن) قطعة من الوقت » (٣٢) •

والملاحظ أن كلمة « الزمان » وليس « الزمن » هى التى كانت سائدة فى مباحث النحاة القدماء ولا سيما فى تحليل بنية الفعل والظرف كانقول : « الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان • وقد يضيف قوم •• بزمان محصل » (٣٣) •

وكقول ابن مالك :

وقد ينـــوب عن مكان مصـــدر وذاك فى ظـرف الزمـــان يكثر

ويبدو مصطلح « الوقت » ألصق بدلالة الظرف الزمنى لأن الوقت « مقدار من الزمان » (٣٤) والظرف ، كما سنرى فى موضعه من هذه الرسالة ، هو مقدار من الزمن فى زمن الصيغة • غير أن سيبويه استعمل لفظ « الوقت » على أنه مقدار حسب أى ربما لا يكون فى الزمن بل قد يكون « فى المكان تشبيها بالوقت فى الزمان لأنه مقدار مثله فقال : ويتعدى

---

(٢٨) المصدر نفسه : ١ : ٢٢٢ •

(٢٩) نفسه : ١ : ٢٢٧ • وقد نجـــد تعليلا لعدم ورود لفظة زمن فى القرآن وفى مصطلحات سيبويه • فمادة زمن : ذات دلالة ســلبية • ومنهـــا رجل زمن أى مبتلى « والزمانة : العاهة • وزمن يزمن زمنا وزمنة وزمانة فهو زمن ، والجمع زمنون ، وزمين • والجمع زمنى لأنه جنس للبلايا التى يصابون بها ويدخلون فيها وهم لهـــا كارهون » انظر لسان العرب : ١٣ : ١٩٩ » •

(٣٠) لسان العرب : ١٣ : ١٩٩ •

(٣١) لسان العرب : ١٣ : ١٩٩ •

(٣٢) حاشية الخضرى : ١ : ١٩٦ •

(٣٣) شرح المفصل : ٧ : ٢ •

(٣٤) لسان العرب : ٢ : ١٠٧

الى ما كان وقتـا فى المكان كميـل وفرسـخ وبريد والجمع أوقات ومیقات » (٣٥) ٠

والخلاصة أن منهج النحاة فرض استعمال الفعل والصيغة وظرف الدهر وظرف الزمان ، لأنه لم يكن يعنى بدراسة الزمن دراسة مستقلة ٠

أما الباحثون المعاصرون ، فقـد راج عندهم استعمال مصطلح « الزمن » وأقل منه « الزمان » لأنهم نظروا الى موضوعه بكونه موضوعا نحويا مستقلا ، بعد أن كان منبثا فى أبواب الصرف والنحو : كما تشير الى ذلك عنوانات المباحث الآتيـة : « الزمن والجهة » (٣٦) و « الفكرة الزمنية » (٣٧) و « الزمن فى اللغة العربية » (٣٨) و « الفعل زمانه وابنيته » (٣٩) ، وأريد بهذا المصطلح وسائل اللغة فى التعبير عن الزمن وهى فى جوهرها الصيغ ٠

وكما أشرنا فى مفتتح هذا المبحث حاول معظم اللغويين المعاصرين من العرب أن يجدوا مصطلحين فى العربية يرادفان مصطلحى الانجليزية Tense و Time ٠ لكن المعضلة كانت تكمن فى أن مصطلح Tense يشير الى الصيغة التى هى أعم فى الدلالة الاصطلاحية عن الزمن ٠ وقد أحس الدكتور مهدى المخزومى بشيء من ذلك ٠ فكان عنوان مبحثه : « الصيغ الزمنية فى العربية » (٤٠) ٠ غير أن هذه التسمية فيما نرى ، ليست دقيقة ، لأنها كأنها تتضمن اشارة الى صيغ غير زمينـة والحق أن الصيغة فى العربية تندرج تحت القانون الآتى : (٤١) ٠

كل صيغة = لا زمن حتى يراد بها النص على ذلك ٠

وهو ما وماه الأستاذ حامد عبد القادر فجعل عنوان مبحثه « معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم » (٤٢) ٠

أما الدكتور تمام حسان فقد اقترح بهـذا الصدد مصطلحين :

---

(٣٥) لسان العرب : ٢ : ١٠٧ ٠

(٣٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤١ ٠

(٣٧) من أسرار اللغة : ١٦٥ ٠

(٣٨) مجلة مجمع اللغة العربية : ١٤ : ٣٧ ٠

(٣٩) ينظر مؤلف الدكتور ابراهيم السامرائى الذى يحمل هذا العنوان ٠

(٤٠) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤١ ٠

(٤١) ينظر فى تفصيل ذلك الفصلان اللذان سنعقدهما على دراسة (الزمن الصرفى) و (امكانات الصيغة) ٠

(٤٢) مجلة مجمع اللغة العربية : ١٠ : ٦٥ ٠

الأول : الزمن والثاني : الزمان • وجعل الأول يدخل في تحديد معنى الصيغ المفردة • وتحديد معنى الصيغ في السياق (٤٣) •

أما الثاني فعرفه بأنه : « كمية رياضية من كميات التوقيت تقاس بأطوال معينة » (٤٤) •

وأرى أن استعمال مصطلحين ، مختلفي الدلالة ينتميان الى مادة لغوية واحدة (٤٥) أمر يأباه منطق اللغة والمصطلح • وقد يسبب تداخلا دلاليا يناقض الغرض الذي جعل هذان المصطلحان غير مترادفين من أجله •

وواضح أن الدكتور تمام حسان كان يقصد بـ 'الزمان الوقت : لأن زمن الظرف ذو دلالة توقيتية لكنه تفادى استعمال مصطلح الوقت لتجنب تخطى المصطلح النحوى القديم ظرف الزمان • ولو وافقنا الدكتور تمام حسان ، جدلا ، على التفريق بين الزمن والزمان لكنا قد بحثنا في سبب عدم تضمن مبحثه « الزمن والجهة » اشارة الى الزمان الذي عده الدكتور تمام نفسه ركنا من ركنين ينهض عليهما الزمن في اللغة العربية (٤٦) . ولكان عنوان بحثه تبعا لهذا « الزمن والزمان والجهة » وهو أمر أظن أن الدكتور تماما لا يرتضيه •

كما أن تطبيق مقترح الدكتور تمام حسان على بعض المباحث المعاصرة في هذا الجانب سيثير معضلات منهجية في البحوث اللغوية المعاصرة ، فـ : زمان الفعل عند الدكتور ابراهيم السامرائي هو زمن الفعل عند الدكتور تمام حسان وعليه فان عنوان مؤلف الدكتور ابراهيم السامرائي وفق التحديد الدلالي للمصطلحات الزمنية التي اقترحها الدكتور تمام حسان ينبغي ان يكون « الفعل زمنه وأبنيته » •

ان المصطلح الذي يراه الباحث أجدر بالتبني ، في ضوء ما عرض له هذا التمهيد ، هو مصطلح الزمن وما يلحق به من ألفاظ تفيد في تحديد دلالته • كأن يدل على اطار عام فيقال الزمن في اللغة العربية أو الفكرة الزمنية ••• الخ • أو يدل على تفصيلات فيقال : زمن الفعل وزمن الصيغة والظرف الزمني ••• الخ •

---

(٤٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤١ ، ٢٤٢ •

(٤٤) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٢ •

(٤٥) ص ١١ من هذا الموضوع •

(٤٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤١ ، ٢٤٢ •

أما مصطلحات الأقسام : الماضى والحاضر والمستقبل ، والجهات : القرب والبعد والاستمرار ٠٠٠ الخ فسنعرض لها في مواضعها من هذه الرسالة بإزاء مصطلحات الصيغة التى تخرج الى دلالات متعددة ، الزمن واحد منها ٠ فمصطلح التام كما سنرى هو معنى صيغة (فعل) أما مصطلح الماضى فقد يلحق به ، ليكون لدينا فعل تام ماض أو فعل تام خال من الزمن ٠٠٠ الخ ٠ وكذا القول فى مصطلحى المضارع والطلب ٠٠ فهما مصطلحان تختص بهما صيغتا (يفعل) و (أفعل) يقابلهما فى النظر الى الناحية الزمنية مصطلحات الماضى والحاضر والمستقبل ٠

ومن المصطلحات التى سنتبناها في هذه الرسالة مصطلح المركب الزمنى الذى يتكون من الناحية الشكلية من (قرينة زمنية + صيغة فعلية) ك (كان فعل) و (سوف يفعل) و (كاد يفعل) ٠٠٠ الخ ٠

القسم الأول

الدراسة النظرية

مدخل الى مفهومات :

- الزمن الصرفى
- الزمن النحوى
- الزمن الدلالى

ينبغي لنا ، قبل البحث في زمن اللغة العربية ، البحث في البنية العامة لتلك اللغة ، التي يعد الزمن واحدا من مكوناتها ٠ وليس من هدف هذه الرسالة ، أن يكون بحثها ، في هذا الجانب ، مفصلا ، وهو أمر قد توفرت عليه عشرات المؤلفات والبحوث ، بل ما تقدم عليه ، هنا ، يهدف الى الكشف عن نقطة الزمن ، حين تستقر في محور اللغة ، في محاولة لايضاح طبيعته وتحديد وظيفته في اللغة العربية ٠

يعنى المنهج اللغوي ، بتحديد قطاعات اللغة ، لكي تتم الدراسة اللغوية من زاوية تحليلية ، تتسم بالتخصيص ٠

فاللغة Language ليست في اعتبار اللغوي ، الا أجزاء أو جوانب يمكن النظر اليها نظرا مستقلا ، في حين لا يحس المتكلم والمتلقي العاديان ، الا بكونها « وحـــدة مجتمعة في نظـــام متكامل وفي جملة ميكانيكية واحدة » (١) لا يتضح منها سوى سلسلة من الأصوات تتولد عنها المعاني بطريقة « تجري في سر كبير ، يشبه ، الى حد ما ،اتحاد المادة بالروح » (٢) ولم يكن هذا الأمر ، أعني تقسيم اللغة الى قطاعات ، بعيدا عن متناول البحث اللغوي العربي قديما ، بل لقد كان ملمحا متميزا في منهج ذلك البحث وأن تفحص الاطار العـــام لكتاب سيبويه يؤكد هذا الأمر فالكتاب يفضي الى ثلاثة أجزاء (٣) هي :

---

(١) الألسنية العربية : ط ١ / دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ١٩٧٢ : ٣ : ١ ٠

(٢) الألسنية العربية : ٢ : ٥ ٠

(٣) اذا تجاوزنا الصـــفحة الأولى من الكتاب ، التي تعرض لتقسيم الكلمات في العربية ، وتصريف الصيغ الفعلية باعتبـــار زمنها ، او « علم ما الكلم من العربية » على حد عنوان سيبويه ، الكتاب : ١ : ١٢ ٠ فان (الكتاب) يبدأ ببابه « مجاري أواخر الكلمات من العربية » الكتاب : ١ : ١٣ ٠ أي الحركات الاعرابية ، ويليه باب « المسند والمسند اليه » الكتاب : ١ : ٢٢ ٠ وهذا هو المدخل النحوي٠ويلاحظ أن تقسيم الكلمات وتصريف الصيغ باعتبار زمنها جاء تمهيدا لهذا المدخل ، ولم يرد تمهيدا للمدخل الصرفي ٠ أي أن مايسمى اليوم بـ (مباني التقسيم ومبـاني التصريف الفعلي (زمنيا) وهما مبنيان صرفيان عند بعض المعاصرين ٠ / انظر : اللغة العربية معنـاها ومبناها : ٨٣ و ٨٤ ٠ / قد جعلهما (سيبويه) رأس دراسته النحوية وقد جعل الرضي ، الذي فصل بين النحو والصرف فصلا تاما ، فصار لكل موضوع منهما ، لديه ، مؤلف مســتقل وهما (شرح الكافية في النحو) و (شرح الشافية في الصرف) ، أقول قد جعل الرضي مبنى التقسيم ومبنى التصريف الزمني للصيغ على رأس موضوعاته النحوية ، اما في كتابه في الصرف (الشافية) فلم يعرض لهمـــا قط ٠ لاحظ موضـــوعات الجزء الأول من (الشافية) : (« أنواع الأبنية » ، « الميزان الصرفي » ٠ « أبنية الفعل الماضي المجرد » ٠ « أبنيـــة الفعـل الماضي المزيد » و « أبنيـــة المضارع وأبوابه » ٠ وهو أمر يتطابق مع ما جاء به (الكتاب) حين عرض لبناء الأفعال في جزئه الرابع / ينظر الكتاب : ٤ : ٥ ٠ ان هذا المنحى المنهجي ، المتمثل بعلاقة الموضوع =

١ ـ فى النحو أو التركيب أو بناء الجملة Syntex ·

٢ ـ فى الصرف أو بناء المفردة Morphology ·

٣ ـ فى الأصوات Phonetices, Phonology (٤) ·

ويحتاج الكتاب لكى يشتمل على جوانب اللغـــة كلها ، الى جانب آخر ، يضيفه علم اللغة Linguistics الى هذه الجوانب الثـــلاثة : النحو والصرف والأصوات ، وهو جانب الدلالة Semantices (٥) الذى ينطوى ، فيما ينطوى ، على الدراسات المعجمية (٦) · على أنه ينبغى أن نقـول هنـا أن هـذا التقسـيم الرباعى ليس ثابتا فهنـاك من يوسع فيه ، فيرى ان « فك البناء اللغوى يفضى الى الجوانب الصوتية والمعجمية أو اللغوية والصرفية أو التصريفية ، والنحوية والجملية وأخيرا دراسة الأساليب » ·

اذا أمكننا الآن ، أن نتصور ان اللغة بناء ذو أربعة طوابق ، يمكن بالتحليل اللغوى وضع حدود بينها ، فان السؤال الذى يثار هنا ، هو :

= بقطاعه اللغوى يعكس ، عند النحاة القدماء ، قضية اساسية فى موضوع الزمن اللغوى تتمثل بأن الزمن الصرفى هو نفســه الزمن النحـوى ، أو بعباره أخرى أن الزمن الذى تدل عليه الصيغة خارج السياق ، يمتد ، بدلالته نفسها ، داخل السياق ·

أما الدراسة الصرفية التى اشتمل عليها(الكتاب) فقد عرض لها فى منتصف جزئه الثالث ، حيث تبدأ الدراسة الصرفية ب « باب التثنيـــــة والجمع » / ينظر (الكتاب) : ٣ : ٣٨٩ · و « باب بناء الأفعال » الكتاب : ٤ : ٥ · و « الباب الذى يسميه النحويون التصريف » / الكتاب ٤ : ٢٤٢ · وتستغرق الدراسة الصرفية نصف الجزء الثالث والجزء الرابع عدا الصفحات الأخيرة التى استغرقها الدراســـة الصــوتية التى دوّنها « باب عدد حروف العربية ومخارجهـــا » /ينظر : الكتاب : ٤ : ٤٣١ ·

(٤) المدخل الى علم اللغة : ط١/ دار الثقافة للطباعة والنشر / القاهرة ـ ١٩٧٦ : ٦٧ · ويلاحظ على تقسيم (سيبويه) انه ينطلق من الكلى ـ النحـــو ـ الى الجزئى ـ الصوت ـ فى حين يلاحظ على التقسيمات المعاصرة ميلها الى دراسة اللغة من الجزئى الى الكلى ·

(٥) المدخل الى علم اللغة : ٦٧ ·

(٦) المصدر السابق : ٨٢ · ويلاحظ فى مجال الدراسات العربية القديمة ، ان علم الدلالة كان فرعا استقل به دارسون تخصصوا فى جمع المادة اللغـــوية عن طريق الاستقراء ، ووضعوا ذلك فى طائفة من الرسائل أو الموضوعات التى تدور فى مجال دلالى محدد ، كموضوعات الابل والخيل والانسان ٠٠ الخ · / وينظر : نظرية النحو العربى / الهامش ١٣ و ١٤ ·

أين يكمن الزمن فى اللغة العربية ؟ أهو ذو خاصية صرفية ، تعبر عنه صيغ Tenses ثابتة فى الجدول الصرفى ؟ أو انه نحوى لا يمكن تعيين حدوده وجهاته الا من خلال معطيات السياق وتشابك القرائن فيه ؟ أم هو مادة غير مستقرة فى بنية العربية ولا يعدو أن يكون وقتا Time معلوما بالدلالة التى تنص عليه نصا ، من خلال معنى المفردة المعجمى والمعنى الزمنى الذى يترشح عن التركيب ، والمعنى الذى يشتمل عليه سياق الحال Contex of situation وبذلك يخرج الزمن فى العربية من سمة النمطية ؟

لنرمز لحقول اللغة بما يأتى :

الصوت : ص

الصرف : ف

النحـــو : ن

الدلالـة : د

فاذا رمزنا للزمن اللغـــوى ب (ز) ، فسيكون لدينا المخطط الآتى :

ص	ف	ن	د
ز	ز	ز	ز

وأول ما نقوم به هو طرح الحقل (ص) الذى يضـــم الوحدات الصوتيـــة Phonemes ، وذلك لأننا نعرض للعربية الفصيحة التى فقدنا الاتصال بنظامها الصوتى باستثناء قضايا يسيرة لا تقـــدم شيئا يذكر فى هذا المجال (٧) ، وهكذا يلتئم (ز) مع الحقول الثلاثة :

ف	ن	د
ز	ز	ز

واذن ينبغى أن نعرض للمعضلات التظرية التى واجهت ارتباط الزمن باللغة ، ولا تزال تواجهه ، تلك المعضلات التى تتفرع عنها أمور تتصل بالمنهج اللغوى القديم والحديث ، وبعبارة أخرى ينبغى لنـــا أن

---

(٧) الملحظ الذى يعبر عن احتكاك الزمن اللغوى بالصوت اللغوى فى العامية يتمثل بما نتجة (الكمية) الصوتية من دلالة عامة ودلالة زمنية ، فالفعل (راح) تشعر استطالة صوت المد فيه (الألف) بطول المده الزمنية التى مرت على حدوث ذهابه أو بان الحدث انقطع فى الماضى ، أى يشعر بالماضى البعيد .

نحدد منطلقا لدراسة الزمن فى اللغة العربية ، لكى يجوز لنا الانتقال الى دراسة جوانبه التطبيقية ، وهو أمر لم يعن به كثير من الباحثين ، كما سنرى ، الأمر الذى أدى الى اضطراب العلاقة بين الأشكال الزمنية والدلالات الموضوعة بازائها ٠

يمكن توزيع الآراء التى انتظمت مناقشات الباحثين فى زمن اللغة العربية على ما يأتى :

١ ـ ننطوى بنية اللغة العربية على صيغ Tenses تعبر عن أقسام الزمن وجهاته Aspects ٠ وهى غنية بهـــذه الصيغ فى مستواها الصرفى ، كما هى الحال فى اللغات (الهندو أوربية) ٠

٢ ـ نفتقر العربية الى وجود هذه الصيغ ، أو أن الصيغ التى تعبر عن الزمن فى العربية لا تتعدى الصيغتين ٠

٣ ـ العربية غنية بالصيغ الزمنية داخل السياق ، وليس خارجه ، ومنهج النحاة القدماء الذى ربط الزمن بالصيغة ربطا صرفيا ، ولم يجعله سياقيا هو الذى أوهم بافتقار العربية الى تلك الصيغ الزمنية ٠

٤ ـ العربية غنية بالزمن فى أساليبها العامة ، أى فى نظامها الدلالى ، وليس فى صيغها الصرفية واتجاهات تلك الصيغ نحويا ٠

وستحاول هذه الرسالة ، فى قسمها الأول ، أعنى قسمها النظرى ، من خلال مناقشة تلك الآراء ، الكشف عن سمات زمن اللغة العربية ، وتحديد طبيعته فيها ٠

الزمن الصرفى

يردد فى معظم المباحث أن صيغة (فعل) تشير الى الزمن الماضى ، وأن صيغتي (يفعل) و (افعل) تشيران الى الحـــاضر والمستقبل · ولما كان النظـــام الصرفى يقـــدم الى السياق قوالب Patterns تحمل اليه سماتها الدلالية ، فان صيغة فعل مثلا ، التى تعين الماضى فيها بـ « البناء »(١) ينبغى أن نحـــافظ على تلك الدلالة الزمنية حين تنتقل الى السياق (٢) · ومن هنـــا دمع سيبويه الصيغ الفعلية الى الســـياق محققا اختيارا ضـــمنيا لصحة دلالاتها على أزمانها التى قررها فى مفتتح كتابه(٣) · قال : « فأما المستقيم الحسن فقولك : « أتيتك أمس » و « سأتيك غدا » · وأما المحال فان تنقض أول كلامك بآخره فتقول : « أتيتك غدا »(٤) ·

على هذا تتضمن بنية الفعل اشارة الى جهة زمنية محددة ولما كان الظروف قد تووضع عليه ، أصلا ، لتعيين جهة زمنية محددة ، أمكن اختبار جهة زمن الفعل به ، وهذا هو الذى فعله سيبويه مضيفا اليه نقل الفعل الى نطاق الاسناد ، أى الى الجملة ، لتقرر بذلك العـــلاقة بين الصرف والنحو · ويمكن وضع تحليل سيبويه على الوجه الآتى :

١ ـ الصيغة فى مجالها الصرفى أى فى مجال بنائها الافرادى ، وهو قوله : « فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث » (٥) ·

٢ ـ الصيغة فى مجالها السياقى وهو قوله : « أتيتك أمس »(٦) ·

---

(١) الخصائص : ط ٢ ، دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت ·· ت : ٣ : ٩٨ ·

(٢) قد يقدم القالب عدة معان الى السياق · مثال ذلك ما يقدمه (استفعل) من معانى الطلب والصيرورة والقوة والمصادفة ·· الخ غير أن قالب الصيغة الزمنية يتميز بكونه يعبر عن دلالة واحدة هى الزمن فى قسم من أقسامه · ينظر شذا العرف فى فن الصرف : ط ١٨ / مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ـ القاهرة ١٩٧١ ·

(٣) ينظر الكتاب : ١ : ١٢ ·

(٤) الكتاب : ١ : ٢٥ ·

(٥) الكتاب : ١ : ١٢ ·

(٦) المصدر السابق : ١ : ٢٥ ·

أى أن الزمن يبتدىء بالصيغة ويستمر بها ٠

وقد حاول الدكتور تمام حسان من المعاصرين بازاء تغاير الدلالة الزمنية للصيغة حين تنتقل من مجالها الصرفى الى مجالها السياقى أن يجعل للصيغة الواحدة زمنين : زمنا صرفيا وآخر نحويا ، وعلى عبارته : « يكون الزمن الصرفى ، قاصرا على معنى الصيغة ، يبدأ بها وينتهى بها ، ولا يكون لها عندما تدخل فى علاقات السياق (٧) ٠

ومثل هذا الأمر لا يمكن تصوره البتة ، اذ لا يمكن تصور صيغة مغلقة على نفسها فى اللغة ، تحتفظ بدلالة مستقلة خارج مجال الاستعمال ٠

وهكذا يتحدد المفهوم الصرفى للزمن بـ أن تعبر الصيغة عن زمن ما فى مجالها الافرادى ، وتستمر فى التعبير عنه هو فى مجالها التركيبى ٠ والمعادلة التى ينتجها هذا المفهوم هى : شكل الصيغة = الزمن ٠

وان هذا الشكل يتغير فيتغير معه الزمن ، فتنشأ بذلك أقسام الزمن اللغوى ٠ ان سمة التصريف الفعلى (فعل ، يفعل ، افعل) انما تحققت فى اللغة لأن الزمن ليس قسما واحدا ٠ وهذا هو معنى عبارة (ابن يعيش) : « ان أصل الأفعال أن تكون متصرفة من حيث كانت منقسمة بأقسام الزمان » (٨) ولقد ترددت مقولة شكل الصيغة = الزمن ، وكأنها واحدة من المقولات الأساسية التى تنطوى عليها بنية العربية ، ففى مفتتح الكتاب حللت الصيغة الفعلية الى عنصرى المادة والبناء ـ الشكل ـ على النحو الآتى :

مادة الاشتقاق　　　　شكل الصيغة

↓　　　　↓

« ألفاظ أخذت من أحداث الأسماء »(٩) ٠

« وبنيت لما مضى ولما يكون وما هو كائن »(٩)

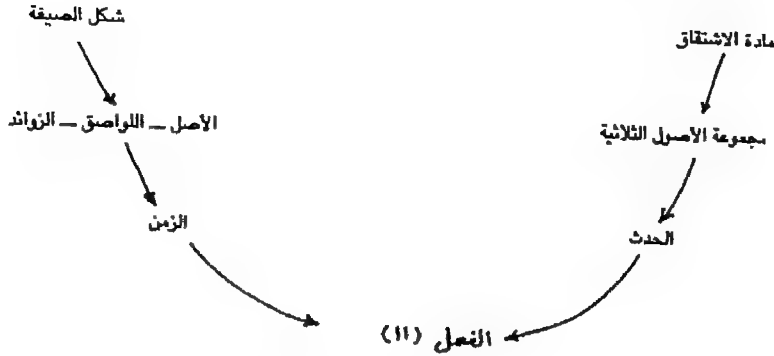
(٧) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٢ ٠

(٨) شرح المفصل : ٧ : ١١٦ ٠

(٩) الكتاب : ١ : ٢ ٠

وقد وجد هذا التحليل صداه فى البحوث التالية :

« الفعل ما دل على اقتران حدث بزمن »(١٠) ، كما انه لا يزال دائما فى مخططات المحدثين :



وتنطوى العربية من حيث أشكال صيغها الفعلية على ثلاثة : (فعل ويفعل وافعل) وعبارة سيبويه : « بنيت ــ الأفعال ــ لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع » (١٢) · ان سيبويه الذى يجعل المصادر أو أسماء الأحداث أصلا للاشتقاق ، يضـــع المسألة على الوجه الآتى :

اسم الحدث **يتحول الى** فعل · وهذا التحول يستند الى تغير فى البنية ، وما هذا التغير فى البنية الا اشارة الى الزمن ·

ان الفرق بين ضَرَبَ وضَرْب يكمن فى البناء فضرب بناؤه فعل · وضَرْب بناؤه فعْل .

ويرى سيبويه أن (ضرب) أخذ من لفظ (ضرْب) فهما المادة نفسها الا أن الفرق بينهما ، الذى ملحظه التحور البنائى ، الذى طـــرأ على المصدر ، يستند الى الزمن ·

ان أهم ميزة يختص بها الفعل ، تبعا لهذا ، ليست مادته فهذه مسألة وجدت فى المصـــدر بل ان ميزته تكمن فى أنه يعبر عن الزمن

---

(١٠) المفصل : ٢٤٣ ·
(١١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٤ ·
(١٢) الكتاب : ١ : ١٢ ·

فجوهر الفعـــل الزمنى (١٣) . وهكذا ـ ووفق هذا التحليل ـ قدمت الصيغ الثلاث :

(فعـــل) و (يفعـــل) و (افعـــل) باعتبارها الزمنى على رأس موضوعات النحو ، ودرست أبنية الفعل باعتبار دلالاتها غير الزمنية فى الجـــانب الصرفى وقد لاحظنـــا ذلك بتفصـــيل فى مدخل هـــذه الرسالة (١٤) .

ويبين الجدول الآتى أشكال الصيغ الزمنية والدلالات الموضوعة بازائها كما رآها النحاة :

الصيغة	الماضى	الحاضر	المستقبل
فعـــل			
يفعـــل			
افعـــل			

وهذا هو منتهى الزمن الصرفى للغة العربية . أما صيغة (فاعل) فقد اتفق على انها صيغة غير زمنية بالمفهوم الصرفى للزمن . ومن عدها فعلا ، وسماها الفعل الدائم ، وهم الكوفيون ، جعل ذلك لما لاحظه من امكانات الفعل فيها داخـــل التركيب . وقد تابعهم فى ذلك عدد من المعاصرين ، وعلى رأسهم الدكتور مهدى المخزومى الذى أفرد لصـــيغة (فاعـــل) قسما فى جدوله الزمنى . غير ان عبارته تنص على زمنية هـــذه الصيغة فى نطاق التركيب ، وليس فى نطاق الافراد : « فاعل كذا .. فاعل كذا » (١٥) . فالبحث فى صيغة (فاعل) والصيغ التى تنطوى على أحداث سيكون فى الفصل الثانى الذى نعقده على دراسة امكانات الصيغة .

أما تفريعات الأبنية الفعلية فقد نظر اليها فى المنهج النحوى القديم من زوايا أربع (١٦) .

(١٣) يستند هذا التحليل الى مجموعة آراء سيبويه / ينظر الكتاب : ١ : ١٢ .

(١٤) ينظر : ص ٢٠ و ٢١ من المدخل / الهامس رقم : ٣ .

(١٥) ينظر فى النحو العربى : نقد وتوجيه : ١٥٨ .

(١٦) ينظر فى تفصيل ذلك : الأشباه والنظائر : ٢ : ٩ .

(أ) زاوية شكلية ٠

(ب) زاوية دلاليـــة ٠

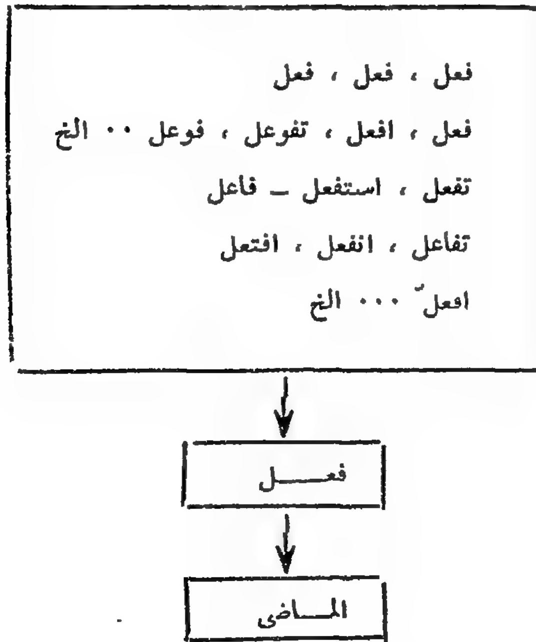
(جـ) زاوية تصريفية ٠

(د) زاوية صوتية ٠

ففى الزاوية الشكلية قسم الفعل باعتبار عناصر بنائه الى مجرد ومزيد ، وباعتبار حركة عينه الى مفتوحها ومضـــمومها ومكسورها ٠٠ الـــخ ٠

وفى الزاوية الدلالية الى ما يترشح عن أبنيته من معانى المطاوعة والتعدية والشدة والمشاركة والزمنية ٠٠ الخ ٠ وفى الزاوية التصريفية الى مستوى تصرفه وجمـوده ٠ وفى الزاوية الصوتية الى ما يطرأ على بنية الفعل من اعلا لوابدال وقلب ٠٠ الخ (١٧) ٠

واذا نظرنا فى المخطط الآتى ، أمكننا النظر الى الزمن من خـلال التفريع فى أبنية الفعل :



ان مجموع الصيغ فى المربع الكبير تتحد فى كونها صيغةً للماضى ، وتفترق كل واحدة عن الأخرى ، بما تحمله من دلالة أو عدة دلالات خاصة

(١٧) ينظر : شذا العرف فى فن الصرف : ٢٩ وما بعدها ٠

بها ، وهكذا صيغتا (يفعل) و (افعل) • يقول سيبويه : « فهـذه الأمثلة ـ الأفعال الثلاثة ـ لها أبنية كثيرة ستبين ان شاء الله » (١٨) •

ان هذه « الأبنية الكثيرة » ، التى هى تفريعات ، باعتبار الزمن ، للأبنية الرئيسية الثلاثة ، لم تكن سمة من سمات الفعل العربى حسب ، بل كانت سمة من سمات الفعل السامى ، كما يرى ذلك عالم اللغويات الفرنسى الاستاذ (فندريس) • يقول : « ندهش عند ما نرى فيها ـ اللغات السامية ـ هذه المجموعة الكبيرة من الوسائل للتعبير عما بين الفعل والفاعل من صلات : السببية ، والكثرة والشدة والتمنى والرجاء والأمر والمفاعلة والمطاوعة وكل هذه المصطلحات الفنية لا تزال تشير الى فصائل فى الفعل السامى » (١٩) •

على أن هذا الغنى فى تنوع أبنية الفعل السامى يقابله فقر فى أبنيته الزمنية وعلى عبارة فندريس : « ليس فى السامية المشتركة أية وسيلة للتمييز بين أزمنة الفعل المختلفة •• ويسيطر فيها التعبير عن الاستغراق لا التعبير عن الزمن »(٢٠) •

ولقد توالت اشارات النحاة القدماء بصورة تكاد تكون منتظمة ، تربط بين الصيغة الفعلية والزمن ربطا صرفيـــا(٢١) • وقد جعلوا الشواهد التى ساقوها تستند الى هذا الملحظ (٢٢) ، ويمكن أن نوجز محاولات البحث فى طبيعة الزمن الصرفى ووظيفته بما يأتى :

١ ـ البحث عند النحاة القدماء •

٢ ـ البحث عند اللغويين المعاصرين •

فى طبيعة الزمن الصرفى ووظيفته عند النحاة القدماء :

يستند الزمن فى اللغة العربية ، كما أشرنا الى ذلك فى مفتتح هذا الفصل ، الى مفهوم محدد وهو أن الصيغ الفعلية التى يتمثل فيها هذا الزمن ذات طبيعة صرفية ، أى أن دلالة الصيغ الصرفية على الزمن تمتد الى عمق النظام النحوى ، فصيغة الماضى خارج السياق هى ذاتها داخل السياق ، وكذلك صيغتا « يفعل » و « افعلّ » اللتـان تعينـان زمن الحاضر والمستقبل •

---

(١٨) الكتاب : ١ : ١٢ •

(١٩) اللغة : ١٣٦ •

(٢٠) اللغة : ١٣٦ و ١٣٧ • وسنعرض لقضية غنى العربية بالصيغ الزمنية أو فقرها فى المبحث الذى نعقده على دراسة الزمن الصرفى فى الدراسات المعاصرة •

(٢١) ينظر الأشباه والنظائر : ٢ : ١٠ •

(٢٢) ينظر الكتاب : ١ : ٢٥ والأصول فى النحو : ١ : ٤١ •

وقد سبقت الاشارة الى آن سيبويه الذى جعـــل الأبنية الفعلية باعتبار الزمن ، خارج السياق ، ثلاثة :

١ ــ لما مضى •

٢ ــ ولما يكون ولم يقع •

٣ ــ وما هو كائن لم ينقطع(٢٣) ، جعل تلك الصيغ الزمنية أساسا فى تحديد قياس الزمن اللغوى داخل السياق • فكأن الصيغة هى التى تحدد زمن السياق لا القرائن والملابسات •

فمثلا تعين صيغة الماضى (أتى) ظرفها الزمنى (أمس) • أو ما فى معنـاه من ظروف الزمن الماضى ، ليكون الكلام مســتقيما حسـنا • فاذا ائتلف ظرف آخـر ، مناقض لزمن الصــيغة ، مع الصــيغة ك (غدا) و « واتى » كان هناك خطأ فى التركيب ، لأن الصيغة لا يمكن أن نخطىء زمنيا لأنها هى الزمن فالخطأ اذن موجود فى الظرف ، بل ان اســتقرار صيغ الزمن الصرفى فى النظام النحوى ، لم يكن أمرا مسلما به عنــد النحاة حسب بل تعدى ذلك الى تفسير ظواهر اعرابية فى ضوء استقرار تلك الصيغ فى دلالتها على الزمن • ان سيبويه يعقد مقارنة بين صيغتى اسم الفاعل المنون والفعل المضارع • فصيغة اسم الفاعل المنون ينبغى أن ينحصر زمنها بالحاضر والمستقبل مطابقة لها مع صــــيغة المضارع وذلك « قولك « هذا ضارب زيدا غدا » فمعناه وعمله مثل : « هذا يضرب زيدا غدا » ، فاذا حدثت عن فعل فى حين وقوعه غير منقطع كان كذلك ، وتقول « هذا ضارب زيدا الســـاعة » فمعناه وعمله مثل : « هذا يضرب زيدا الساعة » (٢٤) • فاذا خرج الزمن الى الماضى عدمت المطابقة بين صيغتى اسم الفاعل والفعل المضارع لأن وجود ظرف يشــــير الى الأمس يفترض بالضرورة عدم وجود صيغة المضارع والا كان الكلام محالا على عبـــارة سيبويه (٢٥) قولك « هذا قاتل عمرو أمس » ولهذا السبب انكفأ اسم الفاعل عن العمـــــل فجر ما بعده « لخروجه من شبه الفعل المضـــارع معنى وعملا » على عبارة سيبويه (٢٦) • وان كون الكلام : « هذا قاتل عمرو أمس » مستقيما حسنا يجوز لنا أن نحول صيغة « قاتل » بدلالة الظرف « أمس » الى قتل ، كما يرى سيبويه ، وهو يبسط هذه المسألة فيقول « ولو قلت : « هذا ضارب عبد الله وزيدا » جاز على اضمار فعل أى « وضرب زيدا » ، وانما جاز هذا الاضمار لأن معنى الحديث فى قولك

---

(٢٣) الكتاب : ١ : ١٢ •

(٢٤) الكتاب : ١ : ١٦٤ •

(٢٥) الكتاب : ١ : ٢٥ •

(٢٦) المصدر السابق : ١ : ١٧١ •

« هذا ضارب زيدا » : « هذا ضرب زيدا » وان كان لا يعمل عمله » (٢٧) اذا نجاوزنا نظرية عمل اسم الفاعل اذا طابق المضارع ، واتكفائه عن العمل اذا طابق الماضى ، فاننا نستخلص أن سيبويه يتعامل مع صيغة زمنية ثابتة فى بنية العربية على المستويين الصرفى والنحوى ، وأن صيغا أخرى كصيغة « فاعل » ليس لها دلالة على الزمن فى المستوى الصرفى تتشرب الزمن ذاته فى المستوى النحوى . وكأننا هنا ، أمام نسق زمنى يتشكل على النحو الآتى :

ضارب + غدا = يضرب .
ضارب + الساعة = يضرب .
ضارب + أمس = ضرب .

اذن فالنحاة رأوا أن بنية العربية تنطوى على زمن ذى طبيعة صرفية ، كما رأوا أن « حكم الأفعال أن تأتى كلها بلفظ واحد لأنها لمعنى واحد ، غير أنه لما كان الغرض فى صناعتها أن تفيد أزمنتها خولف بين مثلها » (٢٨) « نحو : قام ويقوم وقم » (٢٩) أما انحراف الصيغ فى التعبير عن دلالتها الزمنية الصرفية عندما تتحول الى السياق ، فقد أجابوا عنه ، كلٌّ فى موضعه ، ولم يجدوا فى ذلك نقضا لطبيعة الزمن فى العربية ، بل لم يجدوا أنه حتى عندما نطرأ عليه هذه التغييرات ، ذو طبيعة تعددية .

ويوضح الجدول الآتى مقطعا من هذه البنية الزمنية :

	الصيغة	الزمن	القسم اللغوى
أ	فعل	الماضى	الصرف
ب	فعلت أمس / غدا (٣٠)	الماضى	النحو
ج	لما فعلت أمس	الماضى	النحو
د	ان فعلت غدا	المستقبل	النحو

(٢٧) المصدر نفسه : ١٧١ ، ١٧٢ .
(٢٨) الخصائص : ٣ : ٣٣١ .
(٢٩) التوطئة : ١١٤ .
(٣٠) هذا التركيب موهم ، ضربه سيبويه وسماه بالمحال ، ينظر الكتاب : ١ : ٢٥ ويتبين فيه أن الصيغة التى بنيت لما مضى تحافظ على دلالتها خارج الاستعمال وداخله ، ولا تنسجم الا مع ظرف ماضى .

ان الخطين ب و جـ فى الجدول ليسا الا صورة مكررة للخط أ • وبتطابق أ ، و ب ، و جـ يتطابق المستويان الصرفى والنحوى من حيث تعبير صيغهما عن الزمن • أما فى الخط د فتنحرف الصيغة الى المستقبل •

ان امتداد أ الى ب و جـ يعنى وجود الزمن الصرفى فى العربية • أو ائتلاف « ز » بـ « ف » • كما رمزنا له • أما انقطاع أ عن د فيعنى وجود الزمن النحوى فى العربية أو ائتلاف « ز » بـ « ن » • ويثير التناقض بين ب و جـ من جهة و د من جهة أخرى عدة أسئلة منها : هل الصيغة غير ثابتة فى دلالتها الزمنية داخل السياق ؟ وهل تتسم بنية العربية فيما يخص توزيع الصيغ الزمنية بعدم وجود نسق زمنى ؟ واذا كانت أشكال الصيغ تعبر عن دلالة زمنية واحدة فلماذا وجدت هذه الأشكال ؟

لقد قدم النحاة العرب جانبا من الاجابة ، وأسسوا عليه منهجهم فى زمن اللغة العربية ، اذ رأوا ، كما مر ، أن « حكم الأفعال أن تأتىَ كلها بلفظ واحد ، لأنها لمعنى واحد ، غير أنه لما كان الغرض فى صناعتها ان تفيد أزمنتها خولف بين مثلها » (٣١) •

ان الخلاف بين مثل الأفعال أو أشكال صيغها ، فسر عند النحاة تفسيرا زمنيا واستمر هذا التفسير قائما داخل السياق ، على الرغم من اضطراب حركة الصيغ فى التعبير عن الزمن فيه • وهكذا انطوى المنهج النحوى القديم على محاولات المواءمة بين المنطلق الأول ، وهو التفسير الزمنى لخلاف المثل ، والتغيرات التى تطرأ عليه داخل السياق •

أما اجابة الباحث عن الأسئلة السابقة فيرجئها حتى يعيد فحص الصيغة المنتجة للزمن فى العربية ، ويراقب حركتها فى المجال النحوى • وهو ما ستتكفل به الفصول القادمة من الرسالة •

لم تكتف تحليلات النحاة هنا بتوضيح طبيعة زمن اللغـة العربية ــ وهى الطبيعة الصرفية ــ بل ضمنت اشارة الى وظيفته ، فقد رأوا أن للزمن الصرفى وظيفة حاسمة ، تتمثل فى التفريق بين مبانى الكلم فى العربية ، فهو قرينة أو مميز يمكن به تنظيم أقسام تلك الكلم • ف « الفعل لفظ يدل على معنى فى نفسه ، ويتعرض ببنيته للزمان » (٣٢) • والاسم ــ سواء أكان اسم ذات أم اسم حدث ــ لفظ يدل على معنى فى نفسه ولا يتعرض ببنيته لزمان » (٣٣) • وقد صوره ابن مالك بذلك فى قوله :

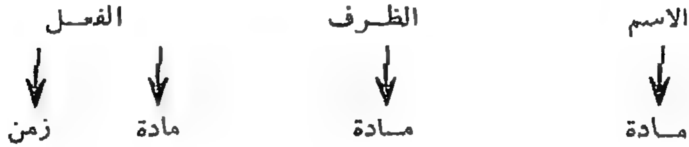
---

(٣١) الخصائص : ٣ : ٣٣١ •
(٣٢) المقرب : ١ : ٤٥ •
(٣٣) المقرب : ١ : ٤٥ •

المصــدر اسم ما ســوى الزمان من مدلولى الفعل ك « أمن » من « أمن » (٣٤) ويعنى ذلك عندهم أن الاسم عامة باعتبار الزمن قسيم الفعل ، واسم الحدث خاصة باعتبار الزمن ، قسيم الفعل ، وباعتبار المادة قسيمه ٠

وقد عرض النحاة للأسماء التى تدل دلالة معجمية على الوقت حين تؤدى فى السياق وظيفة تحديد زمن الصيغة أعنى « الظروف » ٠ فالفعل يفترق عن الاسم بالزمن الذى تتضمنه بنيته ، والظرف أساسا لا يشير الا الى الزمن ٠ فكيف يكون الظرف قسما فى الأسماء وقسيما للأفعال ؟

لقد وجدوا أن مادة الظرف مادة زمنية ، والمادة عنصر تطابق وليس عنصر تفريق بين الاسم والفعل كما يأتى :



أى أن بنى الظروف لا تشتمل على زمن البتة يقول ابن عصفور : « فان وجد من الأسماء ما يدل على زمان كأمس وغد فبذاته لا ببنيته » (٣٥)٠

وهكذا نخلص الى أن النحاة القدماء ، نظروا الى الزمن الصرفى ، من جهتى الطبيعة والوظيفة ٠

الزمن الصرفى فى المباحث المعاصرة : اذا انتقلنا الى المباحث المعاصرة وجدنا البحث فى الزمن الصرفى ، ينطوى على ملحظين :

الأول : الملحظ التاريخى : وفيــه عرض المستشرقــون والمعنيون بالدراسات المقارنة للصيغة الزمنيــة فى اللغة العربيــة ، فى اطارها التاريخى ٠

الثانى : الملحظ الوصفى : وانطوى على ملاحظات اللغويين العرب فى مفهوم الزمن الصرفى عامة ، والصيغ خاصة ، فى العربية الفصيحة ٠

---

(٣٤) شرح ابن عقيل :١٠ : ٤٧٢ ٠

(٣٥) المقرب : ١ : ٤٥ ٠

الملحظ التاريخي :

ينفي عالم اللغويات الفرنسي (جوزيف فندريس) أن يكون في « السامية المشتركة أية وسيلة للتمييز بين أزمة الفعل المختلفة » (٣٦) ويرى أنه لا يوجد من الزمن « بمعناه الحقيقي الا اثنان : التام وغير التام » (٣٧) .

ويفسر المستشرق الألماني كارل بروكلمان Brockelmann هذين المصطلحين : التام وغير التام ، على نحو يجردهما من الدلالة على الدقائق الزمنية المعهودة بهما في لغات أخرى . يقول :

« وتعبير الماضي Perfekt ، والمضارع Imperfekt هنا ليس له المعنى النحوي الموجود في اللغات « الهندوأوربية » ولكنه يحمل معناه الأصلي وهو : الحدث الذي انتهى والحدث الذي لم ينته بعد » (٣٨) .

ويرى المستشرق الايطالي (موسكاتي Moscati) أن اللغات السامية تخلو من صيغ أزمنة بالمعنى الصحيح ، أي صيغ خاصة تدل على حدوث الفعل في الحاضر او الماضي أو المستقبل (٣٩) وقد تناول المستشرق الألماني بول كراوس Paul ظاهرة الصيغ الزمنية في اللغات السامية تناولا تاريخيا . وقد خلص الى أنه في كل اللغات السامية كان (يفعل) موجودا غير مقيد بزمن ، ثم نشأ (فعل) بعد ذلك ، وبهذا انقسمت المادة اللغوية الفعلية الى اثنين ، فوزن (فعل) يطرد وزن (يفعل) من الماضي حتى يصير استعماله — أي يفعل — شيئا فشيئا مستقبلا فقط (٤٠) وقد استدل (كراوس) على رأيه هذا بأن وجد في كل جملة من الجمل العبرية القديمة مضارع الفعل اذا تقدمته واو فمعناه (فعل) ورأى في هذا دليلا على أن صيغة (يفعل) كانت مستعملة في الماضي — أي تعبر عن الزمن الماضي — ولم يبق من هذا الاستعمال القديم في العبرية الا الاستعمال الذي لا ينفصل عن الواو ، فكأن

---

(٣٦) اللغة : ١٣٦ .

(٣٧) المصدر السابق : ١٣٧ . غير أن الأستاذ بروكلمان يضيف ما يسميه « ازمنة ثانوية أخرى » وهي : « زمن ثالث للدلالة على الحدث المستمر Perrnansive في الآشورية . وزمن رابع وهو في السريانية ، حيث تنتج صيغة للتعبير عن الحاضر Present باتصال اسم الفاعل بالضمائر الشخصية التي تتعلق بآخره » / ينظر : فقه اللغات السامية : ١٢٢ .

(٣٨) فقه اللغات السامية : ١١٣ .

(٣٩) انظر : الحضارات السامية القديمة : ١٨٠

(٤٠) محاضرات في فقه اللغة : مخطوطة : ٢ .

المضارع القديم ، فى أوسع استعمال ، كان دليلا على زمن الماضى (٤١) وحين انتقل كراوس الى « البابلية » قرر أننا لا نجد وزن (فعل) أبدا ، ولا يوجد الا وزن (يفعل) اى ما نسميه المضارع ، وهذا المضارع لا يستعمل ، فى تلك اللغة ، الا للماضى (٤٢) ، واستند « برجشتراسر » الى الأسس نفسها حين انتهى الى أن نفى الماضى القديم فى العربية هو : « لم يفعل والحديث ما فعل » (٤٣) وهكذا يتردد عند أغلب المستشرقين وجود صيغة فعلية واحدة هى صيغة المضارع التى يسود الاعتقاد أنها كانت فى مدى قرون كثيرة تدل على جميع الأزمنة (٤٤) ومن ثم فهم ينتهون الى أن اللغات السامية لم تعن بتكوين الصيغ الزمنية ، ذلك لأن هذه الزمنية فى الصيغ ليست الا نتيجة تطور متأخر فى اللغة (٤٥) بل ان الأستاذ فندريس وفقا لهذا المنحى ينتهى الى أن « فكرة الزمن — فى اللغات السامية (٤٦) — قد أدخلت ، فى صورة عرجاء وبعد أن لم تكن موجودة على تصريف فعلى ، لم يكن قد هيىء لاستقبالها » (٤٧) وليس

---

(٤١) محاضرات فى فقه اللغة : مخطوطه : ٣٥ وقد جعل المستشرق « ولفنسون » هذه الصيغة « صيغة الماضى المشتقة من المضارع مع اضافة واو العطف » .

ومثالها ما ورد فى سفر التكوين .

ויאמר אלהים
יהי־אור ויהי־אור

وترجمتها « وقال الله ليكن نور : فكان نور »

وانظر : قواعد اللغة العربية : ٢٦٩ ، ٢٧٠) أقول قد جعل ولفنسون هذه الصيغة القنطرة التى تصل بين صيغة الماضى العادية وصيغة المضارع » واستدل على ذلك بأن وجد أن هذه الصيغة قديمة جدا ، فقد كانت معروفة فى البابلية القديمة وفى الكنعانية العتيقة « ولم يجد ولفنسون » لهذه الصيغة أثرا فى اللغات الأخرى « كالعربية والسبئية والحبشية والآرامية » انظر تاريخ اللغات السامية / ١٦ ولكن الأستاذ « أنولبتمان » الذى وضع ملاحظات على مؤلف المستشرق « ولفنسون » / تاريخ اللغات السامية رد بوجود صيغة فعل مضارع فى العربية تستعمل للدلالة على زمن ماض وهى صيغة الفعل المضارع اذا دخل عليه حرف مثل : « لم يفعل » انظر تاريخ اللغات السامية : ٢٧٣ .

(٤٢) محاضرات فى فقه اللغة مخطوطة : ٣٥ .

(٤٣) التطور النحوى للغة العربية : ١١٥

(٤٤) ينظر تاريخ اللغات السامية : ١٥ ، ١٦ .

(٤٥) ينظر محاضرات فى فقه اللغة — مخطوطة — : ٢٩ .

(٤٦) العبارة التى بين خطين — — ليست من المقتبس أصلا ، ولكنها أضيفت لمقتضيات السياق الذى يشير اليها .

(٤٧) اللغة : ١٣٧ .

من مهمة هذه الرسالة التي تبحث في زمن اللغة العربية الفصيحة ، البحث في السلم التاريخي الذي ارتقته الصيغة الزمنية في العربية ، غير اننا سنعرض لهذه الآراء واتجاهاتها في الفصل الذي نعقده على دراسة ما اصطلح على تسميته الزمن النحوى ·

الملحظ الوصفى :

أغلب الباحثين العرب على رفض وجود زمن صرفى في العربية وقد وجه انتقاد شديد الى فكرة ربط الصيغة بالزمن · غير ان باحثين آخرين اضطربوا بازاء هذه النقطة فالدكتور ابراهيم السامرائى يكاد يقرر أن زمن العربية صرفى ، يقول « ونستدل من البحث في تاريخ النحو على أن الأقدمين فصلوا القول في هذا وأنهم استفادوا الاستدلال على الزمان من صيغ عدة » (٤٨) ثم ينتهى ، او يكاد ، الى ملاحظة النحاة أنفسهم في تعيين ارتباط الصيغ الفعلية ، خارج مجال السياق ، الزمنى « يجب أن نشير اشارة عامة الى أن الفعل ثلاثة ماض وحال ومستقبل واننا نستطيع أن نقرر أن صيغة (فعل) ، وان دلت دلالات عدة في الاعراب عن الزمان ، فهى في أغلب الأحوال تدل على حدث أنجز وتم في زمن ماض · وأن صيغة (يفعل) تتردد بين الحال والاستقبال ، وان ذهبت في الاستعمال مذاهب أخرى » (٤٩) ان الدكتور السامرائى يقرر هنا أن الفعل العربى يفصح عن الزمن بصيغه على الأغلب · وبعبارة أخرى أن زمن العربية زمن صرفى على الأغلب · وقد قدم بعد ذلك جدولا بالأشكال الزمنية ودلالاتها · فاذا فحصنا دلالة (يفعل) ، في هذا الجدول ، على الزمن ، وجدنا :

أن مجموع الدلالات الزمنية التي عبرت عنها صيغة (يفعل) تسع ، على النحو الآتى :

انصرفت ثلاث من هذه الدلالات الى الماضى واثنتان الى المطلق · واربع فقط ، تقاسمن زمنى الحال والاستقبال ·

---

(٤٨) الفعل زمانه وابنيته : ٢٣ ·

(٤٩) نلاحظ هنا أن الدكتور ابراهيم السامرائى يعدم لنا ، بتقسيمه الفعل الى ماض وحال ومستقبل ، وجها من وجوه زمن الوجود أو زمن الأقسام في اللغة ، وليس الفعل ، فقد كان نفى أن يكون فعل الأمر « قسيما للماضى والمستقبل » / انظر الفعل زمانه وابنيته : ٢٣/ فما يتبقى للفعل ، باعتبار زمنه ، صيغتان يعبران في العربية عن أزمان متنوعة تتقاطع احيانا · بل قد يتجردان من الزمن ، كما سنرى ، ان الوجه الذى ينبغى أن تكون عبارته عليه هو : « يجب أن نشير اشارة عامة الى أن زمان الوجود ، أو زمن الأقسام اللغوية ثلاثة : ماض ، وحال ، ومستقبل ·

وسنورد هنا ما احتواه الجدول المذكور من دلالة (يفعل) على زمن غير الحال والاستقبال .

(أ) يشير بناء (يفعل) الى أن الحدث يقع كبيرا فهو لا يحـــدث فى زمن معين .

(ب) يأتى للاعراب عن حدث من قبيل الحقائق التابتة .

(جـ) يأتى مسبوقا بـ « لم » فيشير الى الماضى .

(د) وقد يأتى وهو دال على المضى ، وذلك لقرينة ترشحه للزمان الماضى .

(هـ) وقد يأتى مسبوقا بـ « كان » للدلالة على أن الحدث كان مستمرا فى زمان ماض .

فاذا فحصنا الجدول الخاص بصيغة (فعل) ، وجدنا لها أربع عشرة دلالة زمنية (٥٠) ، سبع منها انصرفت الى زمن غير زمن الماضى .

وهكذا يتضح أن قانون الترجيح الذى استند اليه الدكتور ابراهيم السامرائى فى تحـديد طبيعة زمن اللغة العربية . لم يكن دقيقا . وأن عبارته « على الأغلب » لم تكن الا صدى للقاعدة النحوية القديمة . فاذا أضفنا الى كل هذا ما صرح به من « أن الفعل العربى لا يفصح عن الزمان بصيغه » (٥١) أدركنا مدى الاضطراب والتناقض الذى وسم تحليلاته تلك .

ويتضح الاضطراب أكثر عندما نقترب من محاولة الدكتور ريمون طحان تحديد ظاهرة الزمن فى اللغة العربية ، فقد رأى فى موسوعته « الألسنية العربية » أن الدراسة الصرفية التى تنطوى على دراسة أحوال الكلمة تضاف اليها دراســة أحوال الفعل فى دلالته على الزمن والهيئة والشخص والجنس والعدد (٥٢) وعنده يتم توزيع الاشارات المميزة أو غيابها على شكل تنظيمات ثلاثية ، على النحو الآتى :

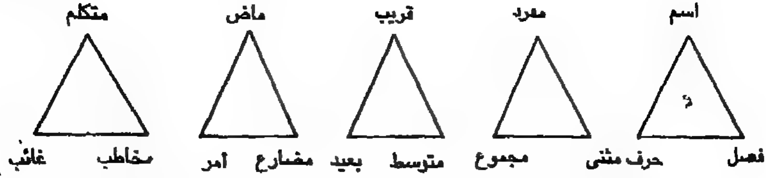
---

(٥٠) ينظر الفعل زمانه وابنيته : من ص ٢٨ حتى ص ٣٤ .

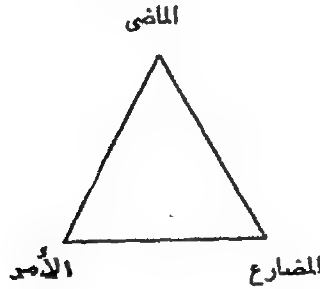
(٥١) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٤ .

(٥٢) ينظر الألسنية العربية : ١ : ١٣ .

(٥٣)



والغريب أن الأستاذ ريمون طحان ينفى « الزمن الصرفى » حين يشرحه لقد رأى أنه « يتبين للباحث ، بعد اطراح الأمر ، من حقل الزمن ، أن الماضى والمضارع لا يحددان بصيغتيهما الأزمنة الماضية والحالية والاستقبالية » (٥٤) وينص من ثم ، وكأنه يستدرك على اقحام دلالة الفعل على الزمن فى الدراسة الصرفية ، ينص على أن « الزمن الصرفى نسبى واعتبارى » (٥٥) من غير أن يبين أنه نسبى الى ماذا واعتبارى لماذا ، وينتهى الى ما يدعوه هو ، فى آخر بحثه « بعد الصرف عن مفهوم الزمن الغامض » (٥٦) وهذه النتيجة لو استعملنا عبارات المناطقة ، تناقض المقدمة التى دفع بها الأستاذ / ريمون طحان / دراسة أحوال الفعل فى دلالته على الزمن فى الدراسة الصرفية ، التى تنطوى على دراسة أحوال الكلمة فمثلثه :

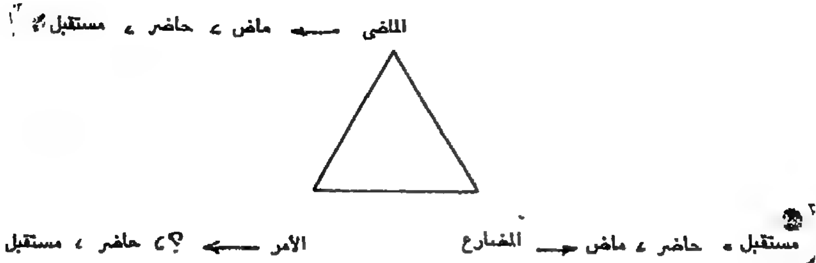


ليس مثلث زمن بل مثلث صيغ ، لانه لو كان مثلث زمن لكان ينبغى أن يكون وظيفة كل رأس من رؤوسه الثلاثة تحديد بعد واحد من أبعاد

---

(٥٣) الألسنية العربية . ١ : ١٣١ .
(٥٤) المصدر السابق : ١ : ١٤٦ .
(٥٥) المصدر نفسه . ١ : ١٤٧ .
(٥٦) نفسه : ١ : ١٤٧ .

الزمن الثلاثة ، وهو التفسير الذى قدمه المنهج النحوى ابتداء بسيبويه ، ان مثلث (ريمون طحان) الزمنى وفق ما ذهب اليـه من نفى تحـديد المضارع والماضى الزمن بصيغتيهما • مثلث برأس واحد ، اذا أراد أن يمضى فى محاولته دراســة أحوال الفعل فى دلالته على الزمن فى الصرف وكما يأتى :



وهو أمر يثير كثيرا من الاعتراضات كما سنرى فى مباحث قادمة • ان المحاولة الأكثر جدية وشمولا فى مجال حقل الزمن الصرفى وعلاقتـه ببنية العربيـة هى محاولة الدكتـور تمام حسان الذى أقر بادىء ذى بدء ، كما فعل قلة من الباحثين غيره ، بوجود زمن صرفى الى جانب وجود زمن نحوى •

وأما سمات الزمن الصرفى ، عنده • فكالآتى : (٥٧)

١ ــ الزمن الصرفى وظيفة صيغة الفعل خارج السياق ويعنى ذلك:

(أ) أنه لا يتضـمن معـنى صيغة الفعـل الزمنية فى السـياق وعلى عبارته « الزمن الصرفى يبدأ بالصيغة الفعلية وينتهى بها »•

---

(٥٧) انظر اللغة العربيه معناها ومبناها / المبحث الخاص ب « الزمن والجهة » من ص ٢٤٠ الى ص ٢٦٠ •

ويتحدد زمن الصيغ الفعلية فى الحقل الصرفى على الوجه الآتى :

الزمن الصرفى

الماضى	الحال والاستقبال	الحال والاستقبال (٥٨)
صيغة (فعل)	صيغة (يفعل)	صيغة (افعل)
وقبيلها	وقبيلها	وقبيلها

(ب) أن مداره « الصيغ » وليس الأدوات والحروف أو ما تحول اليها ، فلا يتضمن ، من ثم ، الظروف أو النواسخ ·

٢ ـ أنه لا تعبر عنه ـ أى عن الزمن الصرفى ـ صيغ غير فعلية : كصيغة الاسم والمصدر والصفة : ومن هنا جاءت صفته الثالثة :

٣ ـ أن له وظيفة (٥٩) فى تحديد مباتى التقسيم (٦٠) الصرفية على الوجه الآتى :

الاسم	الصفة	الفعل
(٦١) (الاسم المعين ـ اسم الحدث ـ الميميات) الزمن ليس جزءا من معنى الأسماء وتمتاز برفضها أن تدل عليه بصيغتها الصرفية ·	ـ صفة الفاعل ـ صفة المفعول ـ صفة المبالغة ـ الصفة المشبهة ـ صفة التفضل · لا تدل الصفات دلالة صرفية على الزمن ، وانما تشرب معنى الزمن النحوى فى السياق ·	زمن الفعل يكون صرفيا فى الافراد ونحويا فى السياق ·

---

(٥٨) المصدر السابق : ٢٤٢ ·

(٥٩) سبقت الاشارة الى وظيفة الزمن الصرفى فى ص ٢٩ من المبحث السابق ·

(٦٠) يرفض الدكتور تمام حسان التقسيم الثلاثى للكلمه · الاسم ، الفعل الحرف ، ويقدم تقسيما سباعيا · كما يأتى : الاسم ، الصفة ، الفعل ، الضمير ، الخالفة ، الظرف ، الأداة ، انظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٠ ·

(٦١) الميميات · اصطلاح يطلقه الدكتور تمام حسان على اسم الزمان ، اسم المكان ، اسم الآلة ، المصدر السابق ص : ٩١ ·

وبعبارة أخرى فان :

الاسم : لا يقبل الزمن ، بصيغته ، صرفيا ونحويا ·

الفعل : يقبله صرفيا ونحويا ·

الصفة : تقبله نحويا فقط ·

وكأن الدكتور تمام حسان يقوى من الاستناد الى عنصر الزمن بكونه عنصر تفريق بين أقسام الكلم فى العربية فيعتمده فى تقسيمه السباعى (٦٢) بعد أن اعتمده النحاة أداة تفريق بين الاسم والفعل فقط. وهذا ملحظ نجده قبل ذلك عند المستشرق الألمانى « بول كراوس » الذى ألمح الى بعض الفروق بين مبانى التقسيم الصرفية فى العربية بمعيار زمنى · يرى الأستاذ (كراوس) : « ألا فرق بين (زيدٌ يقظٌ) و « زيدٌ يتيقّظُ » الا الزمنية ، فاسم الفاعل يثبت حقيقة الاطلاق من غير نظرة الى زمنية والفعل (يقَظ) معناه للماضى » (٦٣) ·

ونعود الى محاولة الدكتور تمام حسان وضع أسس الزمن الصرفى وتفصيلاته ، فنجد أنه يؤخذ عليها ، على الرغم من الجهد الملاحظ فيها ، جملة أمور :

١ ــ جعل صيغة فعل الأمر تدل دلالة قاطعة على الزمن من غير أن يعرض لامكانات تلك الصيغة التى تتجاوز الزمن أحيانا ، كما سنبينه فى موضعه ·

٢ ــ جعل المصدر فى قسم الاسم وعده مسمى الحدث (٦٤) ، مبينا ان الفرق بينه وبين الصفات ــ صفة الفاعل وصفة المفعول وصفة المبالغة الخ يكمن فى أن هذه الصفات تدل على موصوف بالحدث (٦٥) والمصدر هو الحدث نفسه من غير دلالة : أو أن له دلالة المسمى فقط · وهكذا يكون الفرق بينهما من ناحية الزمن كما يأتى :

المصدر (اسم) لا يقبل الزمن صرفيا ونحويا ·

الصفة تقبله نحويا فقط ·

ولكن المصدر فى السياق لا يمتنع من التشرب بالزمن أى لا يمنع

---

(٦٢) المشار اليه فى الهامش (٦٠) من هذا البحث ·

(٦٣) محاضرات فى فقه اللغة : مخطوطة : ٣٥ ·

(٦٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٠ ، ٩١ ·

(٦٥) المصدر السابق : ٩٥ ·

من أن يتحول فى مواقع معينـة من السـياق الى صيغة زمنية ، شأنه فى ذلك شأن صيغ الصفات • يقول ابن عقيـل : « فيقدر المصـدر بـ (أن) اذا أريد المضى أو الاستقبال •• ويقدر بـ (مـا) اذا أريد به الحال • » (٦٦) بل ان أحد الباحثين المعاصرين وهو الدكتور ابراهيم السامرائى يأخذ على الأقدمين أنهم لم يلحقوا هذه المادة ـ مادة المصدر ـ بالفعل (٦٧) •

وسوف نعرض لدراسة الصيغ فى الفصل التالى ، فهذه الآراء كلها يمكن أن تناقش ، ولكن ما أريد بيانه هنا هو أن الدكتور تمام حسان جعل عنصر الحدث أساسا للفصل بين المصدر وتلك المشتقات ، ودفع بعنصر الزمن بطريقة حذرة ، ليكون كالحدث ، عنصر تفريق بينهما ، فى حين نرى أن الزمن علامه اشتراك بينهما ، سواء على صعيد الصرف أو على صعيد النحو ، فخارج السياق ، كما سنرى ، لا يدل أى من تلك الصيغ على زمن البته ، وفى السياق قد تتجه تلك الصيغ اتجاها فعليا فتتضمن الاشارة الى زمن لغوى ما • كما يصرح الدكتـور تمام حسان بوضوح فى موضع بعيد من هذا فى كتابه ، حين يقول : « والمصدر كذلك حين يدخل فى علاقات سياقية كالاسناد والتعدية يفيد معنى الزمن » (٦٨) • وهكذا فان عبارته « وبهذا تمتاز الصفة بقبولها معنى الزمن عن الأسماء . فالزمن ليس جزءا من معنى الأسماء (٦٩) ينبغى أن تكون عن « الأسماء عدا المصادر » ، و « فالزمن ليس جزءا من معنى الأسماء عدا المصادر ، فقد يكون جزءا من معناها فى السياق » •

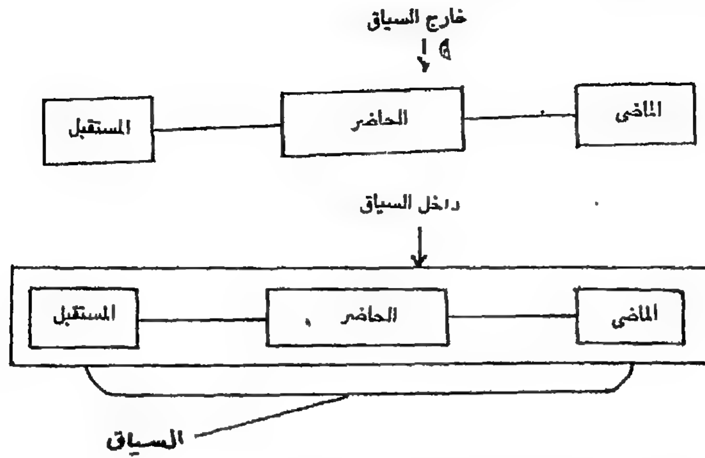
٣ ـ رسم حدا فاصلا بين زمنى الصرف والنحو ، ونظر الى الزمن الصرفى ، كما نظر النحاة ، من جهتى الطبيعة والوظيفة ، وقرر أن الزمن الصرفى تعبر عنه الصيغ الفعلية فقط ، وأما فى السياق فتعبر الصيغ نفسها عن زمن آخر : هو الزمن النحوى ، وعلى عبارة الدكتور تمام حسان « يكون الزمن الصرفى قاصرا على معنى الصيغة يبدأ بها وينتهى بها » (٧٠) ولكنه وهو يفحص زمن النظام النحوى ، وجد أن هناك عمقا ما للزمن الصرفى لم ينته بها كما قرر هو ، بل امتد معها . وان لم يكن ذلك الامتداد مطلقا ، كما قرر النحاة ، بل ان له عمقا محدودا يتناسب ونوع

---

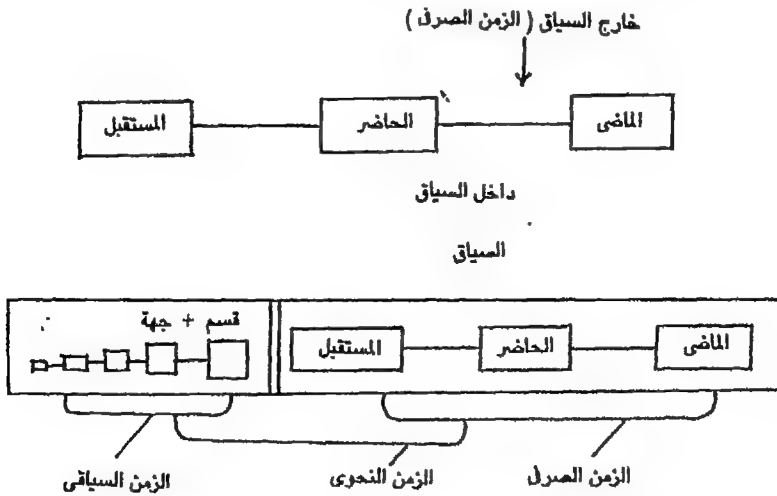
(٦٦) شرح ابن عقيل : ٢ : ٧٦ •
(٦٧) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٤٧ •
(٦٨) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٤ •
(٦٩) المصدر السابق : ١٠٣ •
(٧٠) المصدر نفسه : ٢٤٢ •

الجمل التي تقبع فيها الصيغ (٧١) فاذا رسمنا مخططا لعلاقة الزمن الصرفي بالزمن النحوي كما رآه النحاة وكما رآه الدكتور تمام حسان فاننا نحصل على ما يأتي :

الزمن كما رآه النحاة :



الزمن كما رآه الدكتور تمام حسان :



ويعني ذلك أن نقطتي الزمن : الصرفي والنحوي ، كما رآهما النحاة ، يقعان في امتداد واحد :

---

(٧١) نفسه : ينظر الفصل الخاص بـ (الزمن والجهة) الذي يبدأ من ص ٢٤٠ في مؤلف الدكتور تمام حسان / اللغة العربية معناها ومبناها .

الزمن خارج السياق — الزمن داخل السياق

× ———————————— ×

فى حين تنقطع العلاقة بينهما عند الدكتور تمام حسان :

الزمن الصرفى — الزمن النحوى

× — × ×

ولكنه يعود مرة أخرى ليرسم امتدادا معينا بين النقطتين :

الزمن الصرفى — الزمن النحوى

[×] ———————————— [×] ×

اى ان محاولة الدكتور « تمام حسان » ايجاد نسق للزمن الصرفى مستندا فى جوهره ، الى التقابل بين النقطتين لا يحالفها التوفيق ، وكان عليه أن يراجع ما قرره للزمن الصرفى حين ناقش صيغ الأسماء والأفعال وما سماه الصفات ، عندما وجد وهو يعرض للزمن النحوى خصائص جديدة لهذ الزمن ٠

والخلاصة فان تعيين ملامح الزمن الصرفى فى اللغة العربية والكشف عن سماته كشفا تماما يحتاج الى البحث فى نقطتين :

الأولى : فحص بنى الصيغ المسماة مجازا الصيغ الزمنية وهى الصيغ الفعلية والحدثية (المصدر ، صيغة فاعل ، صيغة مفعول ٠ الخ) وما تشتمل عليه هذه البنى من دلالات حدثية والاسناد والزمن والمعنى المعجمى ، وبعبارة أخرى يتبغى الكشف عن امكانات تلك الصيغ التى يعد الزمن واحدا منها فليس صحيحا أن نبحث فى عنصر واحد داخل بنية ما . غاضين النظر عما يجاوره من عناصر ، وعما يمكن أن يكون لتلك العناصر من تأثير فى بعضها يجعل من عزل عنصر ما عملا تجريديا لا أساس له ، وكذا عما يمكن أن يكون نشاطا فى تلك البنية باتجاه عنصر دون آخر ٠ أو تركيز على عنصر دون غيره وهذا ما سنتوفر على

بحثــه فى الفصـــل الذى يلى هذا الفصل ٠ وعنوانه « امكانات الصيغة » ٠

الثانية : فحص الزمن فى المستوى النحوى : بمراقبة الصيغ فى الاستعمال نبوتها الدلالى الصرفى أو تغيره ، ومن ثم قيـــاس عمق امتداد الزمن الصرفى فى التربة النحوية لتجنب الفصل بين الأشـكال والدلالات ، وبعقد مقارنة بين الزمن الصرفى والزمن النحوى ، ليكون الحكم على طبيعة زمن اللغة العربية بأنه زمن صرفى حكما يتم بالشمول والدقة ٠ وهذا ما ستتوفر عليه فصـــول هذه الرســـالة التى تلى فصل « امكانات الصيغة » ٠

امكانات الصيغة

يحاول هذا الفصل اعادة فحص الصيغة الزمنية فى العربية ، لكى يختبر صحة المسلمات التى توفر عليها الفصل السابق ، وسنرى أن هناك خلافا عميقا بين الباحثين اللغويين ، قدماء ومعاصرين ، حول ما تنتجه هذه الصيغ من دلالات ــ وستكشف عن أوجه هذا الخلاف فى موضعه من هذا الفصل ــ غير أن الباحثين يكادون يتفقون على أمرين فى هذا الجانب :

الأول : أن الصيغ الفعلية هى التى تعبر عن الزمن فى العربية ، ويستثنى قسم منهم صيغة الأمر ٠

الثانى : أن هناك صيغا تتخذ سمات فعلية فى النظام النحوى أو « تجرى مجرى الفعل » (١) على عبارة سيبويه ٠

وهذه الصيغ هى :

(أ) الدائم (٢) أو اسم الفاعل (٣) أو بناء فاعل (٤) أو صفة الفاعل (٥) ٠

(ب) تفريعات هذه الصيغة التى يطلق عليها صيغ المبالغة وهى ما « بنيت للفاعل من لفظه والمعنى واحد (٦) » (فَعول) و (فعّال) و (مِفعال) و (فَعِل) و (فعيل) (٧) ٠

(جـ) صيغة اسم المفعول (٨) أو بناء مفعول (٩) أو صفة

---

(١) الكتاب : ١ : ١١٧ ٠
(٢) الدرس النحوى فى بغداد : ٣٣ ٠
(٣) الكتاب : ١ : ١١٠ ٠
(٤) الفعل زمانه وأبنيته : ٣٤ ٠
(٥) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٩ ٠
(٦) الكتاب : ١ : ١١٧ ٠
(٧) ينظر المصدر السابق : ١ : ١١٠ ٠
(٨) المصدر نفسه : ١ : ١٠٨ ٠
(٩) الفعل زمانه وأبنيته : ٣٤ ٠

المفعول (١٠) وعبارة سيبويه : « معمول مثل يَفْعَل · وفاعل مثل يَفْعَل» (١١) ·

(د) المصدر : يقول سيبويه : « وما أجرى مجرى الفعل من المصادر قول المرار الأسدى :

بضرب بالسيوف رؤوس قوم أزلنا هامهن عن المقيل (١٢) ·

يقول الدكتور تمام حسان : « والمصدر كذلك حين يدخل فى علاقات سياقية كالاسناد والتعدية يفيد معنى الزمن بحسب القرينة » (١٣) ·

ويعرض سيبويه لاستعمال هذه الصيغ استعمال الفعل فيجد أن « الاكثر الذى جرى مجرى الفعل من الأسماء ففاعل » (١٤) · ليس هذا حسب ، بل انه لا يمثل لـ « اسم المفعول » الا لتعميم القاعدة ويذهب الرضى الى أنه « ليس فى كلام المتقدمين ما يدل على اشتراط الحال أو الاستقبال فى اسم المفعول » (١٥) ·

وثمة خلافات منهجية فى الحاق تلك الصيغ بالفعلية ، بين القدماء والمعاصرين اذ القدماء يؤكدون ، فى الاساس ، عمل تلك الصيغ ، وهو ملحظ بارز فى أمثلة سيبويه وتحليلات من تلاه · يقول جار الله الزمخشرى ، وهو يعرض لقوله تعالى : « انى جاعل فى الأرض خليفة » (١٦) : « و « جاعل » من جعل الذى له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله « فى الأرض » « خليفة » فكانا مفعوليه » (١٧) ·

أما زمن هذه الصيغ فهو ملحظ ثانوى للعمل فاذا كان اسم الفاعل ينحو منحى الفعل المضارع ، أو يحاول التطابق معه فى العمل ، كان لا بد من أن يعبر عن زمنه الذى هو ، عندهم ، الحال والاستقبال · ونلاحظ ذلك كله عند الفراء فى معرض كلامه على صيغة فاعل · يقول : « وزعم الكسائى أنهم يؤثرون النصب اذا حالوا بين الفعل ـ اسم الفاعل ـ

---

(١٠) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٩ ·
(١١) الكتاب : ١ : ١٠٩ ·
(١٢) الكتاب : ١ : ١١٦ ·
(١٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٩ ·
(١٤) الكتاب : ١ : ١١٧ ·
(١٥) شرح الكافية : ٢ : ٢٠٤ ·
(١٦) سورة البقرة آية : ٣٠ ·
(١٧) الكشاف : ١ : ٢٧١ ·

المضاف بصفه فيقولون « هو ضارب في غير شيء . أخاه » ، ينوعمون أنهم ، اذا حالوا بينهما ، نونوا » (١٨) غير أن هذا الحكم لا يعني انعدام الملحظ الزمني للصيغ تلك • فقد خصها « الكوفيون » كما مر (١٩) بمصطلح زمني هو الدائم • وعلى الرغم من أن بعض المعاصرين أفرد لها خانات زمنية . محاولا النظر اليها بوصفها شكلا في النسق الزمني شأنها في ذلك شأن الصيغ الفعلية والمركبات الزمنية (٢٠) •

فان كل الملاحظات لم تعدم ربط زمنها ب « ظاهرة الاعراب » • وهو أمر يعني أن زمن هذه الصيغ ليس مرتبطا بذاتها او بشكلها • فاذا نونت صيغة (فاعل) أى قطعت عن الاضافة عملت ، واذا عملت تحولت الى فعل وهذا الفعل هو المضارع لتوافقهما في « العمل والمعنى » (٢١) يقول (الفراء) وهو يعرض لقوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » (٢٢) : « وأكثر ما نختار العرب التنوين والنصب في المستقبل • فاذا كان معناه ماضيا لم يكادوا يقولون الا بالاضافة » (٢٣) •

أما الباحثون المعاصرون فقد لاحظوا أو ركزوا على دلالة تلك الصيغ على الزمن • فقد جعل الدكتور مهدي المخزومي ، مستندا الى آراء الكوفيين . الدائم قسما من أقسام الزمن ، وقسيما للزمنين الماضي والحاضر (٢٤) ، غير أنه لم يدخل في دراسته التطبيقية من الصيغ الحديثة الملحقة بالفعل سوى صيغة (فاعل) (٢٥) •

وجعل الدكتور علي جابر المنصوري جريا على القياس النحوي القديم صيغة (المفعول) : « تساوي اسم الفاعل في دلالته الزمنية ، فهي في الأغلب تدل على الدوام في حال اتصال « أل » بها ، وهي اذا نونت دلت على الحال والاستقبال واذا أضيفت دلت على الماضي » (٢٦) ، وهذه آراء لم تختبر في ضوء الاستعمال وليس من هدف هذا الفصل أن يضيف شيئا الى ذلك الجدل المتواصل حول تلك الصيغ ، أهي أسماء (٢٧) ؟

---

(١٨) معاني القرآن : ٢ . ٨١ •
(١٩) ينظر مضمون الهامش ٢ من هذا الفصل •
(٢٠) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٨ •
(٢١) الكتاب : ١ : ١٦٤ •
(٢٢) الأنبياء • ٣٥ •
(٢٣) معاني القرآن : ٢ : ٢٠٢ •
(٢٤) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٨ •
(٢٥) ينظر المصدر السابق : ١٥٨ و ١٥٩ •
(٢٦) مجلة كلية الشريعة / جملة الماضي والحاضر والمستقبل : ٦ : ٢٠ •
(٢٧) ينظر نحو القرآن : ٩٢ •

أو هى من المشــترك الفعلى الاسمى (٢٨) ؟ أو هى أفعــال (٢٩) ؟ أو صفات (٣٠) ؟

غير أننا نلاحظ فى هذا الجانب أمرين :

الأول : أنه يتهيأ لهذه الصيغ التى تنطوى على أحداث خاصة بها ــ يتهيأ لها ــ فى النظام النحوى ، أن تكتسب سمات فعلية فى العمل ٠

الثانى : أن صيغة (فاعل) ، من بين الصيغ الأخرى ، تنطوى على قيمة زمنية نحوية ٠

وقد مرت اشارة سيبويه والرضى الى شيء من هذا (٣١) وهكذا ٠٠ فالصيغ التى ينبغى لنا أن نختبر أبنيتها ، هى تلك الصيغ التى تعبر عن الزمن أو التى تحتك به وهى :

(َفعلَ (و (يفعلُ) و (افعلْ) (فاعِل) .

فاذا كانت تلك الصيغ تتطابق فى كونها تتضمن حدثا بزمن واذا كانت أشكالها أمارة على أقسام الزمن المختلفة ؟

فكيف يمكن أن نفسر :

(أ) دلالة هذه الصيغ على قسم واحد من أقسام الزمن ؟

(ب) تطابق دلالتى صيغة (فاعل) وصيغة (يفعل) فى الزمن ، والعمل أى أن كلتا الصيغتين تنطويان على حدث واحد بزمن واحد ؟

بحيث يمكن اجراء استبدال بينهما من غير أن نلاحظ فرقا ما ، كما زعم سيبويه :

---

(٢٨) وهو ما يفهم من مباحث النحاة ٠ وانظر الكتاب : ١ : ٢١ ٠

(٢٩) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٣٤ ٠

(٣٠) ينظر :

اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٩ ٠

جعل الدكتور تمام حسان (الصفة) قسما مستقلا من أقسام الكلم فى العربيــة ، وأدرج تحتها (صفة الفاعل) و (صفة المفعول) و (صفة المبالغة) و (الصفة المشبهة) و (صفة التفضيل) ٠ وانتهى الى أن مشابهتها للأسماء ينفى عنها أن تكون فعلا ، ومشابهتها للأفعال تنفى أن تكون اسما ٠

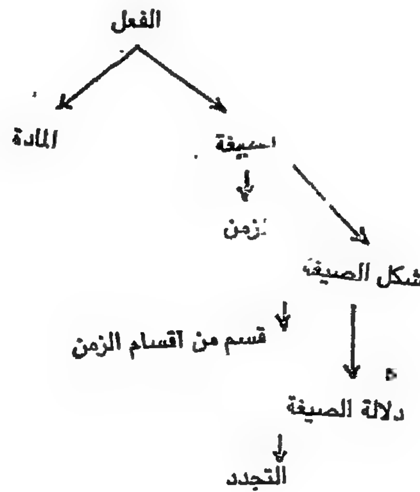
وينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ص ٩٨ فما بعدها ٠

(٣١) ينظر ص ٤٧ ٠ الهامشان : ١٤ و ١٥ ٠

« قولك : هذا ضارب زيدا غدا فمعناه وعمله مثل : هذا يضرب زيدا غدا » (٣٢) ٠

وبعبارة أخرى أن فروق الأشكال بين الصيغ الفعلية الثلاث من جهة والفرق بين صيغتى (يفعل) و (فاعل) من جهة أخرى لا يكون له على هذه الجهة أى جهة الزمن ، مسوغ فى العربية ، أو يكون لنا أن نفسره على جهة غير جهة الزمن وهذا ما يحاول هذا (الفصل) القيام به ٠

تردد عند النحاة عامة وعلماء الدلالة العرب القدماء خاصة مصطلح لغوى تلقفه عنهم المحدثون ، وهو مصطلح « التجدد الفعلى » ٠ يقول القزوينى : « وأما كونه فعلا فللتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة على أخصر وجه مع افادة التجدد » (٣٣) ويعرف القزوينى قسيمه « الاسم » بسلب صفتى الفعل منه ٠ وعبارته : « وأما كونه اسما فلافادة عدمهما » (٣٤) أى الزمن والتجدد ، وهذا الملحظ الدلالى للفعل يضيف الى السمات التى مر ذكرها فى مفتتح هذا الفصل ، عنصرا جديدا على النحو الآتى :



ووفقا لهذا المفهوم يمكن أن ننظر الى السمات الصرفية لأقسام الكلم فى العربية على النحو الآتى :

---

(٣٢) الكتاب : ١ : ١٦٤ ٠
(٣٣) التلخيص فى علوم البلاغة : ١٠٧ ٠
(٣٤) المصدر السابق : ١٠٨ ٠

الفعل = حدث + زمن + تجدد ٠

الاسم = مسمى − حدث − زمن − تجدد ٠

المصدر = مسمى + حدث ـ زمن ـ تجدد ٠

ويعنى ذلك أنه لم تعد الدلالة الزمنية عنصر تفريق صرفيا ٠ بل أضيف اليه عنصر الدلالة الفعلية وهو « التجدد » ٠

فما التجدد الفعلى ؟

أطلق الصبان فى حاشيته على أحد معانى المضارع الزمنية « الاستمرار التجددى » (٣٥) وقد شرح الأستاذ عباس حسن ، هذا المصطلح بقوله : « الأمر يحدث ثم ينقطع ثم يعود ثم ينقطع وهكذا دواليك كاستمرار الليل والنهار » (٣٦) ٠

وكان الزملكانى عرف « التجدد » ب « تقضى الفعل شيئا بعد شيء » (٣٧) وفصل عبد القاهر الجرجانى فى شرح معنى المصطلح هذا بقوله : « فاذا قلت « زيد ها هو ينطلق » فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا ف جزءا ، وجعلته يزاوله ويزجيه » (٣٨) ومقابل ذلك فان : « البليغ يلجأ الى الاسم اذا أراد أن يفيد الاستمرار والثبوت » (٣٩) وقد اتخذ النحاة الموقعية ، وهى سمة شكلية Formal Feature معيارا فى التفريق بين الجملتين الفعلية والاسمية ٠ فاذا كان « الاسم » متقدما عدت الجملة اسمية ، فاذا تأخر عدت فعلية ٠ وكان هذا المعيار الشكلى أداة تفريق حاسمة بين التراكيب اللغوية من زاوية المنهج الذى التزمه النحاة ، وهو منهج العمل والعامل (٤٠) فنحو « اذا جاء زيد فأنا أكرمه » فهذه : جملة اسمية ان قلنا ان عامل (اذا) ما فى جوابها من فعل أو شبيهه لأن صدر الكلام جملة اسمية واذا وما أضيف اليه فى رتبة التأخير » (٤١) ٠

أما « دلالة » التجدد الفعلى فقد وجدت عند بعض المعاصرين مجالها

---

(٣٥) حاشية الصبان : ٢ : ٢٩٢ ٠

(٣٦) النحو الوافى : ٣ : ٢٠١ ٠

(٣٧) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : ١٤٣ ٠

(٣٨) دلائل الاعجاز : ٦٧ ٠

(٣٩) أثر النحاة فى البحث البلاغى : ٢١٦ ، وسنرى أن الاستمرار دلالة المضارع وليس دلالة الاسم ٠

(٤٠) فى التركيب اللغوى للشعر العراقى المعاصر : ٤٦ ٠

(٤١) حاشية الصبان : ٤ : ١٣ ٠

التطبيقى : واتخذوا منهـا معيـــارا فى التفريق بين الفعلية والاسمية : « فالجملة الفعلية هى التى يتصـف فيهـا المسند اليه بالمسند اتصـافا متجددا » (٤٢) بغض النظر عن الموقعية ٠

أما الجملة الاسمية « فتعبر عن نسـبة صـفة الى شىء : البيت جديد » (٤٣) و « التعبير بها ــ الاسمية ــ أدل على الثبات » (٤٤) ٠ فاذا « كان كل من الاسمين غير مشتق أفادت النسبة الثابتة مثل : محمود أخوك » (٤٥) ٠

ويعنى ذلك أن الجملة الفعلية ذات طبيعة حركية تفيدها من الفعل ٠ مقابل الجملة الاسمية التى تنطوى على طبيعة ثابتة ٠ ومن هنا أخطأ بعض المعاصرين حين نسبوا « التجدد » الى الفعل المضارع فقط ٠ فقد نسب الأستاذ حامد عبد القادر الى من سماهم علماء البلاغة قولهم « المضارع قد يدل على التجدد كما فى قول الشاعر :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثوا الى عريفهم يتوسم (٤٦)

فاذا رجعنا الى ملاحظتى الخطيب القزوينى والزملكانى حول التجدد الفعلى ، وجدنا أنهما يجعلان دلالة التجدد دلالة الفعل عامة ، ولم ينصا على أن هذه خاصية المضارع فقط ٠ وعبارة القزوينى لا لبس فيها : « فأما الفعل ٠٠ » (٤٧) ٠

غير أن عبد القادر الجرجانى أشعر بأمثلته أن التجدد خاصـــية المضارع ، وعنه صدر الدكتور ابراهيم السامرائى فى النص على أن « التجدد ألصق ببناء يفعل » (٤٨) وفى محاجته الدكتور مهدى المخزومى استند الى أسباب منهجية فى رفضه الصاق صفة التجدد بالجملة الفعلية جملة وتفصيلا ٠

وقد عد البحث فى الجانب البلاغى للتراكيب من قبيل :

---

(٤٢) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ٤١ ٠
(٤٣) اللغة : ١٦٣ ٠
(٤٤) أساليب النفى فى القرآن : ٨٢ ٠
(٤٥) محاضرات فى اللغة : ٢٤١ ٠
(٤٦) مجلة مجمع اللغة العربية/مقالة معانى المضارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥٠
(٤٧) التلخيص فى علوم البلاغة : ١٠٧ ٠
(٤٨) العربية بين أمسها وحاضرها : ١٠٩ ٠

« التوجيهات الفنية فى النحو » (٤٩) . ويتناول هذا الجانب ، فى رأيه ، سيحتوى البحث النحوى على سمات أدبية تقوم على الذوق وتصلح مادة للنقد البلاغى (٥٠) وينتهى أستاذنا الدكتور ابراهيم السامرائى بسبب من ذلك الى أنه : « لا يصح أن يتخذ البحث الحديث فى علم النحو مادة لا تأتلف وطبيعته ومنهجه » (٥١) . وقد فصل السامرائى فى شرحه وجهة نظره بقوله « ليس لنا أن نلصق التجدد بالفعل لأن ذلك ليس من منهجنا . ولأن الشواهد لا تؤيد هذا التجدد المزعوم . وكيف لنا أن نفهم التجدد والحدوث فى قولنا : « مات محمد » و « هلك خالد » و « انصرف بكر » فهذه الأفعال كلها أحداث منقطعة لم يكن لنا أن نجريها على التجدد » (٥٢) .

ان الدكتور السامرائى فى مساجلته (المنهجية) هذه يكشف عن لا منهجية لغوية . اذ ينبغى أن ندرك أن البحث البلاغى ، فى أحد أوجهه بحث فى « الدلالة اللغوية » . وأن النظر الى (التراكيب والصيغ) من زاوية (المعنى) ، بعد أن نظر اليهـا النحـاة القدماء من زاوية (المبنى) (٥٣) هو نفس ما تسعى اليه النظـريات الجـديدة فى علم اللغة (٥٤) .

بل ان الدكتور ابراهيم السامرائى الذى أراد ، بلا قصد ، ابعاد عنصر المعنى عن التحليل اللغوى ، مستندا الى منهج شكلى توزيعى يرى أن النحو ينطوى على « ذكر أقسام الجملة وعلاقة كل جزء بالآخر وما يطرأ على كل جزء من هذه الأجزاء من آثار أسـميناها ، اصـطلاحا الاعراب » (٥٥) .

أقول ان الدكتور السامرائى عاد فاحتكم الى (المعنى) فى الرد على « المعنى » الذى فرق به الدكتور مهدى المخزومى بين الجملتين الفعلية والاسمية فانتقى مواد : « انصرف » « هلك » ، « مات » وهى ذات معنى معجمى معين ، واستند الى عنصر معناها المعجمى فى نفى دلالة التجدد

---

(٤٩) الفعل زمانه وابنيته : ٢٠٣ .

(٥٠) ينظر الفعل زمانه وابنيته : ٢٠٣ .

(٥١) المصدر السابق : ٢٠٣ .

(٥٢) المصدر نفسه : ٢٠٤ .

(٥٣) ليس هذا حكما عاما بل حكم غالب . فالمنهج النحوى القديم انطوى على معطيات عدة مناهج ، غير أنه ركز على بحث الأشكال ووظائفها وتوزيعاتها . وينظر نظرية النحو العربى : ٣١ ، ٣٢ .

(٥٤) ينظر الفصل السادس الخاص بـ « الزمن الدلالى » من هذه الرسالة .

(٥٥) الفعل زمانه وابنيته : ٢٠٣ .

عن الفعل الماضي ، اذ أن هذه المواد تنطوى ـ كما ظن ـ على دلالة الانقطاع وسنرى فى مبحث « المادة المعجمية والزمن » (٥٦) أن لهذه المادة آثارا فى النظام النحوى · غير أن الأمر هنا لا ينصب على المادة بل على الصيغة · أى هل يتميز الفعل بصيغته ، عن الاسم أو عن أقسام الكلم الأخرى ، بالتجدد ؟ والا انتقينا مواد معجمية لا تنم على دلالة الانقطاع كـ : تجدد واستمر وبقى ··· الخ ·

وقد عاد الدكتور ابراهيم السامرائى فناقش سمة التجدد فى الفعل مناقضا ما ابتدأ به ، اذ أدخل صفة التجدد على الفعل المضارع بوصفها سمة نحوية · قال : « وبناء يفعل أو المضارع يفيد التجدد والحدوث واختيار الجرجانى له ـ أى للمضارع ـ مفيد له فى اثبات مقالته » (٥٧) ·

ويعنى ذلك أن واحدا من أبنية الفعل يتسم بسمة التجدد ، وأن البحث فى دلالة التجدد ليس بحثا فى النقد الأدبى ، يقوم على الذوق ، بل هو بحث نحوى ·

والذى نراه أن الدكتور ابراهيم السامرائى فهم التجدد على أنه الاستمرار ولما كان الفعل المضارع ألصق الأبنية الفعلية بالاستمرار جعل التجدد خاصيته ولكن علينا ، قبل أن نعرض لأوجه التوافق والافتراق بين التجدد والاستمرار ، أن نعرض بصورة عامة للفروق بين مصطلحات فنية لغوية هى الثبوت ، والاستمرار ، والتجدد والانقطاع ، والاطلاق ، والخلو من الزمن والقطع ، لكى نتمكن من فحص امكانات الصيغة الدلالية فى العربية فحصا دقيقا ·

الثبـــوت :

ان معنى « الثبوت » الاصطلاحى هو الجمود · وهو الذى يقابل التجدد والجملة الاســـمية هى الجملة الجامدة ، الثابتة ، أى المفرغة من الحركة ، وليست المفرغة من الزمن : كقوله تعالى :

« ان هذا كان لكم جزاء » (٥٨) ·

« وكان فى المدينة تسعة رهط » (٥٩) ·

---

(٥٦) ينظر الفصل المنعقد على دراسة « الزمن الدلالى » ·
(٥٧) الفعل زمانه وابنيته : ٢٠٥ ·
(٥٨) الانسان : ٢٢ ·
(٥٩) النمل : ٤٨ ·

« ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » (٦٠) ·

فهذه جمل اسمية دالة على التبوت ، أى جمل مفرغة من الحركة ــ التى تستند الى تجدد وجودها ــ فى الزمن الماضى ·

أى الجملة الاسمية تفيد الثبوت مطلقا ، أما الزمن فلا تمتنع من الدخول فيه ، ان قصد الى ذلك والا فلا دلالة فيها على الزمن ·

أما الاستمرار : فمصطلح زمنى · وقد توهم بعضهم ان النسبة الثابتة فى الجملة الاسمية تعنى استمرار « الزمن » فذهب الى أن « البليغ يلجأ الى الاسم : اذا أراد أن يفيد الاستمرار والثبوت » (٦١) ·

ان الاستمرار والتبوت هنا يترادفان · وكأنهما يتجهان الى معنى واحد وهذا مفهوم يصدر عن منطق عقلى محض وليس عن منطق لغوى ، لأنه يقدم لنا زمن الوجود الذى تقع فيه الحركات والسكنات ، الأعراض والجواهر · يتعاقب عليها الزمان مستمرا ، فليست هى منفكة عنه · ان جملة « زيد أخوك » لا بد ، بهذا المفهوم ، من أن تكون واقعة ، بالنسبة الى تحقق وجودها ، أى الى تحقق تلك النسبة بين « زيد » و « بينك » ، واقعة فى زمن دائم مستمر ، هذا اذا عرضنا للمسألة من وجهة نظر عقلية مجردة لكن جملة « زيد أخوك » لا يترشح عنها زمن لغوى اطلاقا · فالقصد فيها هو نسبة أخوتك الى زيد نسبة ثابتة مفرغة من الزمن والحركة · ويتيح لنا وضع جملة (زيد أخوك) بازاء الجمل التى يسوقها فندريس ، بتصور مصطلح (الاستمرار) مقابلا لمصطلح (النبوت) لا مرادفا له :

ها هو الترام يمر	زمن حاضر
أمر به كل أحـــد	زمن مستمر (٦٢)
زيـــد أخـــوك	ثبوت/لا زمن ·

فمصطلح (الاستمرار) اللغوى من لوازم الفعل · أما الثبوت فمن لوازم الاسم ··· يقول الرضى وهو يعرض لقوله تعالى « واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا » (٦٣) : « أى هذه عادتهم المستمرة » (٦٤)

---

(٦٠) الأحزاب : ٤٠ ·
(٦١) أثر النحاة فى البحث البلاغى : ٢١٦ ·
(٦٢) اللغة : ١٣٩ ·
(٦٣) البقرة : ١١
(٦٤) شرح الكافية : ٢ : ١٠٨ ·

فالعلاقات التركيبية في الآية السابقة علاقات فعلية . ولهذا يترشح عنها الاستمرار .

أما مصطلح **مطلق الزمان** فقد تردد في المباحث اللغوية ، قديمها وحديثها يوصف به زمن حدث يقع في جميع أقسام الزمان : كـ « المصدر يدل على زمان مطلق » (٦٥) بصيغته : يقابل ذلك : « المصدر ما سوى الزمان من مدلولى الفعل » (٦٦) .

أى هو خلو من الزمان بصيغته . ويبدو مصطلح **مطلق الزمان** وكأنه استعير من مباحث المناطقة .

وفى التحليلات اللغوية التى ورد فيها هذا المصطلح : نجد شيئا من ذلك ففى القول فى أصل الاشتقاق بين البصريين والكوفيين ، نقل صاحب الانصاف احتجاج البصريين على الوجه الآتى : « الدليل على أن المصدر أصل للفعل أن المصدر يدل على زمان مطلق والفعل على زمان معين ، فكما أن المطلق أصل للمقيد فكذلك المصدر أصل للفعل » (٦٧) فالمطلق والمعين والمقيد مفردات نقلت من مباحث المناطقة الى مباحث اللغويين وملاحظة الدكتور المخزومى فى القول « الانسان يدبر والله يقدر » : أن الحدث لا يحدث فى زمان معين ولكنه يحدث فى كل زمان . ولا يلاحظ فيه زمان معين (٦٨) توحى بهذا النقل .

وهذا التردد بين « الزمن المطلق » و « الخلو من الزمن » لم يقتصر على الباحثين العرب ، بل شمل باحثين غير عرب :

يقول فندريس : « الوعظ الذى يستعمل فى التعبير عن حدث لا ينتمى فى الواقع الى أى زمن . ويمكنه ككل حقيقة من حقائق التجربة أن يصدق فى المستقبل والحاضر والماضى » (٦٩) .

فنحن هنا بازاء معادلتين :

١ ــ الفعل = حدث + زمن عام .

٢ ــ الفعل = حدث + زمن .

---

(٦٥) الانصاف : ١ : ٢٣٧ .
(٦٦) شرح الأشمونى : ١ : ٢٠٩ .
(٦٧) الانصاف : ١ : ٢٣٧ .
(٦٨) فى النحو العربى : نقد وتوجيه : ١٥٧ .
(٦٩) اللغة : ١٣٧ .

المعادلة الأولى انتجت مصطلح مطلق الزمان ، وهو كما لاحظنا : مصطلح عقلى مجرد أى ينظر الى « زمن » فى اطار الوجود . لا فى اطار اللغة .

وعبارة الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى : « لا يعنى بتحديد معنى الزمن بل ينصرف الى اطلاقه فى الجملة الاسمية » (٧٠) تعكس شيئا من ذلك .

فنحن ، من زاوية لغوية ، لا يهمنا أن نشير الى زمن أو لا نقصد اليه مطلقا فجملتا : « الانسان يدبر والله يقدر » و « زيد أخوك » لا بد من وقوعهما فى مطلق الزمن ، بوصف الأولى نسبة ثابتة تقع فى زمن دائم ، وبوصف حدث الثانية صالحا لأن يقع أمس أو الآن أو غدا ، ولكن من زاوية لغوية فاننا نقصد الى ما يصدر عن معنى الحدث لا عن زمنه ، وعن معنى النسبة لا عما تقع فيه من مكان أو زمان . وتكون عبارة الدكتور مهدى المخزومى « ولا يلاحظ فيه زمن معين » (٧١) صحيحة بمقتضى هذا لو أنها صارت « ولا يلاحظ فيه (أى فى الحدث) زمن البتة ، معينا أو غير معين . فجملتا « زيد أخوك » و « الانسان يدبر والله يقدر » متطابقتان من حيث كونهما تقعان خارج اطار الزمن اللغوى ، ولكنهما متقابلتان من حيث ان الأولى ذات دلالة ثبوتية وأما الثانية فذات دلالة تجددية .

اذن فالاطلاق اللغوى هو اثبات « حقيقة الاطلاق من غير نظرة الى زمنية » (٧٢) .

أما مصطلح **الانقطاع** : فهو سمة زمنية من سمات (فعل) ، تدل على الماضى المنقطع فى مسافة زمنية معينة **(أى القرب والبعد الزمنيين)** . وعبارة صاحب الهمع « الماضى يفهم الانقطاع » (٧٣) وفى (حاشية الصبان) : « الماضى غير المنقطع » (٧٤) .

فكما أن التجدد سمة فعلية ، فكذلك الانقطاع سمة فعلية ، والفرق

---

(٧٠) نحو الفعل : ١١ .
(٧١) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٧ .
(٧٢) محاضرات فى فقه اللغة / مخطوطة : ٣٠ .
(٧٣) همع الهوامع : ١ : ١١٣ .
(٧٤) حاشية الصبان : ج ٤ : ص ٥ .

بينهما أن الأولى سمة فعلية عامة ، والثانية فعلية خاصة بصيغة « فعل » (٧٥) أي أن : فعل = تجدد + انقطاع ٠

ومن هنا وقع الدكتور ابراهيم السامرائي في خطأ حين توهم أن هناك تناقضا بين التجدد والانقطاع في الأفعال التي رأى أن أحداثها « منقطعة » (٧٦) ٠ وانتهى ، كما مر بنا ، (٧٧) الى أنه لا يكون لنا « أن نجريها على التجدد » (٧٨) ٠

ان هناك أمثلة أخرى ترينا أن بنية الفعل الماضي تتضمن دلالتي التجدد المعنوية والانقطاع الزمنية ، كما في مثل : نجز (٧٩) زيد عمله ٠

و ــ بدأ به (٨٠) ٠

و ــ استمر (٨١) به ٠

نلاحظ أن الأحداث الثلاثة في الأفعال : « نجز » و « بدأ » و « استمر » أحداث متحركة ، وهذه هي سمة التجدد ، وأن زمن هذه الأحداث هو الماضي وهذه هي سمة الانقطاع مع اختلاف في جهة الانقطاع (٨٢) ٠

كما يأتي :

نجز عمله (انتهى منه تماما) ٠

بدأ به (ولم ينته منه) ٠

استمر به (ساعة أمس) ٠

كما يمكن أن نعمد الى المواد التي انتقاها الدكتور ابراهيم السامرائي فنقيم مقابلة بين أفعالها ومصادرها ، على النحو الآتي :

---

(٧٥) ليس بناء كل فعل ماض منقطعا من جهة الزمن ، كما سنرى ، ولكن كل منقطع بالزمن فهو فعل ماض ٠ وسنتوفر على دراسة صيغة فعل ودلالتها الزمنية في الدراسة التطبيقية ٠

(٧٦) الفعل زمانه وابنيته : ٢٠٤ ٠

(٧٧) ينظر : ص ٥٣ من هذا الفصل ٠

(٧٨) الفعل زمانه وابنيته : ٢٠٤ ٠

(٧٩) مختار الصحاح : مادة (نجز) : ٦٤٦ ٠

(٨٠) لسان العرب (بدأ) ٠

(٨١) المصدر السابق (مرر) ٠

(٨٢) سنعرض لذلك بشيء من التفصيل في مبحث المادة المعجمية والزمن / فصل « الزمن الدلالي » ٠

التجدد الفعلي	الثبوت الاسمي
هـلك	هلاك
مـات	موت
انصرف	انصراف

ان صيغة هلك تتحرك الى يهلك وسيهلك ، فى حين لا تعبر صيغة هلاك الا عن مسمى هذه الحركة . اذن فصيغة (فعل) تتضمن دلالة على التجدد بوصفها حدثا ، ودلالة على الانقطاع بوصفها زمنا . كما أن لهذه الصيغة دلالة أخرى هى دلالة التثبيت أو القطع ، دلت على زمن أم لم تدل ، وقعت فى القسم الصرفى أم وقعت فى القسم النحوى .

وعبارة الدكتور ابراهيم أنيس فى هذا المجال : « فى أسلوب التأكيد يحسن أن نستعمل تلك الصيغة المسماة بالماضى » (٨٣) .

ان التثبيت الذى هو سمة فعلية خاصة بصيغة الماضى يقابل الثبوت أو الجمود الذى هو سمة اسمية .

والآن نعود الى التفريق بين الجملتين الفعلية والاسمية . فالدكتور ابراهيم السامرائى حين رفض التفسير الدلالى للظاهرة الفعلية « التجدد » ورفض التفسير الشكلى « الموقعية » لم يجد الا أن يقول « فجملتنا : (محمد سافر) و (سافر محمد) جملتان فعليتان ما دام المسند فعلا » وهو لا يقصد الى ربط الفعل بركن خاص من أركان الاسناد ، بوصفه مميزا دلاليا له ، لأن الصفة قد تقع مسندا (٨٤) فنقول له ما الفعل اللغوى ؟ وما دلالته ؟ ما طبيعته ؟ ما وظيفته ؟ ... الخ كيف نميزه وهو يقع مسندا مطلقا عن « الاسم » الذى يقع مسندا اليه مطلقا ؟

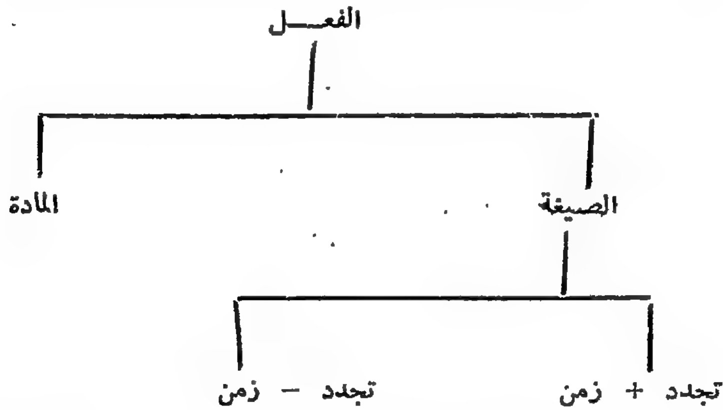
ان الدكتور السامرائى يتابع فى رأيه هذا ، رأى المستشرق الألمانى برجشتراسر الذى يرى أن « الجملة مركبة من مسند ومسند اليه ، فان كان كلاهما بمنزلة الاسم فالجملة اسمية ، وان كان المسند فعلا أو بمنزلة الفعل فالجملة فعلية » (٨٥) .

وهذا صحيح ، غير أنه يستند الى الملاحظة الشكلية المجردة ، ويعود ليدخل فى الدورة التصنيفية والدلالية ذاتها .

---

(٨٣) من أسرار اللغة : ١٧٣ .
(٨٤) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٨ .
(٨٥) التطور النحوى للغة العربية : ٨١ .

وتفيدنا هذه المساجلة فى تعيين حدود صيغة الزمن فى اللغـة العربية أعني « الفعل » بالاعتبارين الدلالى والشكلى ، اذ كان الثانى هو الاعتبار الوحيد ليس فى فهم ظاهرة الفعل حسب بل فى النظر اليـه بكونه قسما صرفيا ، متمثلا بنوع الصيغة ، وبالجدول التصريفي ، والموقعية : ولا نريد هنا أن نقصى الاعتبار الشكلى بقدر ما نريد أن نضمه الى الاعتبار الدلالى ، على الرغم مما يثيره من معضلات فى طريق تصنيف الكلم فى العربية وتجريدها الى أقسام ، ومنها ما يلاحظه الأستاذ فندريس من أن « العربية ملأى بالعلامات المشتركة بين التصريفين الاسمي والفعلى اذ نرى النهاية « ـ و ن » التى تستخدم فى المضارع المسند الى الشخصين الثانى والثالث المذكرين فى حالة الجمع ، وفى حالة المثنى تستخدم لنفس الشخصين المتقدم ذكرهما علامة « ـ ان » • ولا تقتصر العـلامة بين التصريف الاسمى والفعلى فى العربية على بعض وجوه الشبه فى العلامات بل أنها تمس جوهر الأشياء • فهناك توافق غريب بين الحالات الاعرابية الثلاث » (٨٦) وسنضع فى ضوء ما تقدم ، المخطط الآتى للفعل :



ويعنى ذلك أن الفعل ، بصيغته ، لا يعبر بصورة مطلقة عن الزمن ، ويصح أن نقول ان الزمن أثر من آثار صيغة الفعل ، وليس « معنى صيغة الفعل » ف « معنى صيغة الفعل » هو نوع حدثها المتجدد كما سنرى .

فاذا تابعنا البحوث اللغوية القديمة والحديثة وجدنا الفعل فيها متصلا بعدة مفهومات •

لقد لاحظنا (٨٧) أن أغلب الباحثين دأبوا على جعل « بنية الفعل »

---

(٨٦) اللغة : ١٥٨ •

(٨٧) يلاحظ الفصل الأول الخاص ب « الزمن الصرفى » •

تتضمن زمنا من جهة « الصيغة » وأقساما زمنية من جهة « شكل الصيغة » ، وحدثا من جهة « مادة الاشتقاق » أى أن البنية الفعلية تتضمن حدثا ذا نسيج زمنى • ويمكن هنا استعارة متل (ورقة الشجرة) الذى خلعه العالم اللغوى (دى سوسير) على الرمز اللغوى (٨٨) ، لخلعه على « الفعل » • فالفعل فى هذا المنحى : ورقة ذات وجهين الوجه فيها هو الحدث ، والظهر فيها هو الزمن (أو العكس) • ولا يمكن حسب مقولة « الحدث لا يكون الا فى زمان » (٨٩) تمزيق وجه هذه الورقة من غير تمزيق ظهرها ويعنى ذلك كله : زمنية الفعل اللغوى المطلقة •

غير أن باحثين آخرين رفضوا ذلك الربط بين الزمن والفعل ، مستندين الى رفض : « أن تجرى مقولة الزمان (متى) على الفعل » (٩٠)• وقد اتخذ هذا الرفض سبيلين :

الأولى : رفض دلالة شكل الصيغة الفعلية على زمن معين فى المستوى الصرفى وتنظيم دلالتها عليه فى المستوى النحوى

الثانى : رفض أن تدل الصيغة بذاتها على زمن • أو أن تدل عليه فى الاستعمال مطلقا • فهى فى الاستعمال قد تدل على زمن وربما لا تدل• فان « متأخرى الأصوليين مطبقون على أن المقوم لحقيقة الفعل هو الانباء عن حركة المسمى ، لا الاقتران بالزمن • » (٩١) ويعنى ذلك : امكان تمزيق ظهر الورقة من غير تمزيق وجهها فـ « بنية الفعل » قد تبقى ، فى الاستعمال اللغوى ، على الزمن ، وقد تطرده خارجا • ويعنى ذلك على عبارة الاستاذ كراوس : « هدم زمنية الفعل العربى التى قررها النحاة • » (٩٢) • وكان السيوطى قد نقل عن السهيلى تحليله دلالة صيغة الفعل على الزمن فى جملة :

« لا أفعله مالاح برق وما طار طائر » •

يقول : « لأنهم يريدون الحدث مخبرا عنه على الاطلاق من غير تعرض

---

(٨٨) يشبه (دى سوسير) الرمز اللغوى بورقة ذات وجهين الوجه فيها هو الدال والظهر هو المدلول ، ولا يمكن تمزيق وجه هذه الورقة من دون تمزيق ظهرها وانظر مشكلة البنية : ٤٩ •

(٨٩) شرح المفصل : ٧ : ٢١ •

(٩٠) التركيب اللغوى للأدب : ١٢ •

(٩١) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٤٩ • وينظر أيضا : الآراء الراقية الحديثة فى تيسير قواعد اللغة العربية وبيان أسرارها : ١٣ •

(٩٢) محاضرات فى فقه اللغة / مخطوطة : ٣٤ •

لزمان » (٩٣) وقد دعا الدكتور ابراهيم أنيس الى « دراسة أساليب الصيغ مستقلة عن الفكرة الزمنية » (٩٤) ويشير الدكتور مهدى المخزومى الى أن « الفعل الذى يلى أدوات الشرط خلو من الدلالة على الزمان ، سواء كان على (يفعل) أو على (فعل) (٩٥) وقد رأى الدكتور ابراهيم أنيس أن دورة الصيغ الفعلية فى أسلوب الشرط دليل على أن الصيغة الفعلية تفك ارتباطها بالزمن (٩٦) ولا يتردد كثير من الباحثين فى ابعاد صيغة فعل « الأمر » « أن تكون قديما (زمنيا) (٩٧) للماضي والمستقبل (٩٨) لأن هذه الصيغة « بالبداهة لاتدل على معنى زمنى » (٩٩)

هناك عنصر ثان يعد من المفهومات النحوية للفعل ..

وهو انتساب الفعل الى فاعله الذى يحدثه أو الذى يسند اليه . ان الفعل يتضمن ببنيته «اشارة» الى محدث أو مسند اليه . ومعنى ذلك أن النظر فى العربية الى الفعل يؤدى الى النظر الى الفاعل ، أو المسند اليه . وعبارة سيبويه : « لابد للفعل من الاسم » (١٠٠) وتترجم « عبس » (١٠١) الى الانكليزية بـ He Frowned (١٠٢) ويعنى ذلك امكان التفريق بين الاسم والفعل فى ضوء هذا المقياس ، وامكان طرح المقياس الزمنى بوصفه أداة تفريق وحيدة بين الاسم والفعل من جهة ، وأقسام الفعل من جهة أخرى . « فالاسم : كلمة تدل على معنى ــ من غير اختصاص بزمان ــ دلالة البيان .

والفعل : كلمة تدل على معنى ــ من غير اختصاص بزمان ــ دلالة الافادة . » (١٠٣)

ومن هذا الملحظ صدرت تلك الاشارات فى التحليلات النحوية الى تلك السمة . فابن هشام يعرف الفعل بـ : « نفس الحدث الذى يحدثه الفاعل » (١٠٤)

---

(٩٣) الأشباه والنظائر : ١ : ٦٠ .
(٩٤) من أسرار اللغة : ١٧٢ .
(٩٥) فى النحو العربى ، نقد وتوجيه : ٢٩٩ .
(٩٦) من أسرار اللغة : ١٧٥ .
(٩٧) ما وضع بين قوسين ليس من نص الاقتباس ، بل زيادة اقتضاها السياق .
(٩٨) الفعل زمانه وأبنيته : ٢١ .
(٩٩) نحو الفعل : ٢٤ .
(١٠٠) الكتاب : ١ : ٢١ .
(١٠١) عبس : ١
(١٠٢) ترجمة معانى القرآن الكريم : ٧٩٠ .
(١٠٣) رسائل فى النحو واللغة : ٣٨ .
(١٠٤) شرح شذور الذهب : ١٢ .

وعبارة الأشموني : « لأن الفاعل كجزء من فعله » (١٠٥) · وملحظ الأصوليين في هذا الجانب دقيق ، وهو : « صدور الحدث من الفاعل دون ربطه بزمان صدوره » (١٠٦) · وجعل الدكتور مهدى المخزومي المميز الثاني للفعل « أنه يبنى على المسند اليه ويحمل عليه » (١٠٧) ·

ومن العناصر النحوية التي تصدر عن بنية الفعل ودلالة مادته (١٠٨) عنصرا التعـدى واللزوم ، حيث يقـدم البنـاء الفعلي تصنيفه الثنائي الى النحو · وكأن هذه البنية تنطوى مرة على « مسند اليه » و « مفعول به » وتنطوى مرة أخرى على « مسند اليه » وعلى رفضها قبول مفعول به والى الأولى يشير سيبويه بقوله : « تقول دخل وخرج وجلس · فاذا أخبرت أن غيره صيره الى شيء من هذا قلت : أخرجه وأدخله وأجلسه ومن ذلك أيضا : مكث وأمكنته · وقد يجيء الشيء على «فعلت» «فيشرك» «أفعلت» · وذلك قولك : فرح وفرحته وان شئت قلت : أفرحته » (١٠٩) والى البنية الثانية يشير بقوله : « ولما لايتعداك ضرب رابع لايشركه فيه مايتعداك · وذلك «فعل يفعل» نحـو « كـرم يكـرم » وليس في الكـلام فعلته متعديا (١١٠) · وقال في موضوع آخر : « ليس في الكلام أنفعلته » (١١١)

ويكفي أن نتصفح الجزء الصرفي من كتاب سيبويه لنرى تأثير بناء (الفعل) في تكوين الجملة ، غير أنه ليس من شأن هذه الرسالة أن تتوسع في بحث الامكانات الدلالية للصيغة الفعلية ، التي تحمل الى السياق ، لأن ذلك موضوع متشعب ، يحتاج ، في كثير من الأحيان ، الى نظر في مادة الصيغة وبنائها ، مجتمعين ، ولأن هدفنا أن نرى تلك الدلالات ـ ومنها ما عرضنا لها ، كدلالة حدثه (التجدد) ودلالاته النحوية (كالاسناد ، والتعدية واللزوم) وما سنعرض لها ك (دلالة مادته المعجمية ، ودلالة بنائه على الزمن في النحو) ـ لنرى قصور التعريف المتداول الذى يرى أن الصيغة الفعلية = حدث + زمن ·

ليس هذا حسب ، بل لنثبت أن (الزمن) ألحق بالصيغة الفعلية

---

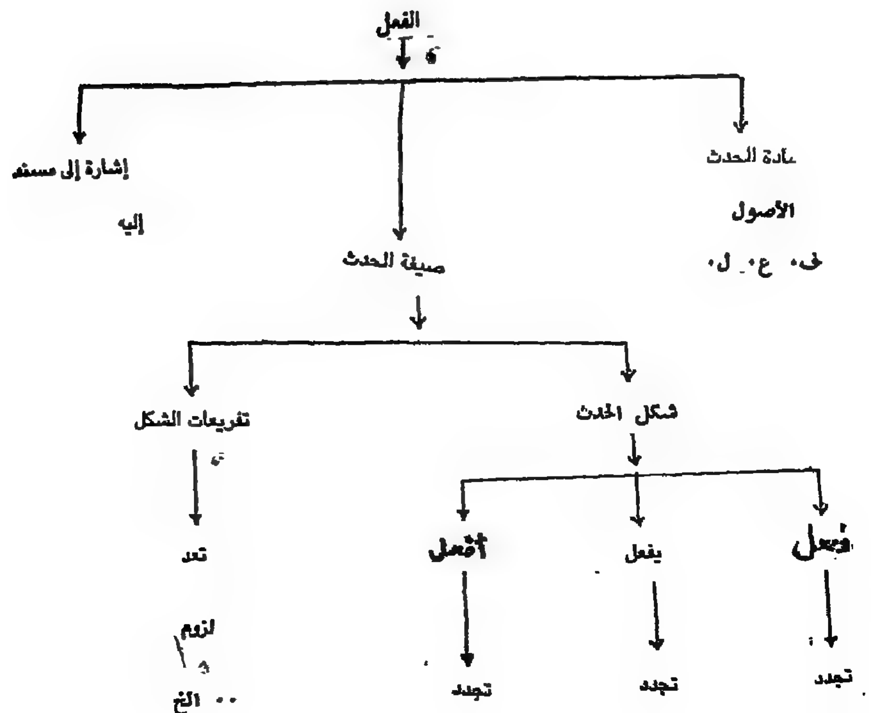
(١٠٥) شرح الأشموني : ١ : ٢٣ ·
(١٠٦) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٦٩ ·
(١٠٧) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٢٠ ·
(١٠٨) سنعرض لتأثير المادة في التركيب النحوى في مبحث « الزمن والمادة المعجمية » فيما نستقبل ان شاء الله ·
(١٠٩) الكتاب : ٤ : ٥٥ ·
(١١٠) الكتاب : ٤ : ٣٨ ·
(١١١) الكتاب : ٤ : ٧٦ ·

المنعزلة الحاقا عقليا مجردا ، وليس الحاقا لغويا ، باعتبار أن الأحداث لا تنفك عن الزمن أبدا ، وتقودنا الملاحظات السابقة الى نقطتين :

الأولى : أن للصيغة الفعلية سمات دلالية ثابتة فى المستوى الصرفى ليس الزمن واحدا منها ٠

الثانية : أنه ينبغى لنا أن نبحث فى التركيب الفعلى للعربية وليس هذا من متعلقات هذا الفصل ٠ ان بحثنا يتركز حول الصيغة الفعلية بوصفها الدالة الزمنية فى العربية ٠

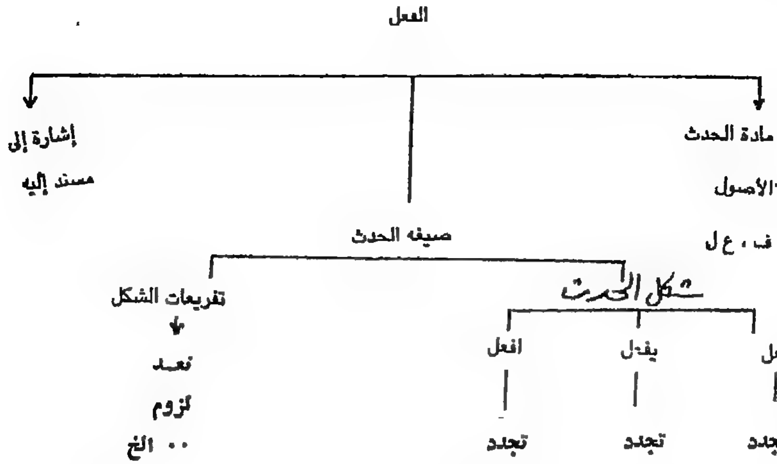
وفى ضوء ما تقدم يمكن التوسع فى رسم مخطط « الفعل الصرفى » فى العربية على الوجه الآتى :



كما يمكن وضع مخططين نحويين بازائه على الوجه الآتى :

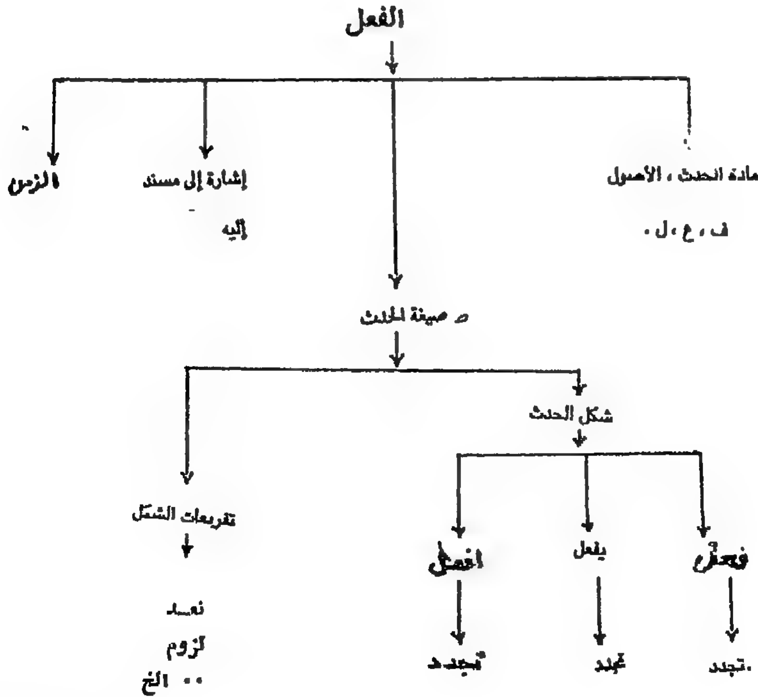
المستوى النحوى :

أ ـ



المستوى النحوى

ب ـ



وأهم ما ننتهى اليه من المخططات الثلاثة ومما سبقها ، أن العمق الصرفى للصيغة الفعلية ، فى النحو يمتد بسمات ثلاث هى « مادة الحدث والاشارة الى فاعل ، والتجدد الفعلى » • أما الزمن فليس سمة صرفية أولا وليس سمة نحوية مطلقة ، بل هو من السمات النحوية للصيغة الفعلية وليس كلها •

ويعنى ذلك أنه فى المستوى الصرفى يمكن عقد مقارنة على مستوى الأحداث بين أشكال الصيغ الفعلية من جهة ، والفعل والأبنية التى تنطوى على حدث (المصادر ، أسماء الفاعلين) من جهة أخرى أى الاجابة عن الاعتراض الذى ورد فى « البحث النحوى عند الأصوليين » وهو : « اذا تجردت الأفعال الانشائية من الزمان لزم أن تكون صيغتها من غير مدلول أو يكون مدلولها مدلول المادة (الحدث المجرد) وحينئذ ينعدم الفارق بين الأفعال الانشائية من جهة وبين المصادر الأخرى » (١١٢) لأن بحثنا ينصب على تجريد الصيغ الفعلية من الزمن فى الصرف ، والبحث عن مدلول حدثها ، بازاء صيغ اتفق على أنها تنطوى على أحداث بلا أزمان•

فالفعل	حدث	ذو سمة : ف
واسم الفاعل	حدث	ذو سمة : س
والمصدر	حدث	ذو سمة : ص

وكشف الفروق بين ف و س و ص ، ـ أى من جهة الأحداث ـ هو الذى يميز بين الفعل وبناء فاعل والمصدر •• الخ •

وسنورد هنا مثالا واحدا (وسنتوسع فى الأمثلة فى مواضعها من هذا الفصل) : « فنحو أنا كاتب رسالة أى : سأكتب رسالة » (١١٣)

فصيغتا اسم الفاعل والفعل المضارع متطابقان من حيث دلالتهما على الزمن •

أى الزمن هنا عنصر تطابق ، فينبغى أن نبحث عن الفرق بين التركيبين من زاوية نفس الحدث • وليس ذلك من قبيل البحث فى الأسلوب Style بل هو بحث فى الدلالات اللغوية •

وأهم مميز دلالى لحدث الفعل ، كما لاحظنا ، هو التجدد أو انباؤه

---

(١١٢) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٦٦ •

(١١٣) فى النحو العربى ، نقد وتوجيه : ١٥٨ •

عن حركة ليس فى مادته بل فى صيغته ف « سكن فعل منبى عن حركة المسمى » (١١٤) وهذا هو ما انتهى اليه الدكتور مصطفى جمال الدين ، الذى رأى آن لا ربط انفعل بـ (حركة الحدث) اقرب الى المدلول اللغوى لكلمة الفعل » (١١٥) ٠

أما ما اصطلح عليه بصيغة (اسم الفاعل) فهى صيغة مركبة من صفة وموصوف ٠ وعبارة الأشمونى : «الصفة الدالة على فاعل»(١١٦) وأطلق الدكتور تمام حسان على اسم الفاعل : صفة الفاعل ، وعرفها بأنها « ما تدل على وصف الفاعل بالحدث » (١١٧) ٠

اذن فبنية (فاعل) تنطوى على عنصرين :

١ ـ مسمى الوصف بالحدث ٠

٢ ـ صفته (الحدث)

ويعنى ذلك أن هذه البنية تضع (الحدث) فى ظلال تركيبها ودلالتها ، فليس هو ، ها هنا ، حدثا مجردا (مصدر) أو حدثا متحركا (فعل) ٠ نقول ضربت (الضارب) ٠

فتتطابق هذه الجملة مع :

ضربت زيدا (الذى صفته كذا) ٠

فالحدث الذى يصف (زيدا) جزء ثانوى فى صيغة (فاعل) ٠

ولكن هذا (الحدث) ، فى الاستعمال ، قد يتسع داخل بنية (فاعل) فيقترب من مفهوم حدث فعلى فيتضام مع مفعول ، كما فى قوله تعالى : « انى جاعل فى الأرض خليفة » (١١٨) ٠ ويفترض النحاة أن صيغة (جاعل) اى صيغة (فاعل) تجرى فى مثل هذه الاستعمالات مجرى الفعل (١١٩) أو هى فعل كما نص على ذلك الفراء (١٢٠) ولهذا يمكن أن تحل محلها صيغة فعلية محضة ٠ وهى ها هنا (أجعل) ٠

---

(١١٤) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٤٧ ٠

(١١٥) المصدر السابق : ١٤٨ ٠

(١١٦) شرح الأشمونى : ١ : ٣٣٩ ٠

(١١٧) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٩ ٠

(١١٨) البقرة : ٣٠ ٠

(١١٩) الكتاب : ١ : ١١٧ ٠

(١٢٠) ينظر معانى القرآن : ٢ : ٨١ ٠

فاذا كانت الصيغتان متطابقتين تماما من حيث (العمل) وهو جوهر النظر النحوى القديم ، فانهما تظلان مختلفتين بما نسميه (المميز الحدثى) واذا كنا قد بينا أن المميز الحدثي للفعل هو التجدد وألمحنا الى أن المميز الحدثي للمصدر هو (التبوت) فان المميز الحدثي لصيغة (فاعل) هو التبوت على طريق صفة ، فالمصدر وبناء (فاعل) كلاهما يصدران ـ لوجود حدثيهما ـ عن الفعل ، وبدلالته عن الاسم ، الأول لأنه (مسمى الحدث) (١٢١) والثانى لانه (وصف المسمى) بالحدث « الفاعل » . ويمكن وضع المخطط الآتي للفعل والمصدر وصفة الفاعل ، بالمميز الحدثي، على النحو الآتى :

المصــــدر	الفعــل	صفة الفاعل
الحدث ذاته	حدث تجددى	حدث وصفى .

والاعتراض الذى ينبغى أن يثار هنا هو اذا كان بامكاننا أن نلاحظ الفروق الحدثية بين الفعل والصفة والمصـــــدر ، فكيف يمكن أن نفسر اختلاف أشكال (الفعل) التى اطرحنا اتجاهها الى مدلول زمنى ورأينا تطابقها في السمة الحدثية ، أعنى التجدد الذى هو سمة الماضى والمضارع والأمر ، وليس المضارع وحده (١٢٢) ؟

اذا أبعدنا صيغة الأمر (١٢٣) تبقى لدينا صيغتان : (فعل) و (يفعل) فاذا لاحظنا أن صيغة (يفعل) حتى عند من ألصق بهــــا زمنا صرفيا (١٢٤) ليست لها دلالة زمنية مستقرة ، بل تدل بصورتها على زمنين : هما الحاضر والمستقبل . واذا أضفنا الى ذلك ما انتهينــا اليه (١٢٥) من أن صيغتى (يفعل) و (فعل) لا تدلان دلالة مطلقة على الزمن في المجال النحوى ، بل قد تفرغان منه ، أمكننا أن ندرك ضعف استعمال الزمن أداة للتفريق بين أشكال الصيغ الفعلية ، وفرض علينـــا ذلك ، أن نبحث ، ثانية فيما يتميز به حدث كل صيغة فعلية :

ان صيغة (فعل) تشير الى الحدث التام « التام الفعلية لا الزمنية، أى أن حدث (فعل) حدث متجدد ، مقطوع به ، أى حدث متحرك له

---

(١٢١) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٥ .
(١٢٢) ينظر ص ٧٩ فما بعدها من هذا الفصل .
(١٢٣) ينظر الفصل الرابع : الزمن بين أسلوبى الخبر والانشاء .
(١٢٤) ينظر الكتاب : ١ : ١٢ . وينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ .
(١٢٥) ينظر ص ٦٥ من هذا الفصل .

دلالة القطع أو التأكيد أو التثبيت • وهذا هو جوهر رأى المستشرق (بول كراوس) الذى يقول : « وأقول : (آقسمت) وأنا أريد أن أقول (أقسم) ، ولانى اريد ان اقسم قسما جازما •• ومعنى ذلك : أن صيغة ال Perfect التى نسميها الماضى لا تدل على الزمنية ولكن على شئ آخر هو أننى ألقى فى سمع السامع مع هذا الاعتقاد أن قسمى الشديد كأنه نفذ • كأنه قد انتهى • فما يسمونه (الماضى) ظانين أنه يدل على الزمن ، وما هو بدال على الزمن ، وانما هو مثلا يدل على انتهاء العمل ولذلك يسميه النحوى Perfect time ومعناه المنتهى التام الذى وصل الى تمام فعليته » (١٢٦) •

ويعنى ذلك أن صيغة (فعل) تشير الى تمام انتهاء الحدث ، اذا فرغت من الزمن • وعلى تمام انتهاء الحدث فى الزمن الماضى ، اذا دلت على زمن • وهذا هو جوهر ملاحظة الأستاذ عباس العقاد : « يقول القائل: (« صحبتك السلامة » و « حفظك الله) ، و « رعاك الله » •• ولا يمتنع على قائل أن ينقله الى صيغة المضارع اذا شاء » (١٢٧) •

ان الأفعال « حفظ » و « صحب » و « رعى » أفعال مفرغة من الزمن قصد منها شعور (بقوة الأمل فى الاستجابة) (١٢٨) أما الزمن فمصدره « معنى » التراكيب الذى هو معلق « بالبداهة بالاستقبال » (١٢٩) • فاذا قصدنا الى الزمن بالصيغ قلنا « تصحبك السلامة ويحفظك الله ويرعاك » وهذا هو معنى قوله :

« ولا يمتنع على قائل أن ينقله الى صيغة المضارع اذا شاء » •

وصيغة (يفعل) أو المضارع • تنطوى على دلالة التجدد بوصفها فعلا ، وعلى دلالة عدم القطع أو عدم التمام ، ومن دلالات هذه الصيغة التردد والاستحضار والاستمرار والتعبير عن « الحقائق والعادات »(١٣٠) والتجارب » (١٣١) ويعرض (بول كراوس لصيغة (يفعل) فيرى « أن الذى نسميه مضارعا ، أو مستقبلا هو بالضبط Imperfect أى الفعل

---

(١٢٦) محاضرات فى فقه اللغة / مخطوطة : ٣٤ •
(١٢٧) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤١ •
(١٢٨) المصدر السابق : ٤١ •
(١٢٩) المصدر نفسه : ٤١ •
(١٣٠) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٧ •
(١٣١) الفعل زمانه وأبنيته : ٣٢ •

الذى لا يدل على زمن بل يدل على عدم تمام وكمال ليس فى الزمن بل من وجهه نظر الفعلية » (١٣٢) ٠

ان (كراوس) يضع بازاء زمنية الفعل المطلقة ، لا زمنيته المطلقة وعلى عبارته « عدم زمنية الفعل العربى » (١٣٣) ٠

ونوجيه هذا الهدم ينبغى أن يكون فى المستوى الصرفى ، والا فان اللازمنيه الفعلية فى النظام النحوى واحد من اتجاهات الصيغة الفعليـة وليس الاتجاه الوحيد ، فالصيغه الفعلية دالة زمنية أو غير زمنية بحسب السياق الذى تشغله ٠

ومن هذا القبيل ، اى من قبيل الملاحظات حول « صيغة المضارع » ما يراه الناقد الأستاذ محمد مندور الذى يقول : « اننا نحس فى دلالة المضارع « معنى الحالة المستمرة » المنســحبة من الماضى الى الحــاضر فالمستقبل » (١٣٤) وينتهى الى القول « بأن المفاضله بين الماضى والمضارع ليست مفاضلة بين ألفاظ بل بين معان وعلى الاصح بين حالات نفســية بأكملها » (١٣٥) ٠

وعلى الرغم من أن الأستاذ محمد مندور يتجاوز طرف المعادلة اللغوية الآخر وهو « الشكل » فانه يشير الى الاتجاه ذاته ٠

ولعل ذلك هو الذى يفسر تقلب الصيغ فى بنية العربية ، الذى يستند الى افلات حدث الصيغ الفعلية من قيــد الزمن فى النظام النحو ولما كانت الصيغ الفعلية قد فرغت من الزمن صارت :

(أ) تأخذ موقعها فى التركيب بحسب ما يصدر عن مميزاتهـــا الحدثيــــة من دلالات متنـــوعة (التجدد ، القطع ، عدمه ، الاستحضار ، التفاؤل ٠٠٠ الخ) ٠

(ب) تشارك الصيغ غير الفعلية (الأسماء ، الصفات ، المصادر) فى نوع من الترادف فى الموقعية ، للافـــادة ، من مميزات أحداثها ٠

ونشير فى هذا الموضع الى آراء اللغويين فى تفسير ظاهرة تقلب الصيغ ونفرد لنظرية الجرجانى فيها مبحثا خاصا :

---

(١٣٢) محاضرات فى فقه اللغة (مخطوطة) : ٣٤ ٠

(١٣٣) المصدر السابق / مخطوطة : ٣٤ ٠

(١٣٤) النقد اللغوى عند العرب : ١٤٤ ، ١٤٥ ٠

(١٣٥) المصدر السابق : ١٤٤ ، ١٤٥ ٠

يقول سيبويه : « وقد تقع (نفعل) فى موضع « فَعَلْنا » (١٣٦) وعبارة الفراء : « ولا بأس أن ترد (فَعَلَ) على (يفعلُ) » (١٣٧) .

وفى موضع تعقيبه على الآية الكريمة « ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله » (١٣٨) يقول : « وان شئت قلت الصد منهم كالدائم فاختير لهم (يفعلون) كأنك قلت : ان الذين كفروا ومن شأنهم الصد » (١٣٩) . ويقول الصبان : « ويقدر الماضى واقعا فى الحال أى فى زمن التكلم لاستحضار صورته العجيبة » (١٤٠) وابن هشام يقول : « نزل المستقبل منزلة الحاضر المشاهد » (١٤١) وفى هذا الضوء يفسر النحاة وعلماء الدلالة العرب مصطلح : « حكاية الحال » .

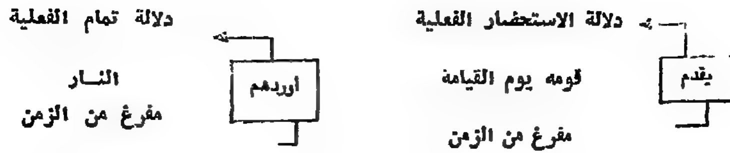
فيعرفه الرضى ب « حكاية المعانى الكائنة حينئذ للألفاظ » (١٤٢)

ونقل عن جار الله قوله « معنى حكاية الحال أن يقدر أن ذلك الفعل الماضى واقع فى حال المتكلم كأنك تحضره للمخاطب وتصوره . وتقول : « رأيت الاسد فآخذ السيف فأقتله » (١٤٣) وعرض فندريس لما سمى ب « الحاضر التاريخى » وهو : « الماضى يمكن أن يعبر عنه بالحاضر ، وهو استعمال شائع فى الحكاية » (١٤٤) ومصطلح (المضارع التاريخى) يطابق مصطلح (حكاية الحال) عند النحاة .

ان وقوع الصيغ المتغايرة فى مستوى تركيبى واحد يعنى تفريغ صيغة ما ، دون غيرها ، من الزمن ، حيث تشير الى وجه من وجوه دلالتها الحدثية . ومن هنا يكون من الخطأ اسناد الزمن الى مثل هذه الصيغ بوصفها (شكلا زمنيا) لأن الزمن يكتسب من قرائن السياق اللفظية والمعنوية . ففى قوله تعالى : (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار » (١٤٥) يتم تعيين اتجاه الصيغ الدلالى كما يأتى :

---

(١٣٦) الكتاب : ٣ : ٢٤ .
(١٣٧) معانى القرآن : ٢ : ٢٢١ .
(١٣٨) الحج : ٢٥ .
(١٣٩) معانى القرآن : ٢ : ٢٢١ .
(١٤٠) حاشية الصبان : ٣ : ٢٩٩ .
(١٤١) المغنى : ١ : ٢٢٨ .
(١٤٢) شرح الكافية : ٢ : ٢٠١ .
(١٤٣) شرح الكافية : ٢ : ٢٠١ .
(١٤٤) اللغة : ١٣٨ .
(١٤٥) هود : ٩٨ .



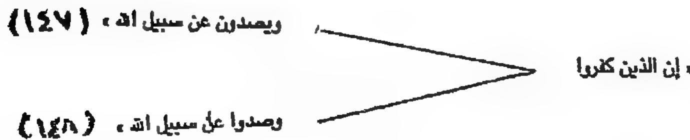
ان ظرف الاستقبال (يوم القيامة) + النار (جهنم) = اشارات تعنى أن المستقبل هو زمن الآية • أما الفعل المضارع « يقدم » فهو مفرغ من الزمن ، يؤدى معنى استحضار صورة حدثه ـ وهو تقدم فرعون عليه اللعنة قومه يوم القيامة وكذا الفعل « أورد » فعل تام أى يؤدى معنى القطع والتأكيد بوقوع الحدث • وليس يعنى وقوعه فى سـياق زمن مستقبل أنه يعبر عنه ، أو كما يقول صاحب « الجنى الدانى » : « الأمور المستقبلة لما كانت فى أخبار الله متيقنة ، مقطوعا بها ، عبر عنها بلفظ الماضى » (١٤٦) ولو كان الزمن مقصودا اليه من الصيغة لما احتيج الى شكل الماضى أو شكل الحاضر ، فاللغة غير عاجزة أن تمد التركيب بمركب المستقبل : « سيورد » •

ومنتهى التحليل هو :



فمن الخطأ القول ان صيغة « الماضى » أو « فعل » تعبر عن زمن مستقبل فى مثل هذه التراكيب اللغوية ، أو أن صيغة « الحاضر » أو « يفعل » تعبر بصورتها عن زمن ماض •

ومختصر القول فى هذه النقطة يتضح فى قوله تعالى :



---

(١٤٦) الجنى الدانى : ٢١٢ •
(١٤٧) الحج : ٢٥ •
(١٤٨) النساء : ١٦٧ •

وهناك فرق دقيق ينبغي أن نلحظه : فرق بين خلو الصيغــــة من الزمن ودلالتها عليه بالاكتساب ، وهذا هو نفس ما أشار اليه الجرجاني تحت مصطلح « وجوه كل باب وفروقه » (١٤٩) الذي يعرض في جانب منه لاختلاف أشكال الصيغ في ضوء اختلاف طبيعة أحداثها ، وليس في اختلاف دلالتها على الزمن ٠

يقدم لنا عبد القاهر الجرجاني عددا من الاختيارات ، داخل نمط لغوي واحد ، ففي الخبر أو (المسند) :

« ينظر الى الوجوه التي تراها في قولك :

١ ــ زيد منطلق ٠

٢ ــ زيد ينطلق ٠

٣ ــ ينطلق زيد ٠

٤ ــ منطلق زيد ٠

٥ ــ زيد المنطلق ٠

٦ ــ المنطلق زيد

٧ ــ زيد هو المنطلق ٠

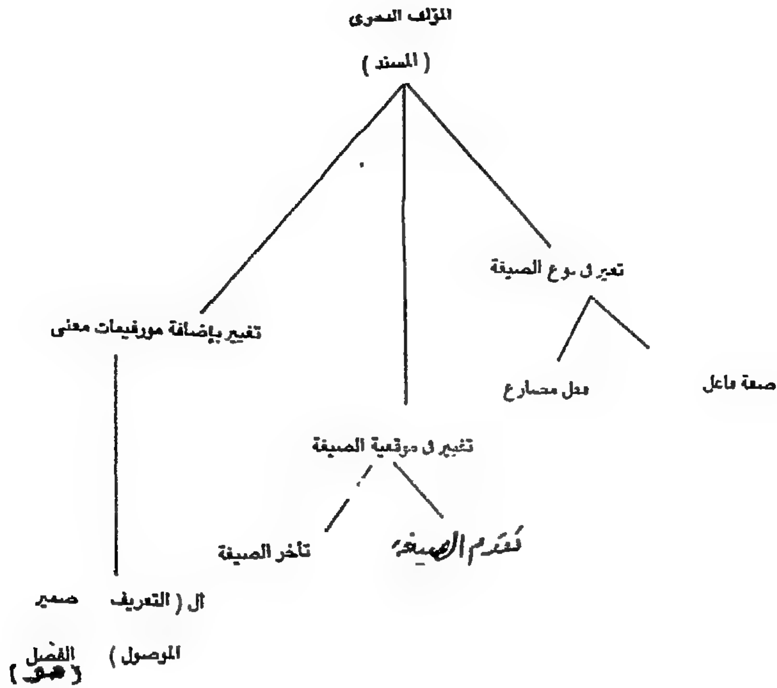
٨ ــ زيد هو منطلق ٠ » (١٥٠)

تدخل الجمل الثماني السابقة في جدول التوزيع النحوي في مؤلف نحوي واحد هو المسند ٠ غير أن لكل جملة معنى فرعيا مضافا الى معنى (الاسناد) اكتسب من التغيرات الحاصلة فيما بين هذه الجمل ٠ وهذه التغيرات يوضحها المخطط الآتي :

---

(١٤٩) دلائل الاعجاز : ٦٧ ٠

(١٥٠) دلائل الاعجاز : ٦٧ ٠



والمؤلف النحوى الثانى الذى يعرض له الجرجانى هو : الحال : يقول : « قولك :

١ ـ جاءنى زيد مسرعا

٢ ـ جاءنى (زيد) يسرع

٣ ـ جاءنى (زيد) وهو مسرع

٤ ـ (جاءنى (زيد) هو يسرع

٥ ـ جاءنى (زيد) قد أسرع

٦ ـ جاءنى (زيد) وقد أسرع ٠٠٠ » (١٥١)

ويمكن أن نضيف تفريعا سابعا لهـــذا المؤلف ٠ قوله تعالى : « أو جاءوكم حصرت صدورهم » (١٥٢) ٠

---

(١٥١) دلائل الاعجاز : ٦٧ ٠

(١٥٢) النساء : (٩٠) ٠

يقول الزمخشري : « حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار « قد » (١٥٣) ويعني ذلك أن (الحال) ينطوي على سبع دلالات ، تضاف كل دلالة الى وظيفتها النحوية التي هي : « بيان هيئة الفاعل أو المفعول، وذلك قولك (ضربت زيدا قائما) تجعله حالا من أيهما شئت » (١٥٤) ويعني ذلك أن لدينا مؤلفا نحويا واحدا هو الحال وسبعة مؤلفات دلالية هي الأحوال السبع : وكما يأتي :

الحال النحوي:

(١) بيان هيئة + صفة فاعل
(٢) بيان هيئة + فعل مضارع
(٣) بيان هيئة + جملة اسمية
(٤) بيان هيئة + جملة فعلية مضارعية
(٥) بيان هيئة + قد + فعل ماض
(٦) بيان هيئة + و + قد + فعل ماض
(٧) بيان هيئة + فعل ماض (١٥٥)

وما يهمنا هنا هو فروق المعنى التي تستند الى فروق نوع الصيغ أما الزمن اللغوي في الجمل السبع فهو واحد : الماضي أي بيان حال زيد عند مجيئه في الزمن الماضي ٠ وهذا الزمن مكتسب من صيغة (فعل) : (جاء) ٠ أما الصيغ التي تدخل في تكوين الحال : (فاعِل ، يفعلُ ، فَعلَ) فلا دلالة فيها على الزمن : أو هي مفرغة من الزمن ، القصد من تنوعها : تنوع في معاني الحال ، بما تقدمه من المميزات الحدثية التي أشرنا اليها ٠

والمؤلف الثالث ، الذي يشير اليه الجرجاني ، هو مؤلف الجملة الشرطيه :

قولك : « ان تخرج	أخرج
ان خرجت	خرجت
أن تخرج	فأنا خارج
أنا خارج	ان خرجت
أنا ان خرجت	خارج ٠٠٠ » (١٥٦)

---

(١٥٣) الكشاف : ١ : ٥٥٣ ٠
(١٥٤) المفصل : ٦١ ٠
(١٥٥) الانصاف : ١ : ٢٥٢ ٠
(١٥٦) دلائل الاعجاز : ٦٧ ٠

ويهمنا أن نقف عند (التركيب الشرطى) ، ونختبر صور أنماطه التى تدور فيها الصيغ الفعلية والحدثية الملحقة بها ·

وسنجد فى مباحث النحاة ملحظين :

الأول : الملحظ الزمنى · ويمثله سيبويه وتابعوه من النحاة والدارسين المعاصرين ·

الثانى : الملحظ الحدثى ويمثله الجرجانى وتابعوه من النحاة والدلاليين والدارسين المعاصرين ·

الملحظ الزمنى :

وعبارة سيبويه فيه : « فان كنت تريد أن تقرره بأنه قد فعل فان الجزاء لا يكون » (١٥٧) غير أن آخرين ممن اتخذوا من الاستعمال اللغوى معيارا ، نصوا على أزمان أخرى للشرط فقد لاحظ (ابن الحاجب) انه : « قد يستعمل الفعل الواقع شرطا « أن » وغيرها فى مطلق الزمان (١٥٨) · مجازا نحو « وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم » (١٥٩) فيدخل الماضى والمستقبل » (١٦٠) وقد استعمل ابن الحاجب كلمة (مجازا) لتفادى الخروج على المقرر : وهو الزمن المستقبل · وجعل المبرد « لو » شرطا فيما مضى » (١٦١) · ولاحظ الفراء أن« كان » وهى من أهم قرائن الزمن فى العربية لا يتأتى لها دور داخل التركيب الشرطى · قال : « وكان قد يبطل فى المعنى لأن القائل يقول : «ان كنت تعطينى سألتك » ، فيكون كقولك : « ان أعطيتنى سألتك » (١٦٢) لكن نسب الى أبى العباس المبرد مذهبه فى أن « ان » تقلب الماضى الى الاستقبال الا « كان » وحدها لأنها كأنها أصل فى الأفعال الماضية ، فلم تقو « ان » على قلبها » (١٦٣) ووردت الاشارة ذاتها عند (القيسى) : « الا » « كان » لقوة « كان » وكثرة تصرفها » (١٦٤) · ومثل ذلك قال الرضى « كان » للشرط فى

---

(١٥٧) الكتاب : ٣ : ٩٥ ·

(١٥٨) كما لاحظنا فان مصطلح (مطلق الزمان) يعنى لغويا (الخلو من الزمان) ·· انظر : ص ٥٦ : من هذا الفصل ·

(١٥٩) محمد : ٣٦ ·

(١٦٠) حاشية الصبان : ١ : ١٦

(١٦١) التوطئة : ١٣٥ ·

(١٦٢) معانى القرآن : ٢ : ٥ ، ٦ ·

(١٦٣) التوطئة : ١٣٦ ·

(١٦٤) مشكل اعراب القرآن : ١ : ٣٨٥ ·

الماضي وهو مذهب المبرد وهو الحق بدليـــل قوله تعـالى : « ان كنت قلته (١٦٥) » ، (١٦٦) ونص فى موضع آخر على أن « الشرط والجزاء اما فى المستقبل أو فى الماضى » (١٦٧) ونص فى موضع ثالث على ان « لو » قد تكون للاســـــتمرار كما فى « اذا » • قال على (ع) « لو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى اليهما ثالثا » (١٦٨) •

وهكذا فان النحاة لا يتفقون ، بسبب من الاستعمالات اللغوية ، على « زمن » معين يخصون به التركيب الشرطى • فهم يذكرون :

١ ـ المستقبل ٢ ـ الماضي ٣ ـ مطلق الزمن ٤ ـ المستمر فى الزمن •

فاذا انتقلنا الى المعاصرين : وجدنا :

١ ـ الرأى الذى يتابع أغلب النحاة فى أن زمن الشرط « لابد أن يخلص للمستقبل المحض » (١٦٩) أو « أن الشرط : هو : كلا الحدثين لم يقع » (١٧٠) •

٢ ـ أن الشرط يقع فى المستقبل والحاضر ، وجنسا ثانيا منـــه يقع فى الماضى » (١٧١) •

٣ ـ أن زمن الشرط مقصور على الحال والاستقبال وهو ما ذهب اليه الدكتور تمام حسان : مشعرا أن الصيغة الفعلية لا تتضمن اشــارة الى زمن •• وانما الذى يفصح عن الزمن الحال أو الاستقبال : هو الظرف وقد عبر عن ذلك ما اتخذه الدكتور تمام من جدول زمنى كما يأتى :

---

(١٦٥) المائدة : ١١٦ •

(١٦٦) شرح الكافية : ٢ : ٢٦٥ •

(١٦٧) المصدر السابق : ٢ : ٢٣٦ •

(١٦٨) المصدر نفسه : ٢ : ١٠٩ •

(١٦٩) النحو الوافى : ٤ : ٣٩٦ •

(١٧٠) اللغة العربية المعاصرة : ١٠٣

(١٧١) التطور النحوى للعربية : ١٣٥ •

نوع الجمل	الزمن	الجهة	فعـل	يفعل	افعل
الشرط	الحال	كل الجهات	ان زيـد قام الآن	ان يقم زيـد الآن	–
	الاستقبال	كل الجهات	ان زيـد قام غـدا	ان يقم زيـد غدا	–

(١٧٢).

ولم ينر النحاة القدماء والدارسون المعاصرون فى هذا الملحظ قضية تغاير الصيغ : فام يضعنا الدكتور تمام حسان أمام مغزى وجود تركيبين فى اللغة : هما : « ان يقم زيد غدا » و « ان قام زيد غدا » ؛ متطابقين تمام التطابق فى المعنى والزمن ، فى حين تختلف الصيغتان شكلا . وكأن هذا الاختلاف لا يؤدى الى اختلاف فى الزمن : (يقم غدا) ، (قام غدا)، بل ان الدكتـــور تمام يشـــعرنا بأن الزمن الشرطى ينصرف الى الحاضر والمستقبل التزاما وليس هو من خاصية الصيغ : وكأن الصيغ مفرغة من الزمن .

وقبل الدكتور تمام لم يعن « سيبويه » بظاهرة تغاير الصيغ داخل التركيب الشرطى والمعنى والزمن واحد :

بل نظر اليها من زاوية (التجانس) بوصف التركيب الشرطى واقعا على حدثين ينبغى أن يشاكل أحدهما الآخر قال : « فأحسن الكلام أن يكون الجواب (أفعل) لأنه نظيره فى الفعل . واذا قال (فعلت) ، فأحسن الكلام أن تقول (فعلت) لأنه مثله . . » (١٧٣) . وقال : « ضعف (فعلت) مع (أفعل) و (أفعل) مع (فعلت) » (١٧٤) .

---

(١٧٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥١ ، ٢٥٢ .
(١٧٣) الكتاب : ٣ : ٩١ .
(١٧٤) المصدر السابق : ٣ : ٩٢ .

الملحظ الحدثي :

انصب جهد (الجرجاني) كما لاحظنا (١٧٥) في وجوه الأبواب وفروقها على ملاحظة ظاهرة تغاير الصيغ في المؤلف النحوي الواحد : وقد اتخذ هذا الملحظ خطا عند بعض الباحثين : يقول الخطيب القزويني : بعد أن جعل دلالة أداة الشرط « ان » عدم الجزم بوقوع الشرط ، وأصل « اذا » الجزم بوقوعه » (١٧٦) : « ولذلك كان النادر (أي المضارع) موقعــا لـ « ان » وغلب لفظ الماضي مع « اذا » (١٧٧) » ٠

ويعلل ابن جنى مجيء صيغ « الماضي » في الشرط بـ : « تحقيقـا وتثبيتا له » (١٧٨) ٠

ويعني هذا أن الصيغ تفقد دلالاتها الزمنية في الشرط على رأي ابن جنى حتى « جاز أن يقع بعضها موقع بعض » (١٧٩) ٠

أما من المعاصرين الذين أشاروا الى دلالة الأفعال الحدثية لا الزمنية فالدكتور مصطفى جواد قال : « الفعل المعبر عنه بفعل الشرط اذا كثر حدوثه استعمل الماضي ، واذا قل حدوثه استعمل المضارع ، فالماضي أولى بالكثير لأنه كالحادث ، والمضارع أولى بالقليل لأنه لم يحدث » (١٨٠) ٠

ومثل ذلك اشارة الدكتور المخزومي « المتكلم باستعماله صيغة الماضي يوهم السامع برجحان أحد الطرفين على الآخر » (١٨١) ٠

وليس من هدف هذه الدراسة التوسع في بحث دلالة الصيغ والجمل والأدوات ومفهومات هذه الدلالة ، عدا الدلالة الزمنية ٠

فماذا تقدم لنا تحليلات الملحظين السابقين ؟ ٠

انها تقف عند حقيقة لغوية ، غير أنها ، لمقتضيات المنهج ومقرراته ، تسلك في تفصيل مخل ، متناقض النتائج ٠ وهذه الحقيقة اللغوية انتهى اليها الدكتور مهدي المخزومي ؛ فقد رأى : « أن الفعل الذي يلي أدوات

---

(١٧٥) انظر : ٧٢ من هذا الفصل ٠ مضمون الهامش : ١٤٨ ٠
(١٧٦) التلخيص : ١٠٩ ٠
(١٧٧) التلخيص : ١٠٩ ٠
(١٧٨) الخصائص : ٣ : ٣٣١ ٠
(١٧٩) الخصائص : ٣ : ٣٣١ ٠
(١٨٠) المباحث اللغوية في العراق : ٤٨ ٠
(١٨١) في النحو العربي ، نقد وتوجيه : ٢٩٦ ، وعبارته (يوهم) غير دقيقة ٠ فالمتكلم يهدف الى الايصال لا الايهام ٠

الشرط خلو من الدلالة على الزمان ، سواء أكان على (يفعـــل) أم على (فعل) » (١٨٢) ٠

ولو أن النحاة والدارسين المعاصرين تنبهوا الى هذه الحقيقة لما وقعوا فيما سبقت الاشارة اليه من تناقض ، وكأن عز عليهم أن يروا (الفعل) يتخلى عن مقومه (الزمن) ، أو أن تناقض هذه النتيجة مقـدمة خلاف المثل (١٨٣) ٠ أو ينعدم الفارق بين الأفعال والمصادر ٠ وهذه الاعتراضات قد أجيب عنها في مواضعها من هذا الفصل ٠ وسنستدل على رأى خلو الصيغ من الزمن بعد أدوات الشرط بما يأتى :

١ ـ سنورد تراكيب شرطية متطابقة العناصر ٠

اذا + فعل ماض

وسنحاول تعيين أزمنتها :

(أ) قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض » (١٨٤) ٠

(معنى اذا متى ٠ كأنه قال « متى ضربوا فى الأرض) ٠ أى هـــذا دأبهم ٠ كلما خرجوا ضاربين فى الأرض قالوا : هذا الكلام » (١٨٥) ٠ فزمن الآية هو ، وفق التحليل السابق ، مطلق الزمان ٠

(ب) قوله تعالى « واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها » (١٨٦) ٠

(اذا) وقعت للماضى ٠ فان الآية نزلت بعد انفضاضهم » (١٨٧) ٠

(ج) قوله تعـــالى : « اذا وقعت الواقعـــة » (١٨٨) « والمـــراد القيامة » (١٨٩) ويتضح أن زمن الآية هو المستقبل ٠

ان التنوع الزمنى يعنى أن الزمن لا يصدر عن الشرط بوصفه أسلوبا

---

(١٨٢) فى النحو العربى ، نقد وتوجيه : ٢٩٦ ٠

(١٨٣) عبارة ابن جنى : « خولف بين مثلها » الخصائص /٣/٣٣١ أى بين اشـــكال صيغها ٠

(١٨٤) آل عمران : ١٥٦ ٠

(١٨٥) اعراب القرآن : ٣ : ٨٩٣ ٠

(١٨٦) الجمعة : ١١ ٠

(١٨٧) همع الهوامع : ١ : ٢٠٦ ٠

(١٨٨) الواقعة : ١ ٠

(١٨٩) الكشاف : ٤ : ٥١ ٠

لغويا ، ولا عن الأفعال بوصفها صيغا زمنية ، ولا عن الأدوات بوصفها قرائن زمنية · بل عن ظرف السياق ودلالاته ·

٢ ــ سنعرض لفروق الدلالة بين (ان) و (اذا) · اذ فرق بينهما بأن « اذا » واجبة و (ان) مشكوك فى فعلها · فيجوز وقوعه ولا يجب » (١٩٠) · فكأنه وفق هذه القيمة تندرج صيغ « المضارع » تحت « ان » وتندرج صيغ « الماضى » تحت « اذا » كما صرح الخطيب القزوينى · (١٩١) فاذا تناولنا فعلى « مات » و « يموت » ، ولاحظنا استعمالهما الشرطى فى القرآن وجدنا أن صيغة « الماضى » وحدها ترد بعد « ان » و « اذا » سواء فكأن مادة هذا الفعل « الموت » تشير الى كونه حقيقة من حقائق الوجود مقطوعا بوقوعها على نحو يتخطى معه دلالة « ان » التى هى للمشكوك فيه » (١٩٢) : فهذا دليل على أن الدلالة الحدثية في التركيب الشرطى هي مدار وجود الصيغ بعد أدوات الشرط ·

٣ ــ يستوعب أسلوب الشرط فى العربية : التشريعات والأحكام والتجارب « الأمثال » وحقائق الوجود والطبيعة ·· الخ وكل ما يتصف بما هو عام : خال من الزمن اللغوى أو واقع فى جميع أزمنة الوجود · فقد انطوت سورة (النساء) وهى فى (١٧٦/آية) (ست وسبعين ومائة آية) على ١١٥/ خمس عشرة ومائة جملة شرطية · وهى سورة تعنى بالأحكام التى تعين ثابتا (خارج الزمان : لغويا ، وفي مطلق الزمان وجوديا) ، فنلاحظ فى هذه السورة ثلاثة تركيبات : اسمية ، فعلية ، شرطية :

١ ــ « للذكر مثل حظ الأنثيين » ··· (١٩٣)

٢ ــ « **حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت** ·· » الآية (١٩٤) ·

٣ ــ « فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد ··· » الآية (١٩٥) ·

---

(١٩٠) اعراب القرآن : ٣ : ٨٨٦ ·
(١٩١) ينظر التلخيص فى علوم البلاغة : ١٠٩ ·
(١٩٢) شرح المفصل : ٩ : ٤ ·
(١٩٣) النساء : ١١
(١٩٤) النساء : ٢٣ ·
(١٩٥) النساء : ١١ ·

ويمكن اجراء تحـوير فى التركيبين الثـــانى والثالث لتحويلهما الى الاسمية (التى لا تشير الى زمن) ·

ـ للذكر مثل حظ الأنثيين

ـ الأمهات والبنات والأخوات حرام ···

ـ النساء فوق اثنتين لهن ثلثا ما ترك ·

ـ للمرأة الواحدة ········· الخ

والخلاصة أن الصيغ فى اللغة العربية تخلو من الدلالة على زمن فى المستوى الصرفى فاذا وضعنا بازائها (قيمة) عددية فان هذه القيمة هى : صفر · أما فى المستوى النحوى فقد تستمر الصيغ بالقيمة الصرفية ذاتها : أى الصفر الزمنى · وقد يتحرك قسم من هذه الصيغ ـ وهذا القسم ، على وجه الخصوص ، الصيغ الفعلية باستثناء صيغة الطلب ، كما سنرى ـ ليدل على زمن · فاذا دل على زمن ، أى قصد الى الزمن من ذات الصيغة ، فان صيغة (فعل) تدل على الماضى ، وصيغة (يفعل) تدل على الحاضر . ولا صيغة للمستقبل فى اللغة العربية ·

الزمن النحوى

تقـــدمة :

يرى كثير من الباحثـــين أن الزمن اللغوى فصـــيلة من فصائل النحـو (١) ، وأنه فى العربيـــة خاصـــة ، لا يمكن أن ينتسب الا الى السياق (٢) • فاذا تجاوزنا ما اصطلح عليه ب « الزمن الصرفى » وقعنا على شبكة زمنية تتخذ نسيجها من الصيغ الفعلية ، وما يتولد عنها من اتجاهات نحوية جديدة ، وما يضاف اليها من صيغ حدثية غير فعلية ، وصيغ مركبة ، وقرائن ، مع ملاحظة الجمل والأساليب اللغوية التى تقبع فيها تلك الأنواع من الصيغ • كما أن كل ذلك ، أعنى امكانات السياق الزمنية ، يرتبط ، من جهة الدلالة بسياق الحال (٣) • ومن هذا المنطلق وجه البحث المعاصر نقدا مريرا الى الرأى الذى يرى أن الصيغة المنعزلة وحدها ، تكون الزمن فى اللغة العربية •

بل على النقيض من ذلك ، رأى أنه لا يوجد فى العربية ما يمكن أن نسميه زمنا صرفيا • وبعبارة أخرى رفض البحث المعاصر أن تجرى مقولة الزمان (متى) على « الفعل » بلا مراعاة لاستعمالاته •

ويمكن أن نوجز اتجاهات البحث فى هذا الفصــــل ، عبر محاولة الباحثين المعاصرين تنظيم فصيلة الزمن فى العربية ، على أساس نحوى ونفى الزمن الصرفى عنها ، والنظر الى التصريف الفعلى من جهة حدثه اللازمنى تارة ، ومن جهة حدثه الزمنى تارة أخرى ، أقول يمكن ايجاز اتجاهات البحث بما يأتى :

١ ــ نقد المستشرقين •
٢ ــ نقد النحاة القدماء •
٣ ــ البحث فى مدخل نظرى الى الزمن النحوى •
٤ ــ نقد الجداول الزمنية •

---

(١) ينظر اللغة : ١٢٥ •
(٢) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ •
(٣) سنعرض لما اصـــطلحنا عليه بـ« الزمن الدلالى » فى فصل قادم •

نقد المستشرقين :

ان أهم ما نستخلصه من آراء المستشرقين والمعنيين بالدراسات المقارنة ، التى عنيت بدراسة الصيغة الزمنية فى العربية ، فى اطارها التاريخى وهو ما عرضنا له فى الفصل الأول (٤) أمران :

الأول : أنها عنيت بدراسة التطور التاريخى للصيغ الزمنية ، وأقامت عليها نتائج استدلت بها على فقر العربية من ناحية الزمن ، كما فسرت بها ، كيف يمتد هذا الفقر الى الصيغ فى أثناء الاستعمال ، أى الصيغ الزمنية فى مستواها النحوى ·

الثانى : أنها نظرت الى الزمن ، فى اللغة العربية من خلال « الفعل » وتطور دلالته الزمنية ، والتغيير الذى يصيب صيغه ·

ويعنى ذلك أن فكرة الزمن عند المستشرقين يعبر عنها فى العربية ، الفعل سواء أكان شكلا form خارج الاستعمال ، أم شكلا ذا دلالات متباينة فى أثناء الاستعمال · وبمعنى آخر فان هؤلاء الأعلام لم يكتفوا بملاحظة أبنية الفعل الصرفية وانما تعقبوا أوجه استعمالها فى السياق ، وسنرى ذلك بتفصيل فيما نستقبل من هذا البحث ولقد انقسم الباحثون العرب المعاصرون بازاء آراء المستشرقين ، فالأغلب واجهها مواجهة منفعلة لما أحس به من أنها تعيب اللغة العربية (٥) أو الأجرومية العربية (٦) فلم يترو بفحصها ، ولم ينظر اليها بكونها وصفا لبنية لغوية متعاقبة ، فاتسمت أحكامه بالتناقض ، بل انها ، وهذا وجه من وجوه المفارقة ، عادت وصدرت عن آراء المستشرقين أنفسهم ·

فالدكتور ابراهيم السامرائى الذى يعرض لهذه المسألة بقوله : « انه ليس صحيحا ما يقوله جماعة من الباحثين الأعاجم من أن الزمان ليس شيئا أصيلا ، وأن اقتران الفعل العربى به حديث النشأة » (٧) · وينتهى الى أن « الباحثين استفادوا الاستدلال على الزمان بصيغ عدة » (٨) يعود ،

---

(٤) ينظر الفصل الأول : ص ٣٤ ·

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤٩ ·

(٦) المصدر السابق / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤٩ ·

(٧) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٣ · وكان على الدكتور السامرائى أن يستند الى « الاطار التاريخى » فى الرد على النتائج التى انتهى اليها المستشرقون اذ أنه أفرد للفعل فى العربية مؤلفا مستقلا ليقرر من زاوية علم اللغة التاريخى أن اقتران الزمان بالفعل العربى قديم النشأة ·

(٨) المصدر السابق : ٢٣ ·

بعد ذلك ، فيقرر ما قرره المستشرقون من قبل ، اذ يقول : « الفعل العربى لا يفصح عن الزمان بصيغه » (٩) • أما الدكتور ابراهيم أنيس فيحاج المستشرقين على النحو الآتى : « ان كل ما أخذه المستشرقون على العربية أن ثلاث صيغ أو صيغتين تعبران عن كل هذه الأزمنة • والواقع أن الأساليب العربية تعبر عن كل هذه الأزمنة جميعا » (١٠) •

والحق أن هذا خلط للأوراق كما يقال ، فالدكتور ابراهيم أنيس جعل زمن اللغة العربية مناطا بالأساليب ـ التى تعنى عنده طرائق التأليف اللغوى ـ وهو أمر يشير الى وجه من وجوه نفى الزمنية عن العربية •

فاللغة الزمنية هى التى تنطوى على سلم من الأزمان المتنوعة ، على عبارة فندريس (١١) يستند الى « الصيغ » أو الى نسق من الصيغ البسيطة والمركبة •

أما اللغة التى تستند الى الأساليب فى التعبير عن الزمن فلا تنطوى على نسق ، بل على دلالات عامة تترشح عن التراكيب اللغوية • ولسنا نعنى بالحكم على أن لغة ما فقيرة زمنيا ، أو أنها لغة لا زمنية ، أن هناك لغة تخلو من الاشارة الى الزمن ، فهذا أمر يناقض منطق اللغات •

ان كل ما نعنيه أن هناك بنية لغوية ، تنطوى على نسق زمنى نسيجه « الصيغ » • وأن هناك بنية لغوية أخرى لا تنطوى على مثل هذا النسق ، بل تتوسل الى ذلك بوسائل عامة لا يمكن تحديدها • ولعل ذلك يفسر كيف أن المستشرقين لم يعرضوا لزمن الأساليب ، بل عرضوا لزمن الصيغ الفعلية • وهو العرض الذى يمكن أن يوجه اليهم النقد منه ، كما سنرى •

ان الدكتور ابراهيم أنيس الذى حاج المستشرقين ينتهى ، فى مؤلفه (من أسرار اللغة) وهو يناقش زمن العربية ، الى ما انتهى اليه المستشرقون من قبل فهو يرى « أن الربط بين الصيغ والفكرة الزمنية غير وثيق فى اللغات السامية » (١٢) وصرح فى موضع آخر بقوله « لا شك أن ربط الصيغة بزمن معين يحملنا فى العربية على الكثير من التكلف

---

(٩) المصدر نفسه : ٢٤ •
(١٠) الزمن فى اللغة العربية ـ مستل : ٥٠ •
(١١) اللغة : ١٣٥ •
(١٢) من أسرار اللغة : ١٦٨ •

والتعسف » (١٣) وهي آراء تتطابق مع ما صرح به المستشرقون ان لم تكن قد نقلت عنهم نقلا (١٤) ٠

ونتضح المسألة بصورة أدق على يد واحد من أبرز المثقفين العرب في عصرنا هذا ، وهو الأستاذ عباس محمود العقاد ؛ فهو ، بسبب من دفعه عن اللغة العربية ما تراءى له ، نقصا أريد الصاقه بها ، يتخطى فحص بنية العربية ليقدم لنا ما يشعر به نحو تلك البنية ٠ يقول : « من قبيل هذا النقص ما نسب الى لغتنـــا من نقص الدلالة على الزمن في صـــوره المختلفة » (١٥) ٠

والحق أن أيا من المستشرقين لم ينسب الى العربية نقصا في دلالتها على الزمن في صور مختلفة ، بل في صورة واحدة هي صورة صيغها ٠ وقد جاء ذلك في سياق وصف البنى المشتركة للغات السامية ، وأجمع على أن تعبير (الفعل) عن الزمن في هذه اللغات محدود جدا ٠ وذلك ما يشير اليه العقاد نفسه ، على الرغم من أنه يمسه مسا سريعا ٠ يقول : « وقد شاع بين اللغويين المختصين بدراسة تواريخ الألسنة في الغرب ، أن اللغات السامية ناقصة في دلالة الزمن أي في دلالة الأفعال على الأزمنة ، وفي اللغة العربية ، على تفاوت بينها وبين الفروع الأخرى من الأرومة المشهورة باسم اللسان السامي أو لسان السامية » (١٦) ٠

وقد فات أستاذنا الكبير أن يفرق بين نقص لغة في الدلالة على الزمن ، ونقص أشـــكال الفعـــل في الدلالة ذاتها ٠ ومع ذلك فقـــد رد على رأي المستشرقين السالف بقوله : (ربما ساغ هذا القول عن اللغة العربية في عقول المتعجلين من مصدقيه ، لأنهم توهموا أن هذه اللغة نشأت في صحراء خاوية لا قيمة للوقت عند أهلها » (١٧) . وبين في موضع ثان : « أن الزمن الماضي مهم عند أبناء البادية العربية ، في كل عهد من عهوده ، لأنه مستودع المفاخر والأنساب والثارات والسوابق والذكريات » (١٨) ٠

واضح أن رد الأستاذ العقاد يتعلق بزمن ذي سمات وجودية وأدبية.

---

(١٣) من أسرار اللغة : ١٧٢ ٠

(١٤) ينظر مبحث (الفكرة الزمنية في اللغة) في مؤلف الدكتور ابراهيم أنيس (من أسرار اللغة : ١٦٤) ٠

(١٥) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ٤٤ ٠

(١٦) الزمن في اللغة العربية ــ مستل : ٣٧ ٠

(١٧) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٣٨ ٠

(١٨) المصدر السابق : ١٤ : ٣٩ ٠

انه يعبر ، هنا ، عن الاحساس بالوقت ، ولا يحكم على الزمن بوصفه جزءا فى بنية لغوية ٠

بل أن مسألة نقص العربية الزمنى ، وجدت مجالها فى بحوث غير اللغويين فالدكتور « زكى الجابر » ، وهو من الباحثين فى حقل الاعلام ، يعرض لظواهر لغوية واعلامية فى خط واحد ، وفق قاعدة التلازم والتأثير المتبادل بين الظواهر الاجتماعية ٠

يثير الدكتور زكى الجابر قضية «الزمن والفعل» (١٩)٠ ومن ثم يعرض لما سماه « الأقاويل » فى تفسير « عدم وضوح زمان الفعل » (٢٠) ومنها : « أن دقة التعبير وليدة المجتمع الصناعى » ٠ و « صورة هذا المجتمع تختلف عن صورة المجتمع الفلاحى ، حيث لا يتقيد الانسان بقيـــود الدقة فى الزمن » (٢١) ٠

ويرد الدكتور زكى الجابر على هذا التفسير بقوله : « وليس من الانصاف تحميل التركيب العربى أوزار عدم احترام الزمن » (٢٢) الا أنه يعود فيقرر : « أن فساد الواقع العربى شمل فيما شمل الاســـتعمال اللغوى » (٢٣) ٠

ان تلمس أسباب ظاهرة لغوية يفترض أولا فحص تلك الظاهرة فى اطارها الذى توجد فيه ، أى فى لغتها التى هى فيها الآن ، وفى سياقها اللغوى التاريخى ولا يمكن تلمسها فى اطار ظاهرة اجتماعية ، وافتراض تأثير تلك الظاهرة الاجتماعية فى اللغة ، للوصول الى أحكام لغوية كما فعل الدكتور زكى الجابر ٠ ومن هنا ينبغى أن نفرق بين احساس بدوى ، قديما ، أو فلاح حديثا بالزمن بوصفه حركة الوجود فى المكان ، وتعبير ذاك البدوى ، وهذا الفلاح عن الزمن بصيغه اللغوية والخلط بينهما ، أو حتى الاشارة اليهما معا يدرس خارج منهج علم اللغة ٠

ان كل ما تقدم من آراء تنطلق من افتراض وجود نقص فى اللغة ، وهو منطق غير صائب ، اذ لا يوجد أبدا نقص لغوى أو تفوق لغوى ، بل تنظيم لغوى ٠

---

(١٩) جريدة السياسة الكويتية : ١٩
(٢٠) جريدة السياسة الكويتية : ١٩
(٢١) جريدة السياسة الكويتية : ١٩
(٢٢) جريدة السياسة الكويتية : ١٩
(٢٣) جريدة السياسة الكويتية : ١٩

وعلى أية حال فقد كان هناك باحثون عرب ناقشوا ملاحظات المستشرقين فى زمن اللغة العربية ، مناقشة منهجية ، متفادين الانطلاق من كون هذه الملاحظات تهما • ونذكر هاهنا ما عرض له الدكتور مهدى المخزومى فى مؤلفه «فى النحو العربى نقد وتوجيه» والدكتور طاهر سليمان حمودة فى مؤلفه « ابن قيم الجوزية جهوده فى الدرس اللغوى » •

فصل الدكتور مهدى المخزومى آراء المستشرق (وليم رايت التى وردت فى مؤلفه « قواعد اللغة العربية » •

ان رايت يوجه نقدا الى النحاة العرب القدماء الذين كما يرى « علقوا أهمية لا ضرورة لها على فكرة الزمن فى ذاتها وارتباطه بأشكال الفعل ، وذلك بتقسيمهم الزمن الى الماضى والحاضر والمستقبل ، ثم خصوا الفعل الماضى بفكرة الزمن الماضى والفعل المضارع بفكرتى الزمن الحاضر والمستقبل » (٢٤) •

ويعلق الدكتور المخزومى على ذلك بقوله : « ان رايت ينظر الى تقسيم سيبويه (٢٥) وتقسيم ابن يعيش (٢٦) ثم يخلص الدكتور المخزومى الى أن رايت على حق فى ملاحظته تلك • ويرى أن الحق يأتيها من جهتين :

الأولى : ان النحاة لم يعيروا دلالة الفعل على الزمن ما ينبغى أن تعار (٢٧) •

الثانية : أن الفعل العربى القديم لم يعهد فيه غير تينك الصيغتين البسيطتين صيغة (فعل) وصيغة (يفعل) • وهذا مظهر من مظاهر الفعل فى مرحلته القديمة (٢٨) ولكن الدكتور المخزومى يأخذ على (رايت) أنه لم يحاول التفريق بين زمن اللغة العربية كما هو وزمن اللغة العربية كما قرره النحاة : « ففاته ما فات القدماء أيضا من نظر الى تعبيرات مختلفة طواها اهمال النحاة وخلطهم فيها » (٢٩) •

أما الدكتور طاهر سليمان حمودة فقد وجد أن « ما قرره فندريس صحيح من الناحية الصرفية ، ولكن فندريس غير دقيق فيما رمى به العربية واللغات السامية من افتقارها الى وسائل التمييز بين الأزمنة المختلفة ،

---

(٢٤) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤٦ •
(٢٥) ينظر الكتاب : ١ : ١٢ •
(٢٦) ينظر شرح المفصل : ٧ : ٤ •
(٢٧) ينظر فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤٦ •
(٢٨) نفسه : ١٤٨ •
(٢٩) فى النحو العربى : نقد وتوجيه : ١٤٧ •

وعلل ذلك بأن الزمن النحوى وظيفته فى السياق . يؤديه الفعل أو الصفة أو ما نقل الى الفعل من الأقسام الأخرى » (٣٠) ٠

وعزا الدكتور حمودة انجرار فندريس الى هذا الوهم ، الى « قلة عناية النحاة العرب برصد الفروق الزمنية الدقيقة » (٣١) ٠

والواضح أن كلا الباحثين انتهيا الى أن المستشرقين والمعنيين بالدراسات المقارنة لم يفحصوا بنية العربية نحويا وهم ينقبون عن زمنها ، بل نظروا الى صيغ الفعل العربى فى نظامه الصرفى كما رأى الدكتور حمودة أو فى نظامه الصرفى (٣٢) وسياقه التاريخى كما رأى الدكتور المخزومى ، أو أنهم درسوا قواعد النحاة وأحكامهم ولم يبحثوا العربية كما هى ، بتأثير تلك القواعد تحت وهم افتقار العربية الى وسائل التمييز بين الأزمنة المختلفة ، ورأى الباحثان أن الانتقال الى السياق وملاحظة أوجه الاستعمال اللغوى سيرينا أن العربية غنية بالوسائل التى تميز بين الأزمنة المختلفة ٠

وهكذا ينتهى الكثير من الباحثين العرب المعاصرين الى أن أحكام المستشرقين والنحاة العرب القدماء ، تتسم بالنظرة الجزئيــة ، وكأن المستشرقين والنحاة العرب كانوا ينظرون الى الزمن فى اللغة العربية بعين واحدة هى عين الصرفى ويغلقون الأخرى وهى عين النحوى ٠ لكن سنرى ، فيما نعرض له من ملاحظات النحاة القدماء حول الزمن النحوى ، وما نعرض له الآن من آراء المستشرقين أنهم أى المستشرقين لم يكونوا بأقل شأنا من هؤلاء الذين ينظرون ، كما ينسبون لأنفسهم ، نظرا شاملا ٠ والفرق الرئيسى يكمن فى زاوية النظر التى ينظر منها كل فريق ٠

ان فندريس بما يسوقه من أمثلة فى اللغات السامية يكشف عن وضع الصيغ الزمنية فى أثناء الاستعمال ، ويدحض بذلك الزعم القائل أن المعنيين بالدراسات المقارنة والمستشرقين نجحوا فى تطبيق فكرتهم الزمنية على (الفعل) خارج الاستعمال أو تحت تأثير القواعد النحوية العربية القديمة ٠ يقول : « فالآشورية مثلا تستعمل التام (الماضى) فى معنى الحاضر والمستقبل ، وفى العربية يعبر غير التام (المضارع) عن

---

(٣٠) ابن قيم الجوزية : جهوده فى الدرس اللغوى : ١١١ ٠

(٣١) ابن قيم الجوزية : جهوده فى الدرس اللغوى : ١١٢ ٠

(٣٢) تفادى الدكتور « مهدى المخزومى » فى بحثه : « الصيغ الزمنية فى العربية » الذى ضمه مؤلفه : « فى النحو العربى : نقد وتوجيه ، ذكر « الزمن الصرفى » ولكنه ببنائه جدوله الزمنى على الاستعمال : ص ١٥٤ ، ألمح الى أن الزمن عنده زمن النحو وليس زمن الصرف ٠

معنى الحاضر والمستقبل ، وفى العبرية نرى الصيغة المسماة خطأ بصيغة الاستقبال تستعمل للتعبير عن الماضى » (٣٣) وينص بروكلمان على أن استعمالات زمن الماضى + Perfekt والمضارع + Imperfekt » تذكر بالتفصيل فى علاقات الجملة Syntax » (٣٤) ٠

بل ان بول كراوس يتخذ من دراسة الصيغ الفعلية فى السياق مظهرا من مظاهر فقر العربية فى التعبير عن الأزمنة المختلفة (٣٥) ٠ كذلك أشار وليم رايت فى ملاحظته الزمن النحوى فى اللغات السامية الى قضية ما أسماه « العلاقات الزمنية » التى تحيط بالفعل السامى ، فقد وجد « أن هذه العلاقات الزمنية نفسها هى التى تحدد المجال الزمنى الذى يقع فيه الفعل التام أو غير التام فى السامية » (٣٦) ويعنى ذلك أن رأيت ، الذى لم يكشف طبيعة تلك « العلاقات الزمنية » ، رأى أن البنية النحوية تنطوى على مظهر زمنى نسيجه الأفعال وما يحيط بها من العلاقات ٠

وهكذا يتضح بطلان الزعم القائل أن المستشرقين والمعنيين بالدراسات المقارنة نظروا الى الزمن فى اللغات السامية خارج الاستعمال ، بل على العكس مما تصوره الباحثون العرب المعاصرون ، وجدوا فى الاستعمال اللغوى ما يؤيد تصورهم عن زمن اللغات السامية ٠

أما الباحث فيجد أن ما يؤخذ على النتائج التى انتهى اليها المستشرقون لا يكمن فى أنهم غفلوا عن فحص البنية النحوية أو أنهم قصروا نظرهم على المراحل التاريخية القديمة لدلالة الفعل السامى الزمنية أو أنهم خضعوا لتأثير أحكام النحاة العرب القدماء ، بل يكمن فى نقطتين رئيسيتين :

الأولى : أنهم درسوا الزمن فى اللغات السامية فى أطواره التاريخية الأولى بوصفه نتاج الفعل (٣٧) وعمموا تلك الدراسة على الأطوار التاريخية اللاحقة ٠ لقد قصدوا أول الأمر الى دراسة اللغات السامية دراسة « تزامنية ؛ تقتصر على النظر الى حالات لغوية ثابتة » (٣٨) هى حالة اللغات السامية فى أطوارها التاريخية المبكرة ، ولكنهم حين عرضوا

---

(٣٣) اللغة : ١٣٧ ٠

(٣٤) فقه اللغات السامية : ١١٣ ٠

(٣٥) محاضرات فى فقه اللغة : مخطوطة : ٣٣ ٠

(٣٦) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤٦ ٠

(٣٧) وهذا هو تمام رأى الدكتور مهدى المخزومى ٠ انظر مضمون الهامش ٢٨ من هذا الفصل ٠

(٣٨) مشكلة البنية : ٥٢ ، ٥٣ ٠

للغات السامية التى قطعت أشواطا زمنية ، وأخذت كل لغة تبتعد ، بخصائص بنيتها عن الأخرى ، وفحصوا مظاهر الزمن فيها ، كشفوا عن قصد آخر هو دراسة تلك اللغات دراسة « تعاقبية » (٣٩) أى من وجهة نظر تاريخية « تحرص على وصف تطور اللغات » (٤٠) وبمعنى آخر ، جعلوا من نتائج دراسة وصفية ، نتائج دراسة تاريخية لا تستند الى التعاقب (٤١) .

الثانية : أنهم ربطوا الزمن فى الساميات ب « الفعل » ، بصيغتيه البسيطتين « فعل » و « يفعل » اللتين تريان وحدهما خارج الاستعمال (٤٢) وحين فحصوا البنية النحوية للعربية لم يلتفتوا الا الى صيغ الأفعال البسيطة ، حين يعبر حدثها عن زمن ، وحين يتجرد من الزمن ويبقى على دلالته الفعلية (التمامية ، وغير التمامية) اذا تقاذفته أمواج الدلالة فى السياق ، ان جاز لنا أن نقول هذا . ولم يصدر عنهم (٤٣) ما ينبىء أنهم تعقبوا تلك الاشارات الزمنية التى تنبعث من البنية النحوية العربية التى تعبر عنها الأدوات وهى تأتلف مع الأفعال أو أقسام الكلم الأخرى التى تتحول الى التعبير عن الزمن اللغوى .

نقد النحاة القدماء :

وجه اللغويون المعاصرون العرب ، فى الجانب الثانى ، نقدا شديدا الى النحاة القدماء ومنهجهم فيما يتصل بموضوع الزمن فى اللغة العربية . وسنحاول أن نصنف هنا أسس هذا النقد وعناصره :

١ — يرى الأستاذ ريمون طحان « أن الفكر العربى يميل الى تقسيم الزمن بشكل مواز لما يحدث للمكان . فالمفاهيم المكانية — الزمانية المشتركة — ووجود القريب والمتوسط والبعيد سيؤدى حتما الى الأخذ بتقسيم زمانى مثلث أى تقسيم الزمن الى ماض وحال واستقبال » (٤٤) ويعنى ذلك أن النحاة صدروا عن فكر من خصائصه اقامة مطابقة بين

---

(٣٩) مشكلة البنية : ٥٣ .

(٤٠) المصدر السابق : ٥٣ .

(٤١) حدد العالم اللغوى السويسرى (دى سوسير) فى منهجه وجهتى نظر مختلفتين فى دراسة اللغات : الأولى : تمثل محورا أفقيا ، ليس للزمن فيه أى مدخل ، وهى وجهة النظر الوصفية . والثانية تمثل محورا رأسيا يقوم على أساس التغير الزمنى ، وهى وجهة النظر التاريخية / وانظر مشكلة البنية : ٥٣ .

(٤٢) عدا اشارة بروكلمان التى وردت فى الهامش ٣٧ ص ٣٤ من فصل « الزمن الصرفى » التى أشار فيها الى الزمنين الثالث والرابع .

(٤٣) عدا ما صدر عن المستشرق الألمانى برجشتراسر الذى سيرد ذكره لاحقا .

(٤٤) الألسنية العربية : ٣ : ١٤٨ .

المفاهيم . ومن ثم يمكن أن نستخلص أن هذا الفكر (وهو فكر يتسم بالسكونية والمطلقية ، كما توحي ملاحظة الأستاذ ريمون طحان) قد نقل المطابقة ، من مطابقة بين الزمان والمكان الى مطابقة بين الأنواع الزمنية ، فوحد بين مفهوم الزمن في الوجود ومفهومه في اللغة . وشرح ذلك في النقطة الثانية الآتية :

٢ ـ لم يفصل النحاة بين الزمن بمفهومه الوجودي الفلسفي من جهة والزمن بمفهومه اللغوي من جهة أخرى . ويعقب الدكتور المخزومي على ملاحظات « ابن يعيش » (٤٥) في الزمن بقوله : « لقد وضع ابن يعيش أقسام الزمان الفلسفي أساسا لتقسيم الفعل ولكنه فشل في تطبيق ما أثبت وقرر » (٤٦) وينتهي الدكتور المخزومي في هذه النقطة ، الى حكم عام على النحاة ، فيرى أنهم « لم ينجحوا في تصور أن الزمن النحوي ليس كالزمن الفلسفي الذي يدل على المضي والحضور والاستقبال ، ولكنه (أي الزمن اللغوي) صيغ تدل على وقوع أحداث في مجالات زمنية مختلفة » (٤٧) .

٣ ـ ان نتائج النقطة السابقة وجهت بحوث المستشرقين وجهة خاطئة ، فبدت لهم اللغة العربية فقيرة من حيث ما تمتلك من وسائل للتعبير عن الزمن ، في حين كانت قواعد اللغة العربية التي وضعها النحاة هي المفتقر الحقيقي الى تلك الوسائل (٤٨) .

٤ ـ أن المنهج النحوي القديم اتسم بما يمكن تسميته : « الازدواجية الزمنية » التي نشأت بسبب من الصاق الزمن بالصيغ الفعلية خارج الاستعمال . وما يلحق تلك الصيغ من انحراف في الدلالة على الزمن في أثناء الاستعمال . الأمر الذي اضطر معه أصحاب ذلك المنهج الى أن « يتأولوا من النص الصحيح ما ليس بحاجة (٤٩) الى تأويل أو تخريج » .

فاذا استعمل المضارع مكان الماضي التمسوا في هذا نكتة بلاغية هللوا لها وكبروا » (٥٠) . وقد انتهى بهم كل ذلك الى مواجهة « صعوبات كثيرة في تفسير استعمالات الفعل في غير ما خصوه به من زمان معين » (٥١) .

---

(٤٥) سنأتي على ذكرها في المبحث الخاص بالدراسة التطبيقية .
(٤٦) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١١١ .
(٤٧) المصدر السابق : ١٤٧ .
(٤٨) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٤٦ ، وينظر ابن قيم الجوزية : ١١٢ .
(٤٩) الأصح ما ليس به حاجة .
(٥٠) من أسرار اللغة : ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٥١) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١١٤ .

٥ ـ أن النحاة انتهوا فى بحوثهم الى زمنية الفعل العربى · غير أن المستشرق كراوس توصل الى ما أسماه « هدم زمنية الفعل العربى التى قررها النحاة » (٥٢) ·

٦ ـ أن البحث النحوى القديم يتسم بالنظرة الجزئية فى فحص البنية النحوية العربية لتقرير فصيلة الزمن فيها ، وليس بانعدام تلك النظرة كليا · وهذا الرأى ، الذى يخرج على الآراء السابقة ، ينفرد به الدكتور تمام حسان · (٥٣) يرى الدكتور تمام حسان أن النحاة لم يغفلوا ملاحظة الصيغ الفعلية ودلالاتها الزمنية داخل السياق ، كما نسب اليهم ذلك كثير من الباحثين المعاصرين ، ولكن ملاحظتهم لم تكن شاملة · بل تابعت جانبا من استعمال الصيغ الفعلية فقط ـ وقد وجدوا ـ كما يفترض الدكتور تمام ، ولا ندرى أكان ذلك محض مصادفة ـ أن دلالة الصيغ الزمنية داخل الاستعمال تتطابق مع ما قرر لها من دلالات خارج الاستعمال فجعلهم هذا يقررون أن صيغة (فعل) تدل على الماضى مطلقا و (يفعل) على الحاضر والمستقبل مطلقا و (افعل) على الحاضر والمستقبل مطلقا · وكأن النحاة كما يرى الدكتور تمام حسان ، فحصوا دلالة الصيغ الفعلية على الزمن فى الجمل الخبرية المؤكدة والمثبتة والجمل الانشائية الاستفهامية المثبتة ، فوجدوا أن تلك الصيغ تعبر عن الزمن ذاته الذى تعبر عنه عندما تكون فى خارجها ف « غرر بهم ـ هذا الأمر ـ فلم يعنوا برصد الفروق الزمنية الدقيقة الا فى أضيق حدوده » (٥٤) ·

٧ ـ لم يعن المنهج النحوى القديم بالصيغ التى تعبر عن الزمن ، ولم يلاحظ فيها سوى ما يتصل منها بطبيعة ذلك المنهج · فالفعل الذى هو « كلمة الزمن » (٥٥) « لم يحظ بعناية النحاة · وكان للاسم عندهم منزلة خاصة تفوق ما لأجزاء الكلام الأخرى » ·

فالنحاة يقدمون الاسم فى الذكر حين يعرضون لأقسام الكلمة أما الفعل فلم يتناولوه الا فيما يتعلق بكونه يؤثر فى الاسم ويعمل فيه ، لأنه أقوى العوامل ولأنه الأصل فى العمل » (٥٦) ·

---

(٥٢) محاضرات فى فقه اللغة ، مخطوطة : ٣٤ وقد فصلنا ذلك فى فصل « امكانات الصيغة » ·

(٥٣) انظر تفصيل ذلك فى بحثه الزمن والجهة : اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٤٠ ·

(٥٤) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٨ ·

(٥٥) يطلق على الفعل فى الألمانية Zeitwork أى كلمة الزمن ـ انظر اللغة : ١٣٥ ·

(٥٦) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤١ ·

وقد أدى ذلك الى أن ينشغل النحاة « بمسألة العمل فى الفعل ، ومسألة الاعراب ، ولم يولوا فكرة اعراب الفعل عن الزمان العناية اللازمة » (٥٧) ٠

٨ ـ يتسم المنهج النحوى بنقص مصطلحاته الزمنية « كالماضى المستمر والماضى المنقطع » (٥٨) ٠ أى أن أشكال الصيغ الزمنية فى العربية قادرة على التعبير عن كل تفريعات الزمن ، وأن ما يبدو من أن العربية لا تنطوى الا على صيغتين زمنيتين أو ثلاث ، مرده الى « أن النحويين لم يتخذوا (لكل زمن) اصطلاحا بعينه » (٥٩) ٠

تلك هى ، كما نرى ، العناصر التى انبنى عليها النقد الذى وجه البحث اللغوى المعاصر ، الى النحاة القدماء فى موضوع الزمن ، وهو نقد اتسم أحيانا بطابع قاس ، من مثل أن النحاة « لم يكترثوا للناحية الزمنية » (٦٠) أو « لم يعنوا برصد الفروق الزمنية الدقيقة » (٦١) بل انهم نعتوا عند آخرين بالبعد عن الادراك والخلط (٦٢) فيما يتصل من بحوثهم بموضوع الزمن ٠

ولكى نناقش عناصر النقد الأساسية التى وجهت الى النحاة القدماء ينبغى لنا أن نعود فندقق النظر فى مباحثهم ، ونقلب ما أثر عنهم من آراء ، لكى نقيس مدى التطابق بين ملاحظات المعاصرين ونتائج القدماء ٠ لكن قبل ذلك يجب علينا أن نتلمس بايجاز طبيعة النزوع العقلى المنطقى الذى وسم البحث النحوى العربى ٠

لقد أخذ على النحاة أنهم صدروا فى ملاحظة الكل عن الجزء ، فقرينة الاعراب وهى قرينة نحوية واحدة كانت تقود اللغة ، تحلل التراكيب أو تصنعها ، وتتضح هذه الصناعة فى كتاب سيبويه ٠ وقد جر ذلك الى البحث فى العلل والمعلولات ، ومن ثم الى غلبة النزعة المنطقية ٠ أقول أخذ على النحاة ذلك وهو أخذ صحيح فى جانب منه ، وأقول فى جانب منه لأن هذه النزعة المنطقية ، لا يمكن ، فى جانب آخر ، فصلها عن اللغة فصلا حادا كما فعلت أغلب المناهج المعاصرة ، بعبارة أخرى أن اللغة

---

(٥٧) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٥ ٠

(٥٨) مجلة مجمع اللغة العربية : مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٩٠

(٥٩) مجلة مجمع اللغة العربية : مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٩٠ ٠

(٦٠) الفعل زمانه وابنيته : ١٩ ٠

(٦١) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٨ ٠

(٦٢) كما تشير الى ذلك الفقرتان الأولى والثانية : ص ٩٢ و ٩٣ من هذا الفصل ٠

البشرية التى تستقل بمنطق خاص بها لا يمكن أن تنفصل عن منطق العقل البشرى انفصالا كليا ٠

وعلى هذا فان الذى يؤخذ على النحاة القدماء أنهم جردوا اللغة ، في أحيان كثيرة ، من منطقها وأخضعوها لمنطق عقلى مجرد ، ويؤخذ على الباحثين العرب خاصة ، هذه النزعة التجريدية المطلقة فى اقامة الحدود بين اللغوى والعقلى ٠

ونعرض لما للنحاة فى هذه النقطة ولما عليهم فى ضوء عناصر النقد السابقة ، الموجهة اليهم ٠

فما على النحاة أنهم تناولوا الدلالة الزمنية حين تناولوا أبنية الأفعال الثلاثة ، وجعلوا ذلك على رأس بحوثهم النحوية ، ثم دفعوا بتفريعات هذه الأبنية وما تشتمل عليه من دلالات الى مباحثهم الصرفية ٠ ولو أنهم لم يلصقوا بالبناء الفعلى دلالة زمنية حتى يدخل السياق لكانوا تفادوا الاضطراب المنهجى الذى وقعوا فيه وهو ما تأخذه عليهم الفقرة (٥) التى ترى أن جوهر الفعل غير زمنى ، على الضد مما رأى النحاة من أن جوهر الفعل زمنى ٠ أو على عبارتهم الزمن من مقومات الفعل (٦٣) واستنادا الى ملحظ النحاة هذا ــ جوهر الفعل زمنى ، وطبيعة الزمن صرفية ــ تكون لديهم ما يمكن أن نسميه اطارا منهجيا لموضوع الزمن ، ومفاده :

يتم البحث فى الأفعال بوصفها أبنية ، مع ملاحظة ما تدل عليه ــ ومنها الدلالة الزمنية ، ثم يتم البحث فى هذه الأفعال بوصفها أبنيـة مستعملة وما خالف دلالة الفعل على زمنه الصرفى يرجع الى مبدأ يمكن أن يسمى « عارض يعرض » (٦٤) وهو مبدأ نحوى ، لأن الأبنية خارج الاستعمال لا تتعرض لعارض ما ٠ وهذا المبدأ يستند الى :

١ ــ ما سمى بـ « الالتفــات الذهنى » (٦٥) أو البعد البلاغى للصيغة ، وهو ما عرضنا له من تبادل المواقع بين الصيغ (٦٦) ٠

٢ ــ نوع السياق ــ انشاء ايقاعى ، انشاء طلبى ، خبر ــ

٣ ــ العامل كـ « ان » تقلب الماضى الى المستقبل ٠

---

(٦٣) ينظر شرح المفصل : ٧ : ٢ ٠

(٦٤) التوطئة : ١١٤ ٠

(٦٥) ينظر مجلة اللسان العربى : مجلد : ٨ ، جـ : ١ : ص ١١٣ ٠

(٦٦) ينظر الفصل الثانى الخاص بـ « امكانات الصيغة » ٠

وقد كون كل ذلك ما يمكن تسميته ازدواجية زمنية وقطبا هذه الازدواجية زمنان متقابلان ، وفيها ينبغي للنحوى أن يعتذر لهذا التقابل أينما وجد ٠

وعلى سبيل المثال وقعوا فى خطأ المزاوجة بين صيغة « فَعَلَ » فى الشرط والبحث عن زمن لهذه الصيغة ، ولما كانت دلالة الشرط الزمنية ، عند النحاة ، تنصرف الى المستقبل ، باعتباره أحداثا لم تقع بعد ، أسند زمن المستقبل الى صيغة « فعل » ، واعتذر لهذا الاسناد بأن ألصق بأدوات الشرط العاملة وظيفة قلب زمن الصيغة ٠ وكان ذلك جزءا من دورة الاعتذار للزمن الصرفى ٠

وأمر ثان يؤخذ على النحاة ، وهو صدورهم عن قرينة الاعراب صدورا كليا ٠ وقد كان لهذه النزعة صدى قوى فى موضوع الزمن فهو موضوع لم يستقل بباب نحوى بل تفرق فى ثنايا الأبواب كجزم المضارع ونصبه والنواسخ ٠٠٠ الخ ٠

فاذا أردنا على سبيل المثال أن نقع على أجزاء من الزمن اللغوى عمدنا الى باب الجزم لنجد :

باب الجزم



ان الجدول السابق يستند فى توزيع مجموعاته الى الحالة الاعرابية على الرغم من انطوائه على أساليب لغوية ، وأبواب نحوية مختلفة ، كالخبرية والانشائية ، والنفى ، والأمر والطلب والنهى والشرط وهى

---

(٦٧) ينظر التوطئة : ١٤٥ ٠

(٦٨) ينظر الواضح فى علم االعربية : ٤٤ الى ٥٠ ٠

أبواب مختلفة فى علاقتها مع الزمن ، كما أن للصيغ التى تقبع فيها دلالات زمنية متنوعة ، وهو أمر يتفق مع مضمون الفقرة (٧) •

أما ما للنحاة فى هذا الجانب فيمكن تبينه اذا أعدنا قراءة الفقرتين (١) و (٢) من فقرات نقد النحاة السابقة •

فى هذه النقطة ، نقطة أقسام الزمن تقوى الوشائج بين ما هو عقلى وما هو لغوى ، على الضد مما رآه الاستاذان الدكتور مهدى المخزومى والدكتور ريمون طحان أن أقسام زمن الوجود وهى أقسام عقلية محضة هى نفس أقسام الزمن اللغوى •

أما التفريعات الزمنية الأخرى أو المشترك بين الأقسام ، فجهات فى هذه الأقسام • يقول الدكتور تمام حسان : « الأزمنة ثلاثة والفروق فروق جهة » (٦٩) •

كما أن النحاة قدموا فى ظلال منهجهم نظرات تحليلية دقيقة ، يؤدى جمعها وتنسيقها الى تكوين جدول الزمن النحوى القديم ، كما أن سيبويه قدم لنا ملاحظات أساسية فى موضوع الجهة aspect الزمنية فى حدث الفعل •

وسنحاول هنا جمع شتات الآراء النحوية والاستعمالات التى عرضوا لهـــا •

بناء « يفعل » أو الفعل المضارع :

(أ) أن يترجح فيه الحال اذا كان مجردا •

(ب) أن يتعين فيه الحال اذا اقترن بـ « الآن » وما فى معناه •

(جـ) أن يتعين فيه الاستقبال •

(د) أن ينصرف معناه للمضى (٧٠) •

(هـ) أن يفيد الاستمرار كما تقول « فلان يقرى الضيف ويصـــنع الجميل » (٧١) •

---

(٦٩) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب / جدول (١) •
(٧٠) ينظر همع الهوامع : ١ : ٧ ، ٨ •
(٧١) ينظر مغنى اللبيب : ١ : ١٣٨ •

(و) أن يدل على العادة نحـــو « زيد يقدم فى الحروب ويســـخو بموجوده » .

(ز) أن يدل على الاستمرار فى الماضى . نحو : « كنت أراه » (٧٢).

بناء (فعل) أو الماضى :

(أ) المضى : وهو الغالب .

(ب) الحال اذا قصد به الانشاء .

(ج) الاستقبال اذا اقتضى طلبا أو وعدا) (٧٣) .

كما عرضوا لمعانى بناء (فعل) فوجدوا منها :

(أ) وقوعه .

(ب) مشارفته .

(ج) ارادته .

(د) مقاربته . (٧٤) .

وليس من مهمة هذه الرسالة أن تعيـــد تركيب النظرات المجتزأة للنحاة ، بغية الكشف عن زمن اللغة العربية ، ولكننا نفيد من هذه الاشارات اعادة تقويم نتائج البحث النحوى العربى القديم . وسنرى أن محاولات النحاة قدمت فى موضوع جهة الحدث الزمنية بعد أن انصرفت مقدمات البحث الى توزيع الصيغ على أقسام الزمن : الماضى ، الحاضر ، المستقبل .

ان الجهة التى هى « تخصيص لدلالة الفعل ونحوه » (٧٥) تظهر جلية فى المخطط الذى تركه لنا سيبويه . كما أن فكرة « الجهة » تتضح فى المباحث التى تلته :

---

(٧٢) ينظر شرح الكافية : ٢ : ٢٥٢ .
(٧٣) ينظر همع الهوامع : ١ : ٩ .
(٧٤) ينظر الأشباه والنظائر : ١ : ٢٦٣ .
(٧٥) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٧ .

قدم لنا سيبويه جدول الجهة على النحو الآتى :

الصيغة	الاثبات	النفى
فعل	فعل قد فعل لقد فعل	لم يفعل لما يفعل ما فعل
يفعل	هو يفعل هو يفعل « ولم يكن الفعل واقعا » ليفعلن سوف يفعل سيفعل (كان سيفعل كان سوف يفعل	ما يفعل لا يفعل لا يفعل لن يفعل لن يفعل) (٧٦) ما كان ليفعل ما كان ليفعل) (٧٧)

وقد نحت المباحث التى تلت سيبويه هذا المنحى :

يرد صاحب الهمع على من قال : « ان الماضى لا يقصد به الا مطلق الماضى دون تعرض لقرب أو بعد ، فكذلك المستقبل » (٧٨) يرد بقوله : « وهو ممنوع فان الماضى فرقوا فيه » (٧٩) ٠

وهكذا يكون النحاة قد أعادوا النظر فى توزيعات الصيغ الصرفية على الزمن الثلاثى ، فصارت هذه الصيغ تشير ، فى السياق ، الى أقسام زمنية أخرى ، والى تفريعات زمنية فى القسم الواحد ، وذلك مظهر من مظاهر التفصيلات النحوية الشاملة فى اطار منهج محدود ٠

---

(٧٦) ينظر الكتاب : ٣ : ١١٧ ٠
(٧٧) ينظر الكتاب : ٣ : ٦ ، ٨ ٠
(٧٨) الأشباه والنظائر : ٢ : ٧٢ ٠
(٧٩) المصدر السابق : ٢ : ٧٢ ٠

(٣) مدخل نظرى الى الزمن النحوى :

يقدم لنا المبحثان السابقان (نقد المستشرقين) و (نقد النحاة القدماء) اطارا لبحث ما يمكن أن يكون مدخلا نظريا الى الزمن النحوى.

ويمكن أن نعد ملاحظات المستشرق الألمانى (برجشتراسر Bergstrasse ـ وهذه مفارقة غريبة ـ أساسا لهذا المدخل .

لقد لاحظ برجشتراسر أن العربية « تتميز عن سائر اللغات السامية فى تخصيص معانى أبنية الفعل وتنويعها وذلك بواسطتين :

احداهما : اقترانها بالأدوات نحو قد فعل ، وقد يفعل ، وسيفعل والأخرى : تقديم فعل « كان » على اختلاف صيغه نحو : كان قد فعل وكان يفعل ، وسيكون قد فعل ، الى آخر ذلك .

فكل هذا ينوع معانى الفعل تنويعا أكثر بكثير مما يوجد فى أية لغة كانت من سائر اللغات السامية قريبا من غنى الفعل اليونانى والغربى أو بالأحرى أغنى منهما فى بعض الأشياء . فاللغة العربية أكمل اللغات السامية وأتمها فى هذا الباب : أى باب معانى الفعل الوقتية»(٨٠)

وتبين هذه الأحكام المدى الذى عليه الخلافات التى ميزت البحث اللغوى فى موضوع الزمن . ففى حين يسم أغلب المستشرقين العربية بأنها فقيرة من حيث تعبير صيغها الفعلية عن الزمن ، يرى (برجشتراسر) أنها من أغنى اللغات فى هذا الباب . والواضح أن مجمل تحليلات برجشتراسر تستند ، فى وجودها ، الى ما يسمى الصيغ الفعلية المركبة.

وقد صدرت البحوث اللغوية التالية عن آراء الأستاذ برجشتراسر . بل ان بعضا من اللغويين العرب ردد عبارته ونسبها الى نفسه .

فقد ورد فى مؤلف الدكتور خليل يحيى نامى : (دراسات فى اللغة العربية) ما نصه : « وتمتاز اللغة العربية ، عن غيرها من سائر اللغات السامية الأخرى ، بتخصيص أبنية الفعل وتنويعها . وتسلك فى ذلك طريقين :

أحدهما : اقترانها بالأدوات . والطريق الثانى تقديم فعل « كان » على اختلاف صيغه نحو : كان قد فعل . فكل ينوع معانى الفعل تنويعا أكثر بكثير مما يوجد فى أية لغة من اللغات السامية ، وتشبه العربية فى

---

(٨٠) التطور النحوى للغة العربية : ٥٧ ، ٥٨ .

ذلك غنى الفعل اليونانى واللغات الأوربية ، بل هى أغنى منها فى بعض الجوانب » (٨١) • وبمطابقة هذا النص مع نص برجشتراسر يتبين بوضوح ما نرمى اليه •

أما اللغويون الآخرون فقد كان منطلقهم منطلق برجشتراسر نفسه، وان يكونوا اتخذوا عبارات خاصة بهم •

ف : الدكتور مهدى المخزومى ينص على وجود « صيغ مركبة شاعت فى الاستعمال » (٨٢) • وعبارة الدكتور ابراهيم السامرائى « الأبنية المركبة (٨٣) التى تقوى الكلام على الأزمنة المركبة» (٨٤) • وعبارة الأستاذ حامد عبد القادر : « صيغ خاصة » (٨٥) ونص الدكتور محمود فهمى حجازى على « قدرة العربية فى التعبير عن الزمن » (٨٦) ونفى أن تكون هذه القدرة « غير متنوعة » (٨٧) ورأى أن « السبيل الى ذلك كان نشوء الصيغ المركبة » (٨٨) •

وقد أضاف اللغويون العرب المعاصرون الى السياق البرجشتراسرى ان صح قول هذا ، مسائل ثلاثا :

الأولى : أن تلك الصيغ الخاصة أو المركبة تتحدد دلالتها الزمنية « وفق بنية الجملة » (٨٩) •

الثانية : أن بنية الجملة لا تقتصر ، من ناحية الزمن ، على الصيغ الفعلية البسيطة أو المركبة ، بل تشمل صيغا غير فعلية « من الأقسام الأخرى للكلم كالمصادر والخوالف » (٩٠) •

الثالثة : أن زمن الصيغ (الفعلية البسيطة والمركبة ، والمنقولة الى الفعلية) يتسم بسمات زمن صرفى أحيانا • والفرضية البسيطة

---

(٨١) دراسات فى اللغة العربية : ١٣ •
(٨٢) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤٨ •
(٨٣) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٥ •
(٨٤) المصدر السابق : ٣٦ •
(٨٥) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٦٥ •
(٨٦) علم اللغة العربية : ٣٦ •
(٨٧) المصدر السابق : ٣٦ •
(٨٨) المصدر نفسه : ٣٦ •
(٨٩) نفسه : ٣٦ • وينظر أيضا الفعل زمانه وأبنيته : ٢٤ •
(٩٠) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ •

التي وضعها الدكتور تمام حسان حول هذه النقطة تتلخص بما يأتي :

لا تتأثر الدلالة الزمنية للصيغة الصرفية اذا حلت في بنية جملة خبرية ، مثبتة أو مؤكدة ، أو حلت في بنية جملة انشائية استفهامية مثبتة • وتتأثر تلك الدلالة ، اذا حلت في بنية جملة خبرية منفية ، أو في بنية جملة انشائية عدا الاستفهامية المثبتة فتنحرف نحو زمن آخر (٩١) ويمكن وضع قانون هذه الفرضية على النحو الآتي :

يتحدد الزمن النحوى بنوع الصيغة الزمنية في نوع الجملة التي تندرج فيها تلك الصيغة •

وهذه الفرضية وقانونها سنرجىء مناقشتها الى أن نستكمل بحث الزمن في علاقته بالسياقين الخبرى والانشائي •

ويقودنا هذا المدخل الى تحديد سمات (الزمن النحوى) بما يأتي :

١ ـ استمرار الصيغ الفعلية البسيطة ، فيه ، بالتعبير عن زمنها الذي تحمله من الصرف في مجالات معينة وانحرافها عن الزمن في مجالات أخرى •

٢ ـ التعبير عنه بالصيغ الزمنية المركبة •

٣ ـ التعبير عنه بصيغ غير فعلية •

٤ ـ نشوء ما يسمى الجهة الزمنية أو المجال الزمني في القسم الزمني (القرب ، البعد ، الاستمرار ••• الخ) •

٥ ـ تجريد الصيغ الفعلية عن الزمن ، وتحولها الى أحداث فعلية حسب ، أو نشوء ما يسمى الفعل اللازمني •

٦ ـ نشوء ما يسمى الزمن الجملي أو الزمن الاسلوبي •

٧ ـ ويمكن أن نضيف هنا تحول الظروف من دلالتها المعجمية الى وظيفتها النحوية الزمنية(٩٢) •

---

(٩١) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ فما بعدها •
(٩٢) سنعرض للظرف في فصل قادم •

ان كل ما تقدم يعد مدخلا نظريا الى الزمن النحـــوى والى جانبه التطبيقى ، الذى استند ، فى جوهره ، الى نشـــوء فكرة (الجـداول الزمنية) ، وهى الجداول التى حاولت أن تقدم فصيلة الزمن ، بوصفها فصيلة نحوية ، من جانبها العملى ٠

نقد الجداول الزمنية :

ظهر ما يمكن أن نصطلح عليه (الجداول الزمنية) بوصفه منحى تطبيقيا لاتجاهات البحث اللغوى المعاصر فى موضـــوع الزمن ، وقد استندت تلك الجداول الى دلالة الأبنية والتراكيب الزمنية فى السياق النحـــوى ٠

وقد ألمح عدد ممن أنشأوا الجداول الى أن منهج التوزيع النحوى القديم يستند الى معيار واحد ، هو المعيار الاعرابى(٩٣) ويعنى ذلك أن بالعربية حاجة الى قيم توزيعية جديدة ، تكون فيها (قرينة الاعراب) قرينة من عدة قرائن شكلية بازاء عدة قرائن معنوية(٩٤) ٠

ومن هذا المنطلق ظهرت العنوانات الآتية فى المباحث اللغـــوية المعاصرة :

(الفكرة الزمنية فى اللغة)(٩٥) ٠ (الزمن والجهة)(٩٦) (الزمن فى اللغة العربية)(٩٧) (الصيغ الزمنية فى العربية)(٩٨) (الفعل والزمن)(٩٩) ٠ (جملة الماضى والحاضر والمستقبل)(١٠٠) (الزمن والاعراب)(١٠١) (الزمن فى النحو العربى)(١٠٢) ٠

وقد نظر الى الزمن فى هذه المباحث بكونه حقلا مستقلا فى جداول التوزيع ، كما نظر ، مثلا الى حقل توزيع الضمائر ٠ وبعبارة أخرى ان هذا الحقل الذى ينطوى على صيغ ومركبات وقرائن ينتظمه معيار دلالى واحد هو معيار الزمن ٠

---

(٩٣) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٥ ٠
(٩٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٧ ٠
(٩٥) من أسرار اللغة : ١٦٥ ٠
(٩٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ ٠
(٩٧) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٣٧ ٠
(٩٨) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤١ ٠
(٩٩) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٣
(١٠٠) مجلة كلية الشريعة / مقالة جملة الماضى والحاضر والمستقبل : ٦ : ٥ ٠
(١٠١) فقه اللغات السامية : ١١٣ ٠
(١٠٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٨ ٠

كما أن هناك عاملا آخر سبب ، فى رأى الباحث ، نشوء الجداول الزمنية وهو الرد على تحليلات المستشرقين فى وصف بنية العربية بالفقر من ناحية الزمن ·

وقد رأينا حين عرضنا لهذا الموضوع(١٠٣) ان قسما من الباحثين جعل هذا الفقر صرفيا ، مدللا على غنى العربية الزمنى فى السـياق النحـوى ·

والجداول الزمنية التى وقف عليها الباحث هى :

١ ـ جدول الاستاذ حامد عبد القادر(١٠٤) ·

٢ ـ جدول الدكتور مهدى المخزومى(١٠٥) ·

٣ ـ جدول الدكتور تمام حسان (١٠٦) ·

٤ ـ جدول الدكتور ابراهيم السامرائى(١٠٧) ·

٥ ـ جدول الدكتور على جابر المنصور(١٠٨) ·

٦ ـ جداول الدكتور عبد الرسول الخفاجى ·

وهى جداول مقارنة بين العربية والانجليزية(١٠٩) ·

وان أهم ما نلاحظه عليها :

(أ) انها تغفل النتائج التى انتهى اليها النحاة ، وفى الوقت ذاته ، تستند الى كثير منها · بل ان بعضـا منها حمل أخطاء النحـاة المنهجية ، من مثل أن لكل فعل زمنا ·

(ب) أنها فرضت ، فى خانات كثيرة ، على الشكل اللغوى محتوى زمنيا غير صحيح ، والمعلوم أن ربط شكل لغوى تاريخى بدلالة زمنية معينة ، يصبح عملية غير علمية اذا لم يستند الى استقراء شامل

---

(١٠٣) ينظر : ص ٨٤ فما بعدها من هذا الفصل ·

(١٠٤) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٦٥ · ومقالة / معانى المضارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٤٩ ·

(١٠٥) ينظر فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٥ ·

(١٠٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / جداول ملحق الكتاب ·

(١٠٧) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٨ ·

(١٠٨) ينظر مجلة كلية الشريعة / مقالة جملة الماضى والحاضر والمستقبل : ٦ : ٥ ·

(١٠٩) ينظر Discription and contrastive Analysis of Tense and Time in English and Arabic — manuscript.

ودقيق ذلك لأن احساسنا بالفروق النحوية فى العربية الفصيحة بدأ يختفي ، وبمعنى آخر ان القيم المحصلة من التراكيب اللغوية صارت تصل الينا من خلال الشروح ٠

ان السليقى Intuiter غير موجود فى العربية الفصيحة ، وهو موجود فى مجموعة اللهجات العامية ، فهو ، فى هذه اللهجات يحس بفروق المعانى النحوية ، من غير أن يؤسس له ذلك ، على قاعدة ما ٠ نحن نقـــول فى اللهجة العراقيـــة : « راح أروح » و « رايح » وندرك أن الفرق بينهما يكمن فى أن المركب الأول بمعنى (أنا على وشـــك الذهاب) ٠ وصيغة (فاعـــل) بمعنى (أنا ذاهب على وجه من القطع) أو (أنا بدأت بالذهاب) ٠٠ ونقول فى تلك اللهجة :

« شفت الفلم » اذا رأيته الليلة الماضية و « شايف الفلم » اذا رأيته قبل زمن طويل ٠

فاذا لم يكن احساسنا بالفروق النحوية دقيقا تكون قد فرضنا على الشكل اللغوى محتوى زمنيا غير صحيح ، كما حصل فيما نعرض له من خلاف الجداول الزمنية فى النقطة الثالثة :

(جـ) تتضمن الجداول قيما خلافية بين الشكل اللغوى ومحتواه الزمنى على النحو الآتى :

الشـــكل	الدلالة
كان فعــــل	• البعيد المتقطع(١١٠) • وقوع حدث فى زمن ماض بعيد(١١١)
كان قد فعــــل	• القريب المتقطع (١١٢) • الماضى البعيد(١١٣)
قــد فعــل	• الماضى المنتهى بالحاضر(١١٤) • ماض قريب من الحال(١١٥) • تأكيد حدوث الفعل فى الماضى(١١٦)
قد فعــل قبــل قد فعــل من قبــل	ـ الماضى البعيد(١١٧)
كان يفعــــل	• الماضى على سبيل الاستمرار(١١٨) • الماضى التجددى(١١٩)
ظــل يفعــــل	• الماضى الاستمرارى(١٢٠)
طفق يفعــــل	• حقل الماضى من ناحية شكلية (١٢١) • حقل الحاضر من ناحية دلالية ـ فكرة الآن(١٢٢)

(١١٠) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .
(١١١) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٦ .
(١١٢) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .
(١١٣) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٩ .
(١١٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .
(١١٥) ينظر فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٥ .
(١١٦) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ١٩ .
(١١٧) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٧٠ .
(١١٨) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى المضـارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥٧ .
(١١٩) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .
(١٢٠) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .
(١٢١) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب / جدول رقم (١) .
(١٢٢) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٣٤ .

غير أنه ينبغى أن نوضح أن الدلالات المتناقضة التى تترشح عن قرينة زمنية واحدة ليست أمرا خاصا بالبحث المعاصر ، بل انه صدر عن النحاة القدماء على الرغم من أنهم لم يكونوا قد بعدوا ، بعد ، عن العربية الفصيحة ، وعلى الرغم من أن (سليقى) العربية لم يكن قد فقد ، بعد ، امكاناته اللغوية ، أو احساسه بالفروق النحوية مثلما هو عليه الآن • وسنرى فروق الدلالة فى الشكل الواحد بتفصيل واف فى دراسة الزمن التطبيقية •

(د) أن فى الجداول خلطا بين اقامة خانات للصيغة ، وخانات لزمن الصيغة ، فجدول الدكتور مهـــدى المخزومى ، يعتمد على ثلاثة حقول زمنية هى الماضى والحاضر والدائم •

بيد أن هذه الحقول انطوت على معانى الصيغ ، وليس على معناها الزمنى فقط • من مثل :

١ ـ وقوع الحدث فى أثناء الكلام •
٢ ـ الدعـــاء •
٣ ـ أن الحدث كان كأنه وقع •
٤ ـ أن الحدث يعبر عن حقيقة ثابتة •
٥ ـ أنه يعبر عن عادة •
٦ ـ أنه يعبر عن تقليد(١٢٣) •

كما نلاحظ ذلك فى جدول الدكتور تمام حسان الذى وضع أمام صيغة « فعـــل » : « الماضى البسيط »(١٢٤) وهو ترجمـــة للمصطلح الانكليزى Simple Past •

وهذا المصطلح ليس زمنيا ، بل انه سمى بسيطا لأن « مادته خالية من السوابق وكذلك اللواحق »(١٢٥) •

ووضع هذا المصطلح (الماضى البسيط) بازاء مصطلحى (الماضى البعيد) و (الماضى القريب) اللذين وردا فى جدول الدكتور تمـــام حسان (١٢٦) يوضح لا زمنية هذا المصطلح •

---

(١٢٣) ينظر فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٥ الى ١٥٨ •
(١٢٤) اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب جدول رقم (١) •
(١٢٥) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٦٥ •
(١٢٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) •

وفي الجداول المقارنة وصفت صيغتا (فعل) و (يفعل) بالماضي الأساسي كما يأتي :

.ENGLISH	ARABIC	Descritive Label	
Write	Yaf, al	Basic present	(١٢٧)
Wrote	Fagal	Basic past	

وهذا الوصف ينظر الى الصيغة باعتبارها الصرفي لا النحوي ٠

فاذا عدنا الى جدول الدكتور مهدي المخزومي وجدناه يجعل على رأس الحقل الأول الماضي(١٢٨) ٠ ويجعل بعده صيغة (فعـــل) ٠ ف (الماضي) زمن ٠ و (فعل) صيغة ذات دلالات متعددة والزمن واحد منها ٠ وكذا (الحاضر)(١٢٩) ف (الحاضر) زمن أما صيغة (يفعل) فحالة فعلية ، ويبدو الجمع بين النقائض واضحا في هذا الجدول ٠ فاذا تصفحنا ، على سبيل المثال ، ما أدرج تحت زمن (الحـــاضر) ومنـــه :

١ ـ المـــاضي ٠

٢ ـ المستقبل٠

٣ ـ عادة تعودها شخص (١٣٠) ٠

أدركنا أن الدكتور مهدي المخزومي لم يقدم جدولا زمنيا بل قدم جدولا ب (معاني الصيغ الفعلية) ٠ فضلا عن أن التقسيم الفعلي الكوفي الذي اشتمل على الماضي والمضارع والدائم ، الذي استعار منه الدكتور مهدي المخزومي مصطلح الدائم وجعله حقلا زمنيا برأســـه ، مردود من جهتين :

الأولى : أنه لا يعبـــر عن حقيقة من حقـــائق العربية كما عرضنا لذلك(١٣١) ٠

---

(١٢٧) ينظر :Description and contrastive Analysis of Tense and Time in English and Arabic. Table, 105 vol. 2, p. 759.

(١٢٨) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٥ ٠

(١٢٩) المصدر السابق : ١٥٥ ٠

(١٣٠) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٧ و ١٥٨ ٠

(١٣١) ينظر الفصل الثاني الخاص ب « امكانات الصيغة » ٠

الثانية : أنه مصطلح غير زمني فقد انطوت خاناته على المستقبل والماضي واللازمنية(١٣٢) ٠

وقد اقتفى الدكتور ابراهيم السامرائي خطو الكوفيين أيضا في تقسيم حقول الزمن ، غير أنه بدا كأنه أحس بالتناقض في التوزيع الحقلي للزمن الذي قام به الدكتور مهدي المخزومي ، فلم يجعل على رأس الحقول مفردات زمنية (الماضي ، الحاضر ٠٠) بل صنفها على أساس شكل الصيغ (فعل ، يفعل ، أبنية فاعل ، مفعول)(١٣٣) أو دلالتها : (المصدر)(١٣٤) ٠

وقد كان الأستاذ حامد عبد القادر قد انتبه الى هذه الحقيقة فجعل عنوان دراسته « معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم »(١٣٥) غير أنه ركز على دلالة الزمن باعتبارها معنى الصيغة الرئيس ٠

(هـ) أن بعضا من هذه الجداول ابتدع أشكالا ودلالات زمنية ٠ فقد انطوت الجداول التقابلية بين الانجليزية والعربية على مركبات زمنية ملفقة ، وعلى اسناد دلالات زمنية كيفية للصيغ بغية « اقامة معادل للترجمة »(١٣٦) كما صرح بذلك الدكتور عبد الرسول الخفاجي وكما يصرح : « ان اهتمامنا النهائي من الدراسه الحالية هو مشاكل التعليم للطلبة العرب الذين يتعلمون الانكليزية »(١٣٧) ٠

والقاعدة التي يستند اليها هي « أن الوظائف المختلفة لاتجاه صيغ الانكليزية نفسها بالامكان ترجمتها باتجاه صيغ مختلفة في العربية »(١٣٨) ٠

غير أن المسألة لا تتعلق باتجاهات الصيغ الدلالية ، بل في الأشكال التي يقترحها أو التي يخترع لها مقابلا دلاليا ٠

---

(١٣٢) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٨ ٠

(١٣٣) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٨ الى ٣٥ ٠

(١٣٤) المصدر السابق : ٣٥ ٠

(١٣٥) مجلة مجمع اللغة العربية : مقالة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ : ٦٥ ٠

(١٣٦) ينظر :
Description and contrastive Analysis of Tense and Time in English and Arabic (manuscript)
vol. 2, p. 766.

(١٣٧) المصدر السابق : vol. 2, p. 760.

(١٣٨) المصدر نفسه : vol. 2, p. 763.

وهكذا نجـــد فى كثير من الأشكال ودلالاتها ما هو مفروض على البنية الزمنية للعربية ، وهو أمر يظل غير ذى أهمية ، لأنه سيكون بلا قيم استعمالية ٠

ففى جدول المقارنة الشكلية Formal Comparsion الذى يحمل الرقم ١١٤ (١٣٩) ٠ أودع فى خانة اللغة العربية ما يأتى :

.Hawa Yanunu na ? Im-Kullama ? azuruho.

هو يكون نائما كلما أزوره ٠

مقابلا شكليا للتركيب الانكليزى :

.He is Sleeping when ever I visit him.

ان الأداة كلما فى العربية لا تأتلف الا مع صيغة (فعل) واشارة النحاة هنا « لا يكون تاليها الا فعلا ماضيا » (١٤٠) ٠ والاستعمال القرآنى يؤيد ذلك ٠

فالمقابل الشكلى العربى الصحيح للتركيب الانكليزى المشار اليه سابقا هو : (كلما زرته وجدته نائما) ٠

والمثال الآخر الذى أورده الدكتور عبد الرسول الخفاجى لشكل التركيب العربى هو : « هى تكون تقرأ كلما رأيناها » وهو فى العربية ينضبح فى قوله تعالى : « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا »(١٤١) ٠

(و) أن الملحظ السابق ملحظ الابتداع اللغوى نجد شيئا منه فى جدول الدكتور تمام حسان ، الذى سندقق النظر فيه ، ونتناول محتوياته بشىء من التفصيل لما يتميز به ، فى كونه أوســـع جدول زمنى للعربية المعاصرة ٠

والذى يبدو أن هدف الدكتور تمام حســـان كان بناء نظام زمنى متكامل للغة العربية فى الاطار النحـوى أى فى اطـار دلالات الأفعـال والصفات والمصادر (١٤٢) بوصفها أشكالا زمنية ٠ وقد نجح الدكتور

---

(١٣٩) ينظر :

.Description and contrastive Analysis of Tense and Time in English and Arabic. p. 801.

(١٤٠) همع الهوامع : ٢ : ٧٤ ٠

(١٤١) آل عمران : ٣٧ ٠

(١٤٢) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب / جدول رقم (١) ٠

تمام في ذلك ، أي في تقديم جدول زمني شامل ، غير أنه فيما أرى ، أخطأ أو اضطرب في عدة مسائل بينها :

١ ـ عد صيغتي (فعل) و (يفعل) في (الشرط) دالتين على الحاضر والمستقبل بقرينة (١٤٣) · أما في الجدول فجعل هاتين الصيغتين تعبران عن المستقبل فقط (١٤٤) ·

٢ ـ أطلق على صيغة (فاعل) في مباحثه الصرفية « صفة فاعل » (١٤٥) عادا هذه الصيغة وصيغ الصفات الأخرى صفة المفعول ، صفة المبالغة ، الصفة المشبهة (١٤٦) قسما من أقسام الكلم الصرفية في العربية ، قائما برأسه ، ليس من قسم الفعل وليس من قسم الاسم(١٤٧) غير أنه عاد فأطلق عليها في الجدول الزمني : تسمية اسم الفاعل(١٤٨) ·

وقد جرى الدكتور تمام حسان على الرأي النحوي الذي يعد هذه الصيغة ـ منونة ، غير مضافة ـ دالة على زمن الحال والاستقبال بقرينة وغير منونة ، مضافة ، دالة على الماضي ومطلق الوصف (١٤٩)·

غير أن ذلك لم يجد ترجمة في خانات التوزيع التي انبنى عليها جدوله : فأشار ، فيها ، الى وقوع صيغ الصفات في جميع أقسام الزمن بقرينة (١٥٠) ·

وكان ينبغي عليه ، من منطلق الشمول ، أن يضع في الجدول الزمني حقلا للمصدر الذي يؤدي ـ كما يشير الى ذلك الدكتور تمام نفسه ـ وظيفة الزمن النحوي في السياق ، شأنه شأن الفعل والصفة (١٥١) ·

ليس هذا فقط ، بل كان عليه ، من المنطلق نفسه ، أن يجعل للجملة الاسمية حقلا زمنيا ، فهذه الجملة لا تأبى الدخول في الزمن

---

(١٤٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٠ ·
(١٤٤) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) ·
(١٤٥) المصدر نفسه : ٩٩ ·
(١٤٦) نفسه : ٩٩ ·
(١٤٧) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٣ ·
(١٤٨) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) ·
(١٤٩) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٣ و ٢٥٤ ·
(١٥٠) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) ·
(١٥١) المصدر نفسه : ٢٤٠

اللغوى كما رأى الدكتور تمام حسان • وعلى عبارته : « اذا أردنا أن نضيف عنصرا زمنيا طارئا الى معنى هذه الجملة جئنا بالأدوات المنقولة من الأفعال وهى الأفعال الناسخة » (١٥٢) •

كما أن الدكتور تمام حسان الذى جعل خانتين لاسم المفعول ، وصيغ المبالغة لم يعرض فى مبحثه (الزمن والجهة) (١٥٣) لهما •

ويبدو أنه جعل لهما خانتين فى جدوله ، جريا على رأى نحوى قديم ، مستندا الى نوع من القياس يأباه منطق الاستعمال اللغوى • وهو معنى قول ابن مالك :

وكل ما قرر لاسم فاعل يعطى اسم مفعول بلاتفاضل (١٥٤)

وكما رأينا فان نحويا كالرضى نبه الى قيم خلافية بين صيغتى (فاعل) و (مفعول) (١٥٥) •

ان الصفات والمصادر والجمل الاسمية لا يمكن أن نقع فى جدول زمنى ، لأن الأولى ـ الصفات والمصادر ـ ليست صيغا زمنية والثانية ليست صيغا أصلا حتى يمكن لها أن تتخذ موضعا فى هذا الجدول • ان الزمن يحصل لها فى السياق عن طريق قرائن حالية أو لفظية (١٥٦) ، وهى التى تدل على زمن حدث هذه الصيغ الحامد • أما فى الجمل الاسمية فان مرد الزمن الى أدوات الزمن (كان) وأشباهها • على الضد من ذلك ، تدل الصيغ الفعلية على الزمن بذاتها ، وتكون وظيفة القرائن تحديد جهة فى الزمن •

٣ ـ ذكر الدكتور تمام حسان لصيغة (يفعل) الدلالات الزمنية الآتية :

الحال العادى ، الحال التجددى ، الحال الاستمرارى (١٥٧) ولم يوضح ما المقصود بهذه المصطلحات ؟

وجعل فى جدوله صيغتى ليفعل وافعل للحال العادى والتجددى

---

(١٥٢) نفسه : ١٩٣ •
(١٥٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٠ •
(١٥٤) شرح ابن عقيل : ٢ : ٩٧ •
(١٥٥) ينظر شرح الكافية : ٢ : ٢٠٤ •
(١٥٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٣ •
(١٥٧) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) •

والاستمراري أيضـــا ، وللمستقبل البسيط والقريب والاستمراري · ولم يبين كيف ذلك (١٥٨) ·

كما جعل صيغة (فعـل) فى التحضيض ، وصـيغ (فعـل) ، (يفعل) ، (افعل) فى الدعاء للتعبير عن المستقبل بجهـــاته البسيط والقريب والاستمراري ؟

وجعل ـ كما أشرنا من قبل (١٥٩) ـ المركب « كان قد فعـل » للدلالة على القريب المتقطع ·

كما افترض الدكتور تمام حسان ان المركب الزمنى « كان يفعل » يدل على المـاضى المتجـدد ، والمركب « ظـل يفعـل » يدل على المـــاضى المستمر (١٦٠) ·

وجعل : صيغة (يفعل) دالة على المستقبل البسيط ·

و (سيفعل) دالة على المستقبل القريب ·

و (سيظل يفعل) دالة على المستقبل المستمر (١٦١) ·

ولم يوضح الفـرق بين الزمن البسيط والزمن القريب وبعبـــارة أخرى : لم يشرح لنا معنى (المستقبـل البسيط) بإزاء (المستقبـــل القريب) ·· كما عرض الدكتور تمام حسان لتركيبـــات (الترجى) فجعل تركيبي : « عسى أن يفعل » و « لعله يفعل » للحـال : العـادى والتجددى والأســـتمراري ، وللمســـتقبل : البســيط والقريب والبعيد والاستمراري (١٦٢) ·

ان الاضطراب الذى يسود جدول الدكتور تمام حسان متأت من منطلق الشمول الذى ألزم به نفســه · فكأنه أراد أن يصل الى نتيجة معدة سلفا : وهى أنه بإمكان البنية النحوية العربية أن تفرز جـدولا زمنيا شاملا فى الأقسام والجهات · وكأن الدكتور تمام قد تنبه الى هذا

---

(١٥٨) سنعرض لصيغة (افعل) فى الفصل الرابع : « الزمن بين أسلوبى الخبر والانشاء » ·

(١٥٩) ينظر : ص ١٠٦ من هذا الفصل ·

(١٦٠) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) ·

(١٦١) المصدر السابق / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) ·

(١٦٢) المصدر نفسه / ملحق الكتاب / جدول رقم (١) ·

الاضطراب فصرح « أن كل نظام مهما افترض لنفسه من الاطلاق لابد أن يصادف من مشكلات التطبيق ما يتطلب حلولا من نوع ما » (١٦٣) ٠

ولا نريد هنا أن نقلل من محاولة الدكتور تمام حسان فى بناء نظام الزمن فى العربية على هذا الوجه ، ولكننا نريد أن نبين أنه كان يمكن أن ينبنى هذا النظام على ما هو ملاحظ فعلا لا على ما يرغب فى ملاحظته وهو ما فعله الدكتور تمام حسان ، مستندا الى اصطناع دلالات زمنية للاشكال اللغوية من غير أن يناقش ذلك الاصطناع ، أو يسوق شاهدا ما ، يقوى حججه ، كما أنه استند فى عقد الصلة ، بين الشكل اللغوى ومحتواه الزمنى ، الى نتائج البحث النحوى ، من غير أن يمحص فيها ، وكان ينبغى أن يفعل ذلك ، فقد زعم أن النحاة غرر بهم فى موضوع الزمن (١٦٤) ٠

وسوف نعرض للأشكال الزمنية ، أى الصيغ والمركبات حين تنتج زمنا فقط ، فى دراسة الزمن التطبيقية (١٦٥) ، وسنناقش ، حينئذ ما ورد فى الجداول السابقة (١٦٦) ، ما يخص هذه الناحية بتفصيل واف ٠

---

(١٦٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٣ ٠

(١٦٤) ينظر فى اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٨ ٠

(١٦٥) ينظر الفصلان الأخيران من هذه الرسالة ٠

(١٦٦) بقى من الجداول الزمنية التى لم نشر اليها قط ، جدول الدكتور على جابر المنصورى ، وسبب ذلك أن هذا الجدول يستند ، فى أساسه ، الى معطيات بحث الدكتور مهدى المخزومى : (الصيغ الزمنية فى العربية) ٠ بل يصدر عنه صدورا حرفيا فى بعض الأحيان ٠

الزمن : بين أسلوبى : الخبر والانشاء

تفيد ملاحظة طبيعة السياق اللغوى ، من حيث كونه سياقا انشائيا أو خبريا ، فى تحديد ملامح الزمن فى اللغة العربية وليس من مهمة هده الرسالة الخوض فى مفهومى الاسلوبين الانشائى والخبرى ، غير أنه بصورة عامة فرق بينهما بأن الأول « طلب أو غير طلب لا دخل للصدق والكذب (فيه) » (١) وأن الثانى : « صالح للحكم عليه بأنه صدق أو كذب » (٢) ويطلق الباحثون المعاصرون على الاســلوب الانشــائى : « الأسلوب الافصــاحى · التأثرى الانفعالى affective Language » (٣) ويدخلونه ضمن « لغة الارادة » (٤) · أما الأسلوب الخبرى فيدخلونه ضمن « لغة العقل والمنطق » (٥). · وقد قسمت الجملة الانشائيــة الى قسمين : « انشائية طلبية : وهى التى يتأخر وقوع معناها عن وجـود لفظها » (٦) أو هى التى « تستلزم مطلوبا ليس حاصلا وقت الطلب »(٧) وتشــمل : الأمــر والنهى والدعــاء والاستفهام والعــرض والتحضيض والنداء » (٨) وانشائية غير طلبية : « وهى التى يتحقق ـ غالبا ـ مدلولها بمجرد النطق بها ، وتشمل : « جملة التعجب وجملة المــدح أو الذم وجملة القسم ـ نفسه ـ لا جوابه ـ ورب ، وكم الخبرية وصيغ العقود والترجى وأفعال الرجاء » (٩) واستنادا الى هذا التوزيع جعلوا الخبرية تقع فى جميع أقسام الزمن ، فنقول : « نزل المطــر أمس ، أو

---

(١) التلخيص : ١٧٢ ·

(٢) التلخيص : ١٧٢ ·

(٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ٨٨ ·

(٤) المدخل الى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية : ٥٩ ·

(٥) المصدر السابق : ٥٩ ·

(٦) التلخيص : ١٧٢ ·

(٧) الأساليب الانشائية فى النحو العربى : ١٣ ·

(٨) التلخيص : ١٧٢ ·

(٩) النحو الوافى : ١ : ٣٧٤ · هامش : ٢ ·

حضر والدى اليوم ، أو يحضر الغائبون غدا » (١٠) ، وجعلوا الانشائية تقع في الحال والاستقبال ٠

ويعنى ذلك أنه نظر الى (الزمن اللغوى) من خلال مفهوم (الجملة) وليس من خلال شكل (الصيغه) ، ويعد ذلك وجها من وجوه التحول الى الزمن الدلالى ، وبه تم حصر دلالة الصيغ الزمنية داخل الأسلوب الانشائى غير الطلبى بالحاضر (كأفعال العقود والقسم) ، وربطت الطائفة الاخرى بالزمن المستقبل (كصيغ الأمر والنهى والدعاء ، لتأخر وقوع معناها عن لفظها كما مر (١١) وقد استندت محاولة الدكتور تمام حسان فى (جدولة) زمن اللغة العربية الى هذا الفهم قال : « فجمل الانشاء ــ فيما عدا الاستفهام ــ قاصرة على افادة الحال أو الاستقبال بحسب القرائن ، ولا دلالة فيهما على المضى ، فالحال والاستقبال هما معنى الأمر بالصيغة والأمر باللام والنهى والعرض والتحضيض والتمنى والترجى والدعاء والشرط) (١٢) وسنرى أن ربط الزمن بالجملة ، لا بالصيغة ، ربطا تاما خطأ وقع فيه كثير من الباحثين الذين عينوا الزمن من جهة نوع السياق اللغوى ، من غير أن يعنوا بفحص الزمن فى أمثلة من الكلام لاختبار صحة هذا النظر ٠ كما سنرى أن ما انتهى اليه الدكتور تمام حسان غير صحيح ، لا بالخلل الذى يعتوره حسب ، بل لأنه انطلق من غير منطلقه ، أى كأنه نظر فى الزمن العقلى المجرد لا فى الزمن اللغوى ، فأما الخلل الذى يعتور تحليلاته فى هذا الجانب ف :

(أ) استثناؤه الاستفهام ، وهو ركن من أركان الانشاء ، وجعل زمنه خبريا ، أى واقعا فى أقسام الزمن ٠

(ب) قوله : ان « فعل » بعد « ليت » ربما دل على زمن ماض ، نحو : « ليته فعل كذا » (١٣) ٠

أى أنه ألحق التمنى الانشائى (١٤) بزمن الخبر كما فعل فى الاستفهام ٠

---

(١٠) المصدر السابق : ١ : ٣٧٤ ، هامش : ٢ ٠

(١١) ينظر مضمونا الهامشين : ٦ ، ٩ من هذا الفصل ٠

(١٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٠ ، ٢٥١ ٠

(١٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥١ ٠

(١٤) قولنا التمنى الانشائى تمييزا له من التمنى الخبرى كالقول تمنيت كذا ٠ ودخول التمنى الانشائى فى الماضى كثير ، وهو من استعمالات القرآن ٠ قال تعالى : « ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما » / النساء : ٧٣ ٠

(جـ) قوله : « ان معنى المضى قد يطرأ على التحضيض بواسطة(١٥) النواسخ نحو « هلا كنت قد فعلت » (١٦) وأرى أن الدكتور تمام حسان أخطأ هنا ، فالجملة التى أشار اليها لها معنى « التوبيخ » وليس « التحضيض » ، وعلى عبارة السكاكى « التنديم » (١٧) وعلى أية حال فقد استثنى من قصر زمن الحال والاستقبال على جمل الانشاء : الاستفهام والتمنى والتحضيض .

(د) جعله زمن صيغة المضارع (يفعل) ، وليس صيغة الماضى (فعل) ـ وهذا هو مدار الخلاف ـ تدل على زمن الحاضر والمستقبل فى العرض والترجى (١٨) وكأن الزمن فى العرض والترجى زمن الصيغة وليس زمن الاسلوب .

(هـ) تفاديه ذكر جمل التعجب والمدح والذم والعقود والنداء ، وهى جمل انشاء ، وتدخل وفق تحليل الدكتور تمام حسان زمن الحال والاستقبال للاطلاق الذى عليه تعريف الدكتور تمام حسان :

« فجمل الانشاء ـ عدا الاستفهام ـ قاصرة على افادة الحال والاستقبال » (١٩) وهو أمر لم يقله الدكتور تمام نفسه .

بقى مما زعم أنه مرهون بالحال والاستقبال من السياقات الانشائية : الأمر والشرط والدعاء .

وهذا هو القسم الذى انطلق فيه الدكتور تمام حسان من منطلق غير لغوى :

١ ـ الشرط : وقد عرضنا للشرط (٢٠) ورأينا ألا دلالة فى صيغه على زمن .

٢ ـ الأمر : اختلف فى الأمر اللغوى من حيث :

(أ) دلالته على الزمن ، وفى دلالته على الزمن اختلف فى القسم الذى يشير اليه :

١ ـ انه يدل على المستقبل . وهو ما يشير اليه تحليل سيبويه

---

(١٥) الصحيح بوساطة ، لان مدلول كلمة واسطة ليس مدلول كلمة وساطة .
(١٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٢ .
(١٧) مفتاح العلوم رسالة دكتوراه / مخطوطة : ٤٧٠ .
(١٨) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٢ .
(١٩) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٠ .
(٢٠) ينظر الفصل الثانى من هذه الرسالة « امكانات الصيغة » / ص ٧٦ فما بعدها .

الذى جعل صيغة الأمر دالة على الذى « لم يقع ... قولك آمرا : اذهب » (٢١) ثم أشعر أن فعل الأمر ، دون المضارع ، يستقل بالدلالة على المستقبل ، فقد جعل الأمر والمضارع « لما يكون ولم يقع » (٢٢) ، وفرق بينهما من جهة الطلب والاخبار ، وجعل الحاضر فضلا عن المستقبل دلالة المضارع وعبارته : « ما لم ينقطع وهو كائن اذا أخبرت » (٢٣) ولم يقل أو أمرت . وقد تابع سيبويه جملة من النحاة ، وعدد من الدارسين المعاصرين ، يقول صاحب الهمع : « وهو لازم الاستقبال » (٢٤) وعبارة الشلوبين : « مستقبل بالوضع » (٢٥) وذهب الأستاذ عباس حسن الى أن : « زمان الأمر مستقبل فى أكثر حالاته » (٢٦) وهو رأى الدكتور ابراهيم أنيس الذى يقول : « كما أننا نلمح فيه غالبا المستقبل » (٢٧) .

٢ ـ انه يدل على الحال وقد « جزم به جماعة من الاصوليين تبعا لجمهور النحاة » (٢٨) . وقد لاحظ الدكتور ابراهيم أنيس أن الدارسين : « لا يكادون يختلفون فى تخصيص زمنه بالحال » (٢٩) وقال السكاكى : « والأمر والنهى حقهما الفور والتراخى ..... لكونهما للطلب ولكون الطلب فى استدعاء تعجيل المطلوب أظهر منه فى عدم الاستدعاء له ... » (٣٠) .

٣ ـ انه يدل على الحاضر والمستقبل ، وليس فيه نص على أحدهما دون الآخر : « تعليلا بكونه مأخوذا من المضارع الذى هو مشترك بين الحال والاستقبال » (٣١) وقد رد الخطيب القزوينى على ما صرح به السكاكى من أن الأمر حقه الفور ب « وفيه نظر » (٣٢) وشرح البرقوقى ذلك ب : « الفور والتراخى مفوضان الى القرينة » (٣٣) .

---

(٢١) الكتاب : ١ : ١٢ .
(٢٢) المصدر السابق : ١ : ١٢ .
(٢٣) المصدر نفسه : ١ : ١٢ .
(٢٤) همع الهوامع : ١ : ٧ ، ٨ .
(٢٥) التوطئة : ١٣٣ .
(٢٦) النحو الوافى : ١ : ٦٥ .
(٢٧) من أسرار اللغة : ١٧٥ .
(٢٨) البحث اللغوى عند الأصوليين : ١٥٤ .
(٢٩) من أسرار اللغة : ١٧٥ .
(٣٠) مفتاح العلوم : رسالة دكتوراه / مخطوطة . ٤٨٣ .
(٣١) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٥٤ .
(٣٢) التلخيص : ١٧٠ .
(٣٣) التلخيص : هامش : ١٧٠ .

وهذا هو ما ركن اليه الدكتور تمام حسان : حيث وزع صيغة الأمر على الحاضر والمستقبل : « افعل الآن • افعل غدا » (٣٤) •

(ب) خلو صيغة الأمر من الدلالة على زمن : وهو ما ألمح اليه بعض النحاة اذ جعلوا صيغة الأمر تدل على طلب ، من غير أن يثيروا قضية الزمن فيها •

جاء فى الكافية : « الأمر صيغة يطلب بها الفعل من الفاعل المخاطب بحذف حرف المضارعة » (٣٥) • والملمح ذاته نجده اذا نظرنا فى مادة تقسيم الفعل التى عرض لها الجرجانى فى (الجمل) يقول : « المفتوح الآخر نحو ضرب وانطلق وهو للماضى خاصة •• وما دخله احدى الزوائد الأربع ••• وهو يصلح للحال والاستقبال ••• الموقوف الآخر (نحو اخرج) ••• يكون أمرا للمخاطب » (٣٦) • فلم يسند زمنا الى صيغة الموقوف الآخر وهو الأمر •

وكان تقسيم الفعل باعتبار زمنه قد جعل الكوفيين يبعدون « الأمر (ف) لم يجعلوه قسيما للماضى والمستقبل » (٣٧) وقد نسب الدكتور مصطفى جمال الدين أول تصريح بتجرد صيغة الأمر من الدلالة على الزمن ، صدر عن الاصوليين ، الى صاحب (المعالم) وهو قوله : « المتبادر من الأمر طلب ايجاد حقيقة الفعل » (٣٨) •

وقد تابع أغلب المعاصرين الرأى الذى يذهب الى خلو صيغة الأمر من الزمن وعبارة الدكتور : ريمون طحان : « اطراح الأمر من حقل الزمن » (٣٩) • وهو رأى الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى الذى ذهب الى «أن صيغة فعل الأمر التى ترد فى أسلوب الانشاء لا تدل على معنى زمنى » (٤٠) وقد ركن الدكتور ابراهيم السامرائى الى الرأى الكوفى ، فلم يعده قسيما للماضى والمستقبل (٤١) •

---

(٣٤) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥١ •
(٣٥) شرح الكافية : ٢ : ٢٦٧
(٣٦) الجمل : ٥ •
(٣٧) الفعل زمانه وأبنيته : ٢١ •
(٣٨) البحث النحوى عند الاصوليين : ١٥٤ •
(٣٩) الألسنية العربية : ١ : ١٤٦ •
(٤٠) نحو الفعل : ٢٤ •
(٤١) الفعل زمانه وأبنيته : ٢١ •

(جـ) عدم فعلية صيغة الأمر :

لم تعد الآراء السابقة أن تجعل صيغة الأمر صيغة فعلية ، فلم يعد نفى أن يكون الزمن مقوما للفعل بالتضمن أمرا مخالفا لحقيقة لغوية . ان حدث فعل الأمر ، الذى هو « حدث كسائر الافعال » (٤٢) يتميز بدلالته على الطلب . أى هو ، من جهة الحدثية ، قسيم الماضى الذى يتميز بحدثه الدال على التام والمضارع الذى يتميز بدلالته على غير التام(٤٣) .

غير أن الدكتور مهدى المخزومى نظر الى صيغة الأمر نظرة أخرى ، فلم يكتف بتجريد الصيغة من الدلالة على الزمن ، بل جردها من الفعلية أيضا ، وعدها صيغة طلب ليس غير .

رأى الدكتور المخزومى : « أن الفعل يتميز بشيئين : أولهما انه مقترن بالدلالة على الزمان ، وثانيهما : أنه يبنى على المسند اليه ، ويحمل عليه »(٤٤) وقد وجد أن « بناء (افعل) خلو من هاتين الميزتين »(٤٥) فانتهى الى أن ما يدل عليه هذا البناء هو : « طلب الفعل حسب »(٤٦) ونحن لا نركن الى هذا التحليل لـ :

١ ـ أننا قد انتهينا الى أن (الزمن) ليس جزءا من مدلول صيغة الفعل ، وبعبارة أخرى : ليس الزمن معنى صيغة الفعل . ومقولة الدكتور مهدى المخزومى « الفعل مقترن بالدلالة على الزمان » ليست الا ترديدا لقول عقلى محض لا لغوى ، وارتدادا الى جوهر النظر النحوى الذى وجه اليه الدكتور المخزومى نفسه نقدا مريرا ، بل يمكن أن ننتخب بعضا من أحكامه فى قضية الزمن والفعل لننتهى الى رفض عد الزمن سمة من سمات الفعل منها قوله : « الصيغة قد تدل على محض تمام الفعل أو عدم تمامه(٤٧) وليس فى هذه الدلالة نص على الزمان ، وان كان الزمان من مستلزماته » (٤٨) وسنعرض لمفهوم الزمن الالزامى فى النقطة التالية فى هذا المبحث . غير أنه يمكن تعميم مقولة الدكتور المخزومى السابقة على بناء (افعل) فتكون كما يأتى :

---

(٤٢) الفعل زمانه وأبنيته : ٢١ .
(٤٣) ينظر فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤٥ .
(٤٤) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٢٠ .
(٤٥) المصدر السابق : ١٢٠ .
(٤٦) المصدر نفسه : ١٢٠ .
(٤٧) وهو رأى المستشرقين .
(٤٨) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤٥ .

الصيغة قد تدل على محض تمام الفعل أو عدم تمامه أو على محض طلب الفعل وليس في هذه الدلالة نص على الزمان · فما الفرق ؟

٢ ـ أن الفعل يتميز بنـوع حدثه الذى يبنى على المسند اليه · والأمر حدث على الرغم من أنه غير واقع · وهو كالحدث الواقع فى حيز النفى ، « وذلك ان كلا منهما (الأمر والنفى) غير حادث »(٤٩) ·

والى هذا أشار الأستاذ فندريس : « ف موضوع الجملة الفعلية أن تأمر بحدث أو تقرر حدثا أو أن تتخيل حدثا » (٥٠) ·

الأمر والزمن الالتزامى :

أثار الدكتور مصطفى جمال الدين قضية ما يمكن تسميته الزمن الالتزامى فى الأمر ، فقد جعل : « القول الحق ما قاله صاحب (المعالم) من أن التحقيق أن صيغة الأمر لا دلالة لها على الزمان وضعا أصلا وانما يفهم منه الزمان التزاما »(٥١) ·

ان مصـــــطلح « الالتزام » يشير الى تلازم الموجودات عقلا وهو ، بذلك ، يعرض للبنيات الفكرية وليس للبنيات اللغوية ، ومثل ذلك دلالة السقف على الحائط بالالتزام فالسقف فى اللغة لا يشير الى الحائط ، ولكن اذا أردنا مرحلة من مراحل تحليل مستلزمات السقف بما يشير اليه ، لا بما ينطوى عليه ، وجدنا أن السقف يشير الى حائط · وهكذا فان (الفعل) اذا نظر اليه بكونه حدثا من أحداث الوجود لا اللغة لزم أن يكون له زمن ، أو أن يكون الزمن من مستلزماته · ف : فعل (تدور) مثلا ، فى جملة « تدور الأرض حول الشمس » (٥٢) يلزم أن يكون له أى لحـدث الدوران ، زمن · وهذا الزمن فلـكى ، ومقـــــداره ٣٦٥ يوما · غير أنه خال من الزمن اذا نظر الى حدث الدوران بوصفه « حقيقة ثابتة » (٥٣) ، أى لا يلزم أن يكون له زمن · ومن هنا يبـدو تحليل الدكتور مهدى المخزومى مضـــــطربا : أن « الصيغة قد تدل على محض تمام الفعل ·· وليس فى هذه الدلالة نص على الزمان وان كان الزمان من مستلزماته » (٥٤) فالاشارة الأولى تنبثق من بنية لغوية ،

---

(٤٩) الفعل زمانه وابنيته : ٢٢ ·
(٥٠) اللغة : ١٣٣
(٥١) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٥٦ ·
(٥٢) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٧ ·
(٥٣) المصدر السابق : ١٥٧ ·
(٥٤) المصدر نفسه : ١٤٥ ·

في حين تنبنق الثانية من بنية فكرية منطقية مجردة . كذلك تكشف اشارة الدكتور تمام حسان الى حصر دلالة صيغة الأمر على الحاضر والمستقبل ، بالظرف (٥٥) ، تكشف عن وجه من وجوه الزمن الالتزامي لأنه يغفل خلو الأمر بصيغته من الدلالة على زمن البتة .

والملاحظ الدقيق في هذا الجانب ان فعل الأمر لا يدل بصيغته على زمن الا اذا أريد النص به على ذلك ، وحينئذ يشير ا لى قسمي الحاضر والمستقبل دون الماضي .

ويلحق الأمر بالصيغة ، الأمر بالمصدر كما في قوله تعالى : «فضرب الرقاب » (٥٦) وبالقرينة ، كقوله تعالى : « فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر » (٥٧) . وكقوله : « ولا تقربوا الزنى » (٥٨) أو بالدلالة كقوله ـ سبحانه ـ : « عليكم أنفسكم » (٥٩) فهذه لا تنطوي على زمن الا اذا نص عليه بقرينة .

واذا كان الفرق بين النهي والأمر يلحظ بفرق المعنى فان الفروق التي بين وجوه باب الأمر بالصيغة والمصدر ولام الطلب واسم الفعل ، تفسر في ضوء نظرية عبد القاهر الجرجاني : وجوه الباب (الواحد) وفروقه التي عرضنا لها (٦٠) ويقدم الدكتور تمام حسان ملمحا من هذا الفرق في باب الأمر . يقول : « المصدر ، في هذه الحالة ، يختلف عن فعل الأمر من مادته بأن الأمر للطلب المحض وهذا المصدر للافصاح ، فحين قال الشاعر : « فندلا زريق المال ندل الثعالب » لم يكن المعنى الذي قصد اليه مساويا تماما لمعنى « اندل » وانما أراد بذلك معنى افصاحيا آخر ، انفعاليا فيه من الحث والحض والخفة في محاولة الهرب .. وهي معان لا توجد في صيغة الأمر المجردة » (٦١) .

ولم يبين الدكتور تمام حسان زمن المصدر « ندلا » في قول الشاعر السابق ، حيث كان قد نص على أن « المصدر صالح للحال أو الاستقبال » (٦٢) ، فلا اشارة في البيت سوى اشارة طلب يحمل

---

(٥٥) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥١ .
(٥٦) محمد : ٤ .
(٥٧) الحج : ١٥ .
(٥٨) الاسراء : ٣٢ .
(٥٩) المائدة : ١٠٥ .
(٦٠) ينظر الفصل الثاني من هذه الرسالة : « امكانات الصيغة »/ص ٧٣ فما بعدها .
(٦١) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
(٦٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٥٤ .

سمات حدث المصدر دون الفعل · بل ان الحاج الدكتور تمام حسان على القرينة دون الصيغة بوصفها دالة زمن ، يعنى وجها من وجوه نفى دلالة صيغة (الأمر) وملحقاتها على الزمن ·

وهكذا نخلص الى أن صيغة الأمر صيغة فعلية مفرغة من الزمن ·

ومن أمثلة ما ورد فى القرآن لصيغة الأمر بدلالتها السلبية والايجابية على الزمن ، قوله تعالى : « ارجعوا الى أبيكم فقولوا » (٦٣)· فدلاله صيغتى « ارجعوا » و « قولوا » لا تنطويان على زمن ·

بل ان الصاق الزمن بكونه زمنا التزاميا (ارجعوا من فوركم أو الآن أو بعد قليل أو غدا) ، يضعف معنى التركيب ويدخله فى قصد آخر ·

ومثل ذلك قوله تعالى : « ولا تقولوا ثلاثة انتهوا » (٦٤) أما قوله: « فالآن باشروهن » (٦٥) و « أرسله معنا غدا » (٦٦) فمما نص به على زمن الصيغة ، لأن الظرف ، كما سنبين فى الفصل القادم لا يشير الى زمن بل يقيس زمنا مستقلا عنه ، أعنى عن الظرف ·

٣ ـ صيغ العقود ، الدعاء ، جملة القسم :

(أ) صيغ العقود :

يمكن أن يطبق على هذه الصيغ ، التى تقبع فى هذه الأساليب الانشائية ، قانون حركة الصيغ فى العربية وفق مميزها الحدثى الذى عرضنا له فى الفصل الثانى من هذه الرسالة بعنوان « امكانات الصيغة »

ان صيغ العقود : نحو : « بعتك » و « اشتريت » و « زوجتك » و « قبلت » ·· الخ صيغ يقع حدثها « فى أثناء الكلام » (٦٧) ولا يتم « الا بالكلام نفسه) (٦٨) ويعنى ذلك أن الزمن لا يمكن أن يلحظ أو يقصد اليه ، بل القصد القطع بتحقق الحدث المتعاقد عليه · ولهذا اختيرت صيغة (التام) أو (الماضى) وقد وقع فى وهم كثير من الباحثين

---

(٦٣) يوسف : ٨١ ·
(٦٤) النساء : ١٧١ ·
(٦٥) البقرة : ١٨٧ ·
(٦٦) يوسف : ١٢ ·
(٦٧) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٥ ·
(٦٨) المصدر السابق : ١٥٥ ·

ان الزمن الذى تدل عليه الصيغ التزاما ، هو زمن تدل عليه تضمنا ، أى لما كان الحدث يقع فى اثناء الكلام ، اقتضى أن يكون زمنه الحاضر ، فجعلت صيغة « فعل » فى العقود دالة على الحاضر بعد ان كانت تدل عند النحاة ، على الماضى فقط • وهذا وهم من حيث انه لا يمتنع استعمال صيغة الحاضر (يفعل) ، اذا أريد الزمن فنتحول صيغ بعت واشتريت وزوجتك الى أبيعك واشترى ، وأزوجك •• الخ •

وقد احس الدارسون بشيء من هذا • فقد ذهب الأستاذ عبد السلام هرون الى ان البلاغيين « لا يكادون يلقون بالا الى هذا القسم (المدح والذم التعجب ، العقود) لقلة المباحث المتعلقة به ، ولأن أكثره فى الأصل أخبار نقلت الى معنى الانشاء » (٦٩) •

ان هذا النقل ، فيما أرى ، تم داخل بنية الفعل الماضى ، اذ فرغت هذه البنية من الزمن ، واستقرت فى تركيب العقود بدلالة حدثها فقط • فنقلت بذلك من معنى الخبر الزمنى الى معنى الانشاء اللازمنى •

أما الزمن الحاضر اذا أريد تبيينه ، فهو زمن تركيب العقد ، لا زمن صيغته • لأن الصيغة ، لو لم تكن واقعة فى ذلك السياق لما دلت الا على ماض • ويمكن توضيح ذلك بما يأتى :

اشتريت فى هذه اللحظة = صيغة زمنية • الحدث تم الآن / خبر

اشتريت قبل هذه اللحظة = صيغة زمنية • الحدث تم فى الماضى / خبر

اشتريت أى وافقت على الشراء موافقة مقطوعا بها = صيغة غير زمنية / انشاء

ومن هنا وقع الأستاذان الدكتور مهدى المخزومى ، والدكتور تمام حسان فى شرك العقل لا فى شباك اللغة ، اذ صدرا عما يستلزم الصيغ من زمن فى مثل هذه الأساليب •

فجعله الأول زمن الصيغة والثانى زمن الأسلوب • يقول الدكتور مهدى المخزومى عن فعل : « له دلالات لا تقتصر على وقوع الحدث فى الزمان الماضى ، فقد دل فى بعض استعمالاته على وقوع الحدث حال زمن التكلم كما فى قول البائع والمشترى : « قبلت » (٧٠) أما الدكتور تمام حسان فانه وان لم يعرض لزمن صيغ العقود ، ربط الزمن بدلالة الأسلوب ، ولما

---

(٦٩) الأساليب الانشائية فى النحو العربى : ١٣ •

(٧٠) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٤٢ •

كان مدلول الكلام الانشائي لا يتحقق في الخـــارج ويتوقف على النطق به (٧١) لزم أن يكون زمنه في الحاضر ٠

(ب) الصيغ في الدعاء والقسم :

فاذا عرضنا للصيغ في الدعاء وجدنا الأمر أكثر قبولا لتطبيق قانون المميز الحدثي عليه ٠

ان تفسير وجود صيغ دالة على الماضي في سياق استقبالي يخضـــع الى قاعدة حركة الصيغة بحدثها لا بزمنها ٠ يقول ابن جني « ان هذا ثابت باذن الله ، واقع غير ذي شك ، وعلى ذلك يقول السامع ، وقع ان شاء الله ، ووجب لا محالة أن يقع ويجب » (٧٢) ٠

فالمقصود دلالة التثبيت لا دلالة الزمن ٠ وقد كشف الأستاذ عباس محمود العقاد عن حركة الصيغة الفعلية ، التي تتنازعها دلالتا الزمن والحدث في مثل هذه السياقات ٠ قال : « فالمعنى غالب على اللفظ في أفعـــال الدعاء والرجاء ٠ يقول القائل : صحبتك السلامة ، وحفظك الله ٠٠ ومن آية القصد في اللغة ألا يحتاج الفعل ، هنا ، الى النقل من صيغة المـاضي الى الحاضر ٠ لأن المعنى بالبداهة معلق على الاستقبال ٠٠ ولا شك أن هذا المعنى مقصود ، لم يأت عن عجز في اللغة ، ولا يمتنع على قائل أن ينقله الى صيغة المضارع اذا شاء » (٧٣) ٠

فالزمن ، اذا أريد تبينه ، هو معنى السياق وليس معنى الصيغة ٠ ومن وجهة نظر لغوية ليس الزمن هنا مقصودا ٠

و (البداهــة) التي توصلت الى تعيين الزمن هي بداهة العقل عند تحليل مستلزمات النص ٠ أما البداهة اللغوية فلا تلاحظ زمنا البتة ٠ ان الصيغة ، هنا ، مفرغة من الزمن ، شأنها شأن صيغة الأمر في الدعاء ٠ كقوله تعالى « ربنا اغفر لنا » (٧٤) وشأن الجملة الاسمية التي للدعاء كالقول :

« أنت المنصور » ٠ قاصدا الدعاء (٧٥) كذلك تحلل صيغة جملة القسم في ضوء هذا المنحى ٠

---

(٧١) الأساليب الانشائية في النحو العربي : ١٣ (٧٢) الخصائص : ٣ : ٣٣٢ ٠
(٧٣) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤١ ٠
(٧٤) آل عمران : ١٤٧ ٠
(٧٥) الأساليب الانشائية في النحـو العربي . ١٦ ٠

نحو قولك : « نشدتك الله ، وعزمت عليك الا فعلت كذا » (٧٦) وكنا قد عرضنا لرأى المستشرق الألمانى (كراوس) الذى يقول : « وأقول: « آقسمت » وأنا أريد أن أقول « أقسم » (٧٧) ٠

ونخلص فى هذه النقطة الى أنه وقع فى وهم المحدثين أن النحاة أخطأوا ، حين ربطوا صيغة الماضى (فعل) بالزمن الماضى مطلقا ، وصيغة المضارع بالحاضر أو المستقبل مطلقا ، واستدلوا على خطأ النحاة بالصيغ الواقعة فى الأسلوب الانشائى والشرطى كصيغ الشرط والعقود والدعاء ، والترجى ٠٠٠ الخ ٠

والحق أن المحدثين هم الذين أخطأوا فى هذه النقطة ، اذ نسبوا زمن السياق وقرائنه الى شكل الصيغة ، حيث تهيأ لهم أن صيغتى الماضى والمضارع تدل كل واحدة منهما ، على زمن ماض وحاضر ومستقبل ولم يلاحظ الا القليل منهم تفريغ الصيغة من الزمن وابقاء حدثها ، كما لاحظ الدكتور مهدى المخزومى ذلك على الصيغ الواقعة فى السياق الشرطى (٧٨)

أما النحاة القدماء فقد لمحوا تحول الصيغ عن زمنها الذى لها بالوضع واعتذروا لهذا التحول ، غير أنهم بسبب من منهجهم ، لم ينزعوا فى هذه النقطة الى التفكير اللغوى فيجردوا الفعل اللغوى من الزمن ٠

والنتيجة التى ينتهى اليها هذا المبحث هى :

أن الصيغ ينزع فى السياق الانشائى (عدا الاستفهام) الى تفريغ بنيتها من الزمن الا اذا نص عليه بقرينة ٠

وهى تقابل ، بذلك ، الصيغ فى السياق الخبرى التى تنزع الى الزمن ، الا اذا نص بقرينة على عدمه ٠

وهكذا يمكن وضع علاقة الصيغة بالزمن فى القانون الآتى :

تتأثر الصيغة الفعلية فى تعبيرها عن الزمن بنوع السياق الذى تحل فيه أى : تحافظ الصيغة الفعلية ـ اذا أريد النص بها على الزمن ـ على دلالة زمنية ثابتة ٠

فتدل (فعل) على الماضى و (يفعل) على الحاضر ، يستثنى من

---

(٧٦) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٥ ٠

(٧٧) محاضرات فى فقه اللغة / مخطوطة : ٣٤ ٠

(٧٨) ينظر فى النحو العربى نقد وتوجيه : ٢٩٦ ٠

ذلك المضارع المنفي بغير « ما » ، والمضارع بعد أداة الاستفهام « هل » (٧٩)

وتفرغ الصيغة من الزمن :

اذا وقعت فى السياقين : الانشائى ـ عدا الاستفهامى والشرطى ـ فتنجه الى التعبير عن دلالات أخرى ٠ لكن لا يمتنع أن يقع حدث هاتين الصيغتين فى زمن ـ اذا أريد ذلك ـ بقرائن لفظية ومعنوية ٠

كما يمكن فى ضوء نتائج هذا الفصل أن تحدد تسمية المصطلحات الفعلية ، بوصف الفعل حدثا مفرغا من الزمن يمكن أن يلحق به الزمن فى مواضع معينة من السياق ، ولقد ارتبطت فكرة المصطلح الفعلى بفكرة الزمن ارتباطا وثيقا أيضا ، فأصبحت صيغة الماضى تعنى الزمن الماضى وصيغة المضارع تعنى الزمن الحاضر وصيغة الأمر تعنى المستقبل ٠

وقد كانت تسمية « المضارع » قد صدرت عن منهج العمل النحوى للمشابهة فى العمل بين المضارع و (اسم الفاعل) ٠ وهى فكرة لا يمكن تقبلها لأن المادتين مختلفتان من حيث القسم الصرفى ٠

غير أنه صار لهذه التسمية ـ التى تعلل قضية لغوية خطأ ـ نصيب من الفائدة ، فقد جردت المصطلح الفعلى من الاشارة الى زمن ٠ وأخذ مصطلح « المضارع » بشيوع استعماله ، يتجرد من دلالته المعجمية التى تشير الى علة دلالته الاصطلاحية ، مشيرا الى صيغة (يفعل) حسب ٠ وكذلك يمكن القول نفسه فى مصطلح (الأمر) أو « الطلب » فهما معنى حدث الصيغة وليسا معنى زمنها ٠

والأمر ينطبق على مصطلح « المصدر » فهذه التسمية تذكرنا بذلك الجدل بين الفريقين النحويين : البصرى والكوفى ، ذلك الجدل الذى يمس بابا واسعا فى البحث النحوى القديم وهو باب « التأصيل » ٠

فالبصريون يرون أنه سمى مصدرا لصدور الفعل عنه والكوفيون سمى مصدرا لأنه مصدور عن الفعل (٨٠) غير أنه مع تقدم استعمال المصطلح أبعد النظر اليه من زاوية الأصل والفرع وهى زاوية أغفلها البحث اللغوى لتعلقها بأمور خارج منهجه ٠ وصار المصدر يدل على قسم من أقسام الكلم ، مستقل بدلالته ٠ فاذا واصلنا البحث فى هذا الجانب وألقينا نظرة على المصطلح الذى يشير الى صيغة (فاعل) وجدنا تسميته

---

(٧٩) سنعرض لذلك بالتفصيل فى الفصلين الأخيرين من هذه الرسالة ٠

(٨٠) الانصاف : ١ : ٢٣٦ ٠

بعكس خلافات نحوية ٠ ان سيبويه وتابعيه من النحاة يجعلون صيغة (فاعل) اسما ويسمونه : « اسم الفاعل » (٨١) ، في حين عدهـــ الكوفيون فعلا وسموها : « الفعل الدائم » (٨٢) وقد وجدت هذه التسميات طريقها الى المباحث اللغوية المعاصرة (٨٣) وظهرت تسميات مثل : « بناء فاعل » (٨٤) ٠

وجعل الدكتور تمام حسان صيغة « فاعل » قسما قائما برأســه في الصرف هو قسم « الصفة » وضم اليها صيغة المبالغة وصيغة مفعول والصفة المشبهة ، وسماها : « صفة فاعل » (٨٥) ٠ وهي التســـمية التي نجدها صحيحة لانطباق الجانبين الشكلي والدلالي عليها ٠

ان أهم معضلة تواجه الباحث في استقرار المصطلحات الزمنية تكمن في مصطلح « الماضي » ، فهذا المصطلح لا يكتفي بتحديد دلالته الزمنية ، بل يعكس تلك الدلالة بالمقارنة على مصطلحي المضارع والأمر ٠ فكان :

الماضي ــ المضارع ــ الأمر = الماضي ــ الحاضر ــ المستقبل ولكي نحل هذه المعضلة نحتاج الى نظر سريع في طبيعة المصــــطلحات هذه ٠ وسنجدها ذات طبيعتين : الأولى شكلية ، كما نقول بناء (فعل) ، (يفعل) (افعل) ، (فاعل) ، (مفعول) ، (افعل) ٠٠ الخ ٠

الثانية دلالية : كالماضي والمضارع والأمر والمصدر وصفة فاعل أو اسم الفاعل ٠٠ الخ ٠

وقد اعتمد البحث النحوي القديم كلتا التسميتين٠ ويظهر ذلك جليا في الكتاب ٠ (٨٦) وفي أغلب مباحث النحاة أطلق تسمية « الماضي » على الصيغة وليس على الزمن ، ولهذا جمعوا بين الماضي والمستقبل ٠ الماضي صيغة والمستقبل زمن لهـــذه الصـــيغة ٠ كقولهم : « ومع الماضي لفظا ومعنى » (٨٧) يريدون بالماضي معنى دلالته الزمنية ، وبالماضي لفظـــا شكل صيغته أي : (فعل) ٠

---

(٨١) ينظر الكتاب : ٤ : ٣٤٨ ٠ وشرح الكافية : ٢ : ١٩٨ ٠
(٨٢) ينظر الدرس النحوي في بغداد : ٣٣ ٠
(٨٣) ينظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٨ ٠
(٨٤) الفعل زمانه وأبنيته : ٣٤ ٠
(٨٥) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٨ و ٩٩ ٠
(٨٦) ينظر الكتاب : ١ : ١٢ ، ١٦ ، ١٧، ٣٥ و ٣ : ٢٣ ٠
(٨٧) التوطئة : ١٤٨ ٠

أما المعاصرون فنلاحظ على مباحثهم نوعا من الاضطراب فى اعتماد المصطلح فى هذا الباب • ومرد هذا الاضطراب راجع الى محاولتهم دفع المصطلحات التى تحمل سـمات خاطئة خارجا ، من غير أن يحاولوا الاستقرار عند قسم منها • وسنعرض لجانب من هذا الاضطراب فى مؤلفين لغويين معاصرين ، هما مؤلف الدكتور مهدى المخزومى ومؤلف الدكتـور ابراهيم السامرائى اعتمد الدكتور ابراهيم السامرائى التسمية الشكلية للصيغ فى مؤلفه « الفعل زمانه وأبنيته » غير أنه لم يستطع التخلص من التسميات الدلالية ، كما يبينه توزيع مصطلحاته فى جدوله الزمنى :

(فعل •

بناء يفعل أو المضارع •

بناء فاعل ومفعول والمصدر •

فعل الأمر) (٨٨) •

وفى مباحثه التطبيقية عاد فاعتمد مصطلح الماضى القريب (٨٩) •

أما المصطلح عند الدكتور مهدى المخزومى فمصطلح متداخل ، ينقصه التحديد •ان الدكتور مهدى المخزومىخلع على أقسام جدوله (الزمنى)(٩٠)

تسميات زمنية هى « الماضى » ، « الحاضر » • غير أنه ألحق بهـا تسمية « الدائم » وهى تسمية غير زمنية ، لأن قسما من صيغ الدائم ينبغى أن تكون فى الماضى كما أن جزءا من فروع جدول الماضى ينبغى – فى ضوء الزمن ، أن تنتقل الى الحاضر ، وجزء من فروع جدول الحاضر ينبغى أن تنتقل الى الماضى •• الخ •

كما أن المدقق فى جدول الدكتور المخزومى ينتهى الى أنه جدول صيغ ، وليس جدول صيغ زمنية فهو ينطوى على صيغ لا دلالة فيها على زمن البتة ، واشتملت عليها الفروع الثلاثة الماضى ، الحاضر ، الدائم •

ويجد الباحث أن اعتماد التسمية الدلالية هى التى تحل قضـية تداخل المصطلحات وعدم استقرار دلالاتها الاصطلاحية ، مقترحا تغيير مصطلح « الماضى » الى « التام » الذى قال به المستشرق الألمانى (كراوس)

---

(٨٨) ينظر الفعل زمانه وابنيته : من : ٢٨ حتى ٤٨ •

(٨٩) ينظر المصدر السابق : ٢٧ •

(٩٠) ينظر فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٥ الى ١٥٨ •

كما مر بنا (٩١) بانين ذلك فى ضوء نتائج البحث السابق وفى ضوء نتائج الفصل الثانى من هذه الرسالة الذى عنوانه : « امكانات الصيغة » التى هى فى جوهرها أن للصيغة معانى أحدها : الزمن • وبهذا سنستقر عند مصطلحات ، « التام » ، « المضارع » ، « الأمر » ، « المصدر » ، « صفة فاعل » ... الخ

أما اعتماد التسميات الدلالية للمصطلح ، دون التسميات الشكلية له فمردها الى أمور ثلاثة :

الأول : رواجها فى الاستعمال •

الثانى : حلها لمعضلة الزمنية واللازمنية فى الصيغة •

الثالث : اشتمالها على تفريعات الصيغة • فقولنا : « التام » مثلا ، يشمل « فَعَل » و « فَعِل » و « استفعَل » .. الخ

فاذا عرضنا قوله تعالى :

« اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس .. » (٩٢) يكون الفعل « رأى » فى « رأيت » :

- صيغة فعل ماض •
- صيغة فعل ماض معناه المستقبل •
- صيغة فعل ماض خال من الزمن •

وهذه المزاوجة بين النقائض : ماض ومستقبل وخلو من الزمن ، محيرة ، وتؤدى الى معضلات فى مجال التعليم خاصة •

فاذا قلنا :

« رأيت : فعل تام معطوف على فعل الشرط التام »

أمكننا الوصول الى تطابق بين الشكل والدلالة •

---

(٩١) ينظر / ص ٤٦ من الفصل الثانى من هذه الرسالة (امكانات الصيغة)
(٩٢) النصر : ١ ــ ٢ •

الزمن والاعراب

لم تظهر فى مباحث النحاة العرب القدماء الا اشارات سريعة تربط بين الزمن وظاهرة الاعراب فى اللغة العربية • ويمكن أن نرجع سبب تفادى النحاة الجمع بين الزمن والاعراب الى أن الزمن مظهر فعلى ، والاعراب مظهر اسمى • والزمن : علامة من علامات العامل •

والاعراب : علامة من علامات المعمول •

ومن هنا كانا كقطبين متنافرين فى المنهج النحوى •

لقد شطر النحاة بنية العربية ، وفق المعيار الاعرابى . شطرين :

المعرب : وجعلوا فيه الأسماء •

المبنى : وجعلوا فيه الأفعال والحروف •

غير أن أهم ما واجههم فى هذا التقسيم هو اعراب الفعل المضارع ، أو اعراب المعرب •

اعراب الفعل المضارع :

وقف النحاة أمام ظاهرة اعراب الفعل المضــارع ، وحاولوا أن يلتمسوا لها تفسيرا لا يخرجها عن اطار المنهج •

لقد صرح بأن « حق الاعراب للاسم فى أصله » (١) لأن « الأسماء لما كانت تعتورها المعانى وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا اليها، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلة هذه المعانى بل كانت مشتركة، جعلت حركات الاعراب تنبىء عن المعــانى » (٢) • أمــا (الفعل فقــد تطفل بسبب المضارعة » (٣) وكأن علة بناء (الفعل) عدم اعتوار المعانى عليه : حيث يتخذ ركنا ثابتا فى الجملة وهذا الركن هو المسند (٤) • فاذا شابه الاسم أى جرت عليه المعانى أعرب لأن أهم علامات المشابهة الاعراب أما علة

(١) المفصل : ١٦ •

(٢) الأشباه والنظائر : ١ : ٧٨ •

(٣) المفصل : ١٦ •

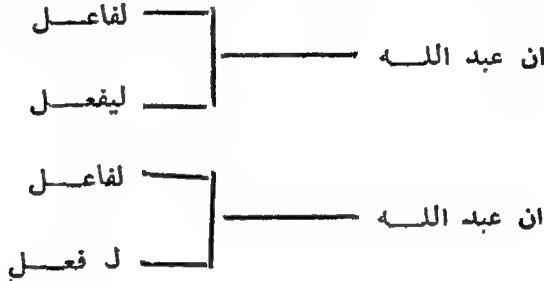
(٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٧ و ١٠٨ •

الاعراب فمرجعها العامل يقول سيبويه : « فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الاعراب ، وحروف الاعراب للأسماء المتمكنة وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين » (٥) .

ونلاحظ أن سيبويه جعل المضارعة بين الفعل المضارع والاسم مطلقا ، ويتضح ذلك فى أمثلته ، على الرغم من أنه لم يصرح الا بمضارعة بين الفعل واسم الفاعل وهو يستند الى طريقة (الاستبدال) لبيان تلك المضارعة ، وتميز هذه الطريقة ، منهج التوزيع اللغوى الذى اتخذته مدرسة (بلومفيلد) منهجا فى التحليل (٦) .

يجرى « سيبويه » استبدالين على اسم الفاعل فى الجملة .

١ ـ الاستبدال الأول بالفعل المضارع والثانى بالفعل الماضى . من حيث قبولهما للضميمة التى يقبلها اسم الفاعل :



فالتوافق يتم بين المضارع واسم الفاعل ولا يتم بينه وبينه وبين الماضى وعبارته : « تقول « ان عبد الله ليفعل » فيوافق قولك « لفاعل » .. وتلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم ولا تلحق (فعل) اللام » (٧) .

٢ ـ التوافق بين المضارع واسم الفاعل من حيث قبول كل منهما الوقوع فى (جدول الصاق) (٨) سوابق Prefixs خاصة بهما :

أل ـــــــ الاسم

س ـــــــ المضارع

وعبارته : « وتقول سيفعل ذلك ، وسوف يفعل ذلك فتلحقها هذين الحرفين لمعنى كما تلحق الألف واللام الأسماء للمعرفة » (٩) .

(٥) الكتاب : ١ : ٢١ .
(٦) نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث : ٣٢ .
(٧) الكتاب : ١ : ١٤ .
(٨) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٢ .
(٩) الكتاب : ١ : ١٤ .

ان المشابهة التى استندت الى حمل الفعل على الاسم باعتبار الفعل معمولا ، تستند فى موضع آخر عند سيبويه الى حمل الاسم على الفعل باعتبار الاسم عاملا · يقول : « فهذا أى صيغة (فاعل) جرى مجرى الفعل المضارع فى العمل والمعنى منونا » (١٠) ·

وعلى الرغم من أن فكرة العمل النحوى تسيطر على نظر سيبويه فى تحليل الأبنية والتراكيب اللغوية ، أو تركيبها فانه لم يمض فى تأكيد التطابق بين الفعل المضارع وصيغة « فاعل » ، بل نراه يعود الى منهجه التوزيعى ليجرى استبدالا آخر يقصد ، فيه هذه المرة ، الى التفريق بينهما ·

يقول : « ويبين لك انها ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك · ألا ترى أنك لو قلت « ان يضرب يأتينا » وأشباه هذا لم يكن كلاما » (١١) ·

وكأنه نبه الى أن المضارعة قاصرة على وقوع المضارع وصيغة (فاعل) فى بعض خانات الجدول التوزيعى · أما الفعل المضارع واسم الفاعل فمادتان لغويتان مختلفتان · وسنرى فى موضع قابل من هذا المبحث أن البلاغيين يلجئون الى معيار المعنى للتفريق بين مادتى المضارع واسم الفاعل ·

وقد توسع النحاة ، بعد سيبويه ، فى تحديد مفهوم المضارعة وتفسير جوانبه · لقد صرحوا بما كان سيبويه قد ألمح اليه من أن المشابهة بين الفعل المضارع و « مطلق الاسم لا خصوص اسم الفاعل » (١٢) ولجئوا الى الاستبدال بالاعراب لتفسير اعراب المضارع · فقد عرف ابن مالك المشابهة فى « التسهيل » بجواز شبه ما وجب له (١٣) وشرح الأشمونى ذلك بـ « قبوله (أى المضارع) بصيغة واحدة معانى مختلفة لولا الاعراب لالتبست » (١٤) فكأن ابن مالك جعل علة اعراب الاسم علة اعراب الفعل أى أن نظرية المعانى التى تعتور الاسم فتوجد الحركات الاعرابية تعتور الفعل المضارع فتوجد فيه الحركات أيضا · وعلى عبارة الصبان : « يقاس المضارع على الاسم فى الاعراب بجامع توارد المعانى التركيبية التى يميزها الاعراب » (١٥) ·

(١٠) الكتاب : ١ : ١٦٤ ·
(١١) الكتاب : ١ : ١٤ ··
(١٢) حاشية الصبان : ١ : ٥٩ ·
(١٣) شرح الأشمونى : ١ : ٣٣ ·
(١٤) شرح الأشمونى : ١ : ٣٣ ·
(١٥) حاشية الصبان : ١ : ٦٠ ·

وقد مال النحاة الى تقديم أمثلة نزرة للتدليل على تفسير ظاهرة الاعراب في اللغة عامة أو اعراب المضارع خاصة بحيث تبدو القرينة الاعرابية القرينة الوحيدة التى تحدد معانى التركيب • وهذا هو جوهر البحث النحوى ومن ذلك :

١ ـ « كون الاعراب واجبا للاسم : نحو

ما أحسن	زيدٌ	فاعل
ما أحسن	زيدا	مفعول
ما أحسن	زيدٍ (١٦)؟	مضاف اليه

٢ ـ كون الاعراب جائزا للفعل :

أى معانى الاعراب الواردة عليه :

لا تأكل السمك وتشرب اللبن ــــ النهى عن كل من الفعلين

لا تأكل السمك وتشربُ اللبن ــــ النهى عن الأول واباحة الثانى

لا تأكل السمك وتشربَ اللبن ــــ النهى عن المصاحبة (١٧)

وقد جعل النحاة ، كما لاحظنا ، علة اعراب الاسم واجبة وعلة اعراب الفعل جائزة • أى أن معانى الاسم الاعرابية « مقصورة عليه لا تتعدى الى غيره » (١٨) ومعانى المضارع الاعرابية « غير مقصورة عليه ، بل تستفاد بوضع اسم مكانه » (١٩) •

وهذه هى دورة الاعراب : يعرب الاسم لأن الاعراب أصل فيه ، ويعرب المضارع ، لأنه يحل محله اسم فيعرب لأن الاعراب أصل فيه •

وقد ركز البصريون فى مفهوم المضارعة على العنصر التفسيرى الذى ورد عند سيبويه ، وأضافوا اليه عنصرا شكليا آخر • كما يأتى :

١ ـ العنصر التفسيرى : « فالفعل المضارع يكون شائعا فيتخصص كما أن الاسم يكون شائعا فيتخصص »(٢٠) •

فكأن البصريين فسروا قبولهما سوابق معنى Semantic's Prefix التى أشار اليها سيبويه ، مستندين الى اجراء استبدال بين (أل) الاسم و (س) الفعل ، باعتبارهما مورفيمى معنى واحد ، على النحو الآتى :

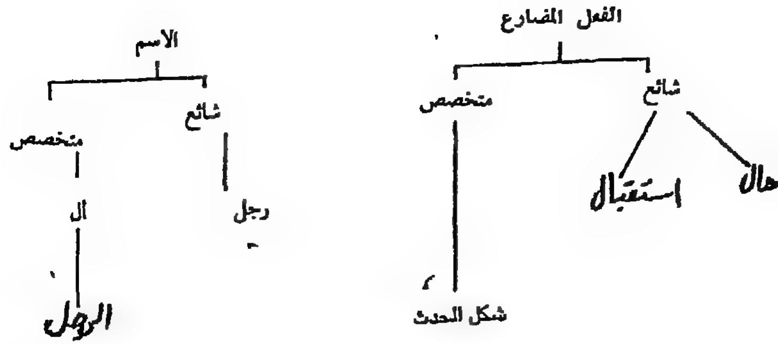
(١٦) المصدر السابق : ١ : ٦٠ •

(١٧) حاشية الصبان : ١ : ٦٠ •

(١٨) المصدر نفسه : ١ : ٦٠ •

(١٩) نفسه : ١ : ٦٠ •

(٢٠) الانصاف : ٢ : ٥٤٩ •



٢ – العنصر الشكلي : « فالفعل المضارع يجرى على اسم الفاعل فى حركته وسكونه • ألا ترى أن قولك : « يضرب » على وزن « ضارب » فى حركته وسكونه » (٢١) •

ان محاولة المطابقة بين عنصر لغوى وقسيمه محاولة تضطرنا ، فى كثير من الأحيان الى نوع من التمحل والتعسف بل ان ما لاحظناه من تفسير علة اعراب المضارع يعكس خللا منهجيا ، لأنه يخضع تحليل التراكيب اللغوية الى قرينة لفظية واحـــدة هى قرينة الحركة النحوية باعتبارها دالة وحيدة على المعنى اللغوى ، فى حين أن العلامة الاعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى « فـلا قيمة لهـــا بدون تضـــافر القرائن » (٢٢) •

وقد كان الكوفيون ، فى تفسير اعراب الفعل ، أكثر اقترابا من فهم الظاهرة اللغوية ، فهم لم يأخذوا بمنطق المشاكلة بين عنصرين لغويين متقابلين فى المعنى والمبنى ، بل جعلوا علة اعراب الأفعال المضارعة « لأنه دخلها المعانى المختلفة والأوقات الطويلة » (٢٣) •

وحاول الكوفيون أن يربطوا بين التغيرات الحركية النحوية التى تطرأ على آخر صيغة المضارع ، والمعانى التى تتعاقب على تلك الصيغة وزمنها • ومهما يمكن تفسير صاحب الانصاف من أن معنى الأوقات الطويلة التى دخلت المضارع أن الزمن المستقبل « أطول من الماضى » (٢٤) فانه يعد أول ملحظ يربط ، بطريق ما ، بين الاعراب والزمن •

---

(٢١) الانصاف : ٢ : ٥٥٠

(٢٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٠٧ •

(٢٣) الانصاف : ٢ : ٥٤٩ •

(٢٤) المصدر السابق : ٢ : ٥٥٠ •

حركة المضارع والزمن :

كان سيبويه قد فسر رفع المضـــارع بـ « كينونته في موضـــع الاسم » (٢٥) · ولما كان الاسم يرتفع بحسب موضعه في التركيب ، ولما كان المضارع يشابه الاسم ارتفع هو أيضا في مواضع : وزعها سيبويه كما يأتي :

١ ـ في موضع اسم مبتدأ ـــــ يقول زيد ذاك ·

٢ ـ اسم بنـــى على مبتدأ ـــــ زيد يقول ذاك ·

٣ ـ اسم مرفوع غير مبتدأ ولا مبنى على مبتدأ ـــــ هذا رجل يقول ذاك ·

٤ ـ اسم مجرور ـــــ هذا يوم آتيك ·

٥ ـ اسم منصوب ـــــ حسبته ينطلق (٢٦) ·

فاذا اعترض بـ « هلا يقول زيد ذاك » رد سيبويه هذه الجملة الى بنيتها الاعرابية التي هي :

« يقول زيد ذاك » و « يقول » في موضع ابتداء عنده لأن « هلا لا تعمل في اسم ولا فعل فكأنك قلت (يقول زيد ذاك) ··· » (٢٧) ·

وقياسا على « هلا » يمكن تفسير تركيبات كـ « ليت زيدا يفعل » و « لعله يفعل » · ومن هنا فان سيبويه لا يعبأ بـ مركبات زمنية تستحدث من تركيب أدوات زمن وأفعال · كـ « كان يفعل » : فهو ينظر الى هذا التركيب من خلال وجود العامل « كان » وتأثيره في الاسم ، أو تأثيره في الفعل الذي يحل محل الاسم بوصفه خبرا (٢٨) لكن الذي واجه سيبويه هو الفعل المضارع المرفوع بعد أدوات النصب عدا « كي » و « لن » ·

ان الفعل المضارع يرتفع وينتصب في تركيب واحد ، بتأثير عامل واحد ؟ كالقول :

إذن أظنه فاعلا ـــــ برفع أظن ونصبه

وحسبته شتمني فأثب عليه

---

(٢٥) الكتاب : ٣ : ٩ و ١٠ ·

(٢٦) الكتاب : ٣ : ١٠ ·

(٢٧) الكتاب : ٣ : ١٠ ·

(٢٨) ينظر الكتاب : ٣ : ١١ و ١٢ ·

وقوله تعالى « أفلا يرون الا يرجع » (٢٩).

ومن هنا فان كينونة الأفعال المضارعة في موضع الأسماء ترفعها ، كما يرفع الاسم كينونته مبتدأ (٣٠) تضطرب الى حد كبير . وقد قدم سيبويه تفسيرين لرفع المضارع ونصبه في تركيب واحد .

الأول ذو ملحظ زمني : يقول : وتقول اذا حدثت بالحديث : « اذن أظنه فاعلا » و « اذن اخالك كاذبا » ، وذلك لأنك تخبر أنك تلك الساعة في حال ظن وخيلة .

... ولو قلت : « اذن أظنك » تريد أن تخبره أن ظنك سيقع لنصبت ، وكذلك « اذن يضربك » اذا أخبرت أنه في حال ضرب لم ينقطع » (٣١) .

ويبدو أن سيبويه يربط بين حركة الاعراب في الفعل وزمن هذا الفعل فالضمة هنا علامة على أن زمن الصيغة هو الحاضر ، والفتحة علامة على أن زمنها هو المستقبل .

لكن تحليل سيبويه هذا لا يعد خروجا على ربط وجود الحركة بوجود العامل ، ولا يجعل لها سمة دلالية خارج اطار هذا الفهم ، فقد انتهى الى أن الضمة انما لحقت هذه الأفعال لأنها « خرجت من باب أن وكي لأن الفعل بعدها غير واقع » (٣٢) .

فكأن سيبويه يعمد الى نوع من القياس على أدوات تنصب ويكون الفعل بعدها غير واقع ، فاذا كان الفعل واقعا فانه مشير الى أن هذه الأدوات ملغاة فيرتفع الفعل حينذاك .

ان زاوية العمل هي الزاوية الرئيسة التي ينظر منها سيبويه الى هذا التركيب .

الثاني ذو ملحظ دلالي : وهو ارتفاع المضارع وانتصابه في تركيب واحد بتأثير عامل واحد . فالمضارع يرتفع اذا كان تحققه في المستقبل على وجه مقطوع به : وكأنه يتحقق الآن ففي قوله تعالى :

« علم أن سيكون منكم مرضى » (٣٣) .

---

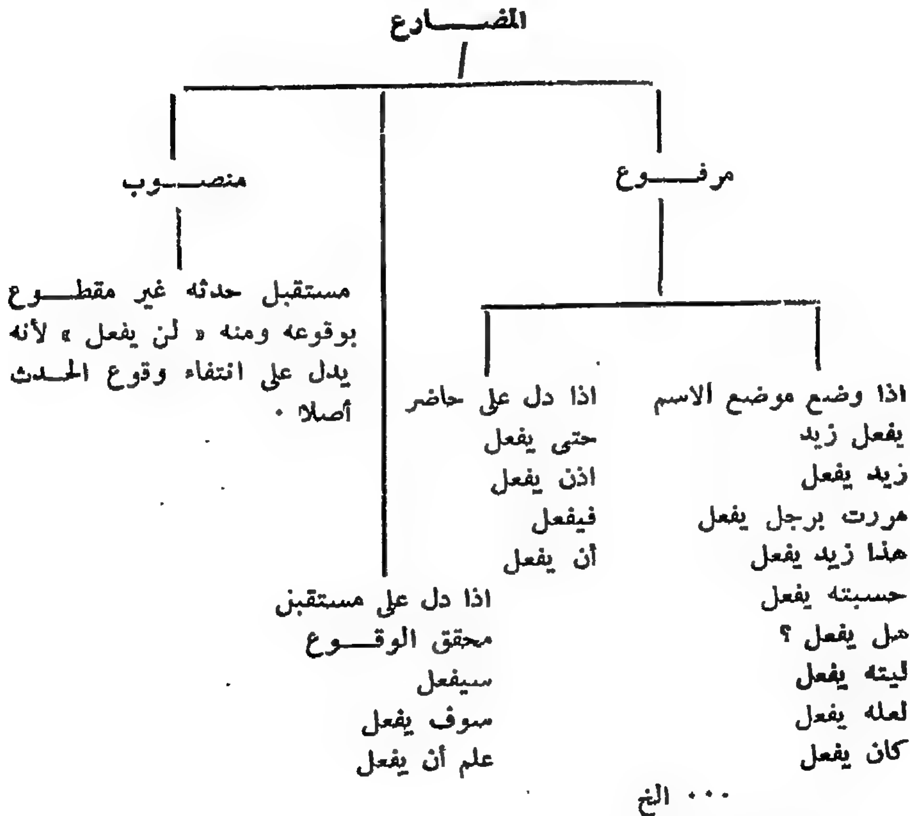
(٢٩) طه : ٨٩ .
(٣٠) ينظر الكتاب : ٣ : ١٠ :
(٣١) الكتاب : ٣ : ١٦ .
(٣٢) الكتاب : ٣ : ١٦ .
(٣٣) المزمل : ٢٠ .

قال : « لأن ذا موضع يقين وايجاب » (٣٤) ·

فكأن القطع بتحقق الحدث فى المستقبل وعدم القطع بتحقق الحدث فى المستقبل هو مدار حركة الفعل فتقول : « ما علمت الا أن تقوم ، اذا لم ترد أن تخبر أنك علمت شيئا كائنا البتة ولكنك تكلمت له على وجه الاشارة كما تقول : أرى من الرأى أن تقوم ، فأنت لا تخبر أن قياما قد ثبت كائنا أو يكون فيما يستقبل » (٣٥) ·

وهذا هو مدار الفرق بين « أن » الناصبة و « أن » المخففة فى البحث النحوى · « الناصبة تدخل على ما ليس بمستقر والمخففة تقتضى تأكيد الشيء وثبوته واستقراره » (٣٦) ·

ويمكن أن نضع المخطط الآتى لتحليلات سيبويه فى هذا الباب :



(٣٤) الكتاب : ٣ : ١٦ ·
(٣٥) الكتاب : ٣ : ١٦٨ ·
(٣٦) حاشية الصبان : ٣ : ٢٨٣ ·

أما الكوفيون فقد صدروا فى تفسير تعاقب حركتى الرفع والنصب على آخر المضارع ، عن ملحظهم فى ابعاد المضارعة بين الفعل المضارع والاسم : فقد فسروا رفع المضارع بعامل عدمى ، فذهبوا الى أنه رفع « لتعريه عن العوامل الناصبة والجازمة » (٣٧) ٠

أما الكسائى فقد ذهب الى أنه « يرتفع بالزائد فى أوله » (٣٨) فكأن الكوفيين والكسائى ربطا بين العامل والحركة مطلقا ، الكوفيون بعامل عدمى والكسائى بعامل من بنية الفعل مغفلين تغيرات الحركة وما يطرأ على التراكيب من تغيرات فى الدلالة والزمن ٠

أما جزم المضارع فلم يعقد سيبويه بين حركته (السكون) والزمن٠ فلم تنطو علامة السكون على امكانات زمنية ، ولم تثر أمامه ما أثارته حركتا الرفع والنصب من دلالات مختلفة ٠ ولهذا اكتفى بجعل علة جزم المضارع الواحد أو المضارعين فى الشرط بتأثير العوامل (٣٩) وانصبت المباحث بعد سيبويه على تعليل ظاهرة الجزم فى المضارع (٤٠) ، وربطت بعض المباحث بين حالة سكون الفعل المضارع وأصـله فى « ظاهرة الاعراب » أى بنائه ، فرأت « أن سـكون الفعلين سـكون بنـاء لا اعراب » (٤١) ٠

أما المباحث المعاصرة فقد تابع أغلبها المباحث القديمة ، وصدر رأى عن الدكتور صفاء خلوصى يربط فيه بين حركة الاعراب فى مضـارع الشرط ، وحالة اسلوب الشرط ذاته ٠

افترض الدكتور صفاء خلوصى « أن حالة الشرط على درجة من الذاتية بحيث لا يتسع المجال لتشكيل أواخر الكلمات ٠ والسكون بحكم رسمه ((٥) = صفر) يشير الى انعدام الحركة ، ولهذا تطابق مع الذاتية التى عليها حالة الشرط (٤٢) ».

وكان ينبغى للدكتور صفاء أن يعود الى علم الأصـوات ليزن الحركات ٠ ثم ان الذاتية الشرطية ضرب من ضروب الصـفة الأدبية لا اللغوية ٠

---

(٣٧) الانصاف : ٢ : ٥٥١ ٠
(٣٨) الانصاف : ٢ : ٥٥١ ٠
(٣٩) ينظر الكتاب : ٣ : ٨ ٠
(٤٠) واهم مظهر لهذا التعليل نجده فى كتـاب أسرار العربيـة : ١٣٢ ٠ وشرح الكافية : ٢ : ٢٥٤ ٠
(٤١) المرتجل : ٢١٦ ٠
(٤٢) مجلة الأستاذ / مقالة فى النحو المنطقى : ١٣ : ٩ ٠

غير أن ما يهمنا فى هذا المجال أن نعرض للمباحث المعاصرة التى فسرت الحركة فى المضارع تفسيرا زمنيا •

لقد ظهرت أول اشـارة تربط بين الزمن والاعراب فى مؤلف بروكلمان : (فقة اللغات السامية) وقد جعل عنوان مبحثه هذا « الأزمنة وحالات الاعراب » (٤٣) غير أنه لم يكن يعنى بالاعرا بـالا الحركات فى أواخر الأفعال سواء أكانت حركات اعراب أم حركات بناء • فقد توخى فى الأساس دراسة أواخر الصيغ الفعلية أى النهايات أو الاعجاز دراسة تاريخية وقد تعقب نهايات الصيغ فى العربية والعبرية والحبشية والآرامية الغربية والتحولات التى تطرأ عليها ووجد أنه « فى البابلية والآشورية ينتهى الفعل بالفتحة (٥) التى ترمز غالبا الى مواصلة سرد القصص» (٤٤) وانتهى بحثه فى نهايات الصيغ الزمنية فى اللغات السامية الى أن « هذه النهايات قد اختلط استعمالها فى وقت مبكر ، وأصبحت فيما بعد عديمة القاعدة كليا » (٤٥) •

وقد أشار بروكلمان فى مبحثه المقتضب هذا الى نهايات المضارع ، مرجحا أنه « وجدت فى السامية الأولى ، امكانية التفرقة بالنهايات بين بعض العلاقات الاعرابية فى المضارع » (٤٦) •

وهكذا يمدنا بروكلمان بملاحظة مهمة فى هذا المجال : فلما كانت صيغة المضارع أقدم صيغة فعلية فى السامية الأولى أى أنها كانت الشكل الزمنى الوحيد ، ولما كان الاعراب ، وهو ظاهرة سامية ، قد لوحظ فى تلك الصيغة ، أمكن افتراض عـلاقة تاريخية بين التغيرات الاعرابية والتغيرات الزمنية •

لكن بروكلمان من جهة ثانية لا يمدنا بما يساعدنا فى ملاحظة القاعدة التى تحكم علاقة العلامة الاعرابية بالزمن •

ومن المدهش أن نجد باحثا عربيـا معاصرا ، من غير اللغويين ، يتصدى للعلاقة بين الزمن والاعراب وهو الأستاذ عباس محمود العقاد اذ وجد علاقة ما بين معنى « النفى » والزمن : أو بين حركة هذا المعنى والزمن قسم العقاد النفى فى العربية من حيث معناه الى أربعة أقسام • على النحو الآتى :

---

(٤٣) فقه اللغات السامية : ١١٣ •
(٤٤) فقه اللغات السامية : ١١٥ •
(٤٥) المصدر السابق : ١١٥ •
(٤٦) المصدر نفسه : ١١٤ •

نفى الحدوث	نفى الانبغاء	نفى المرتقب	نفى المنع
لم (لم يحدث)	ما يحدث هذا (لا ينبغى أن يحدث)	لما (لما يحدث هذا) وهو يترقب أن يحدث بعد قليل أو كثير	لن (لن تشرق الشمس من الغرب) فهو يقرر امتناع ذلك لسبب عند المتكلم ، قاطع يمنعه

(٤٧)

ويعنى ذلك أن هناك أنواعا من النفى ، لكل نوع معناه المستقل به ، ولكل نفى زمن يستقل به ، كما أن لكل نفى حركة اعرابية يستقل بها ، وقد انتهى الأستاذ العقاد الى أن الفعل « يتأثر بموقعه من الأداة النافية ومعناها ، فليس هو منقطعا عن العلاقة الزمنية ، بل هو متأثر بها فى لفظه ومعناه ٠ ف « لم يفعل » غير « لن يفعل » وغير « ما يفعل » . وهو اختلاف يدل على ارتباط العلاقة الزمنيه بعلاقة الاعراب » (٤٨) غير أن الأستاذ العقاد يجد أنه يتعذر « تعليله (الزمن) من ناحية الاعراب » (٤٩) ٠

والفرق بين هذه النظرة ونظرة النحاة ، أن الثانية درست (الأدوات) بوصفها عوامل فجعلت لها نسقا باعتبار الحركة الاعرابية فلم تدقق فى حركة الزمن فى هذه البنى اللغوية ، وبعبارة أخرى لم يجد النحاة مما انتهوا اليه من نتائج ، علاقة ما بين ظاهرتى الزمن والاعراب فى اللغة العربية وقد أمن ذلك منطلقهم الذى أشرنا اليه فى مفتتح هذا المبحث

لقد نظروا الى :

حركات اعرابية واحدة + أزمان مختلفة

وحركات اعرابية مختلفة + أزمان واحدة

(٤٧) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية /مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤١ ٠

(٤٨) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤١ ٠

(٤٩) المصدر السابق : ١٤ : ٤١ ٠

كما فيما يأتى :

لا يذهب ــــ نفى + رفع + مستقبل

ما يذهب ــــ نفى + رفع + حاضـر

لم يذهب ــــ مجزوم ــــ مـاض

ان يذهب ــــ مجزوم ــــ مستقبل

لن يذهب ــــ منصوب ــــ مستقبل

لا تذهـب ــــ مجـزوم ــــ مستقبل

أما العقاد فقد وضع ما يشبه المعادلة الآتية :

الجملة ــــ المعنى ــــ العلامة الاعرابية ــــ الزمن ٠

وفى هذه المعادلة يفترض أن أى تغيير فى أى ركن ينبغى أن يصحبه تغيير فى الأركان الأخرى ٠ كما فى المخطط الآتى :

الجملة ــــ المعنى ــــ العلامة الاعرابية ــــ الزمن

لم يفعل ــــ نفى الحدوث ــــ السكـــون ــــ الماضى

لما يفعل ــــ نفى الحدوث المرتقب ــــ السكون ــــ الماضى (الممتد الى الحاضر) ٠

ما يفعل ــــ نفى الانبغاء ــــ الرفع ــــ الحاضر

لن يفعل ــــ نفى المنـــع ــــ النصب ــــ المستقبل

ولم يحاول العقاد أن يلاحظ فرضيته هذه فى بنية المضارع المثبت ٠- لكن ينبغى أن يقال انه كان يتلمس منطلقات بحث فى زمن اللغة العربية ٠ وهو أول باحث غير متخصص يثير مسألة العلاقة بين الزمن والاعراب ٠ ويطبقها على موضوع (النفى) ٠

وقد عرض باحثون لغويون لهذه العلاقة ، وقد أشار عدد منهم اليها اشارات عابرة ، فكأنه لم يجد فيها منفذا يسلكه لاكتناهها ٠ فصاحب (الألسنية العربية) الدكتور ريمون طحان يرى أن « الاختلاف فى الحركة بين صيغتى (٥٠) « لم يفعل » و « لن يفعل » لا يؤدى الى وظيفة نحوية ، بل يكشف المعنى المراد من النفى فى كلا الحالين » (٥١) ٠

أما الدكتور محمد كامل حسن فقد ذهب مذهبا تعليليا ، فقرر أن الفعل لا يتغير اذا كان ماضيا ، لأن ، الأحداث الماضية لا تتغير ٠

---

(٥٠) الأصح تركيبى ٠

(٥١) الألسنية العربية : ٢ : ٩ ٠

ويرفع اذا دل على تقرير حقيقة •

ويجزم اذا دل على حدث معلق على حدث آخر ، كما فى فعل الأمر ، وجواب الشرط •

أو لم يتم كما فى المضارع المنفى بـ « لم » •

وينصب فيما عدا ذلك (٥٢) •

وهذه المحاولة لتفسير حركتى الاعراب والبناء خضعت لتأثير فكرة تبسيط العربية المعاصرة التى دعا اليها الدكتور محمد كامل ، غير أنه فى تعليلاته واستنباطه أحكاما تستند الى الملاحظة الشكلية الساذجة لم يحرز التبسيط ولم ينج من الخطأ فاذا كان المبنى لا تتغير حركته لأن الأحداث الماضية لا تتغير ، فلم تتغير حركة الماضى فى مواقع الاسناد الى الضمائر ؟ هنا ينبغى أن يؤمن اجابة تنطوى على عناصر صوتية ، وكيف نفسر — فى ضوء قاعدته — بناء المضارع ؟ والاعراب فى الأسماء وهى ليست أحداثا يصيبها التغيير ؟

واذا كان المضارع يرفع اذا دل على تقرير حقيقة فانه فى التحضيض والعرض والتمنى والترجى يكون مرفوعا داخل أساليب انشائية وهى ليست أساليب تقريرية ••• الى آخر الاعتراضات التى لا يمكن معها أن تستقيم تلك المحاولة •

وقد كرر الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى الشىء ذاته ، فقد صـــدر عن النظر التعليلى النحوى وضم اليه شتاتا من الآراء المعاصرة محاولا الوصول الى (نظرية) في تفسير حركة الاعراب والبناء في الفعل قال:

« فاذا أطلق الفعل من القيد الذاتى بنى على أخف الحركات وهو الفتح وذلك هو الفعل الماضى •

فاذا أطلق « المضارع » من القيد الذاتي أو اللفظى عاد الى ما يتحقق من الرفع •

فاذا قيد مدلوله بالقيد اللفظى نزل من الرفع الى النصب تارة ، والى الجزء الذى يقطع عنه حركات الاعراب تارة أخرى (٥٣) •

وهذا تلخيص لنظرية (العامل) النحوية بمصطلحات المناطقة فكأن (القيد) و (الذاتى) و (أطلق) و (نزل من مرتبة) ، ألفاظ استهوت الدكتور الجوارى وأوهمته بعدم محاكاة القدماء •

---

(٥٢) ينظر اللغة العربية المعاصرة : ١٠٣ و ١٠٤ •

(٥٣) نحو الفعل : ٣٦ •

ومما صدر عنه فى هذه المسألة قوله « ان الرفع مرتبة الفعل عموما لأن الفعل دائما فى موقع المسند » (٥٤) • وهذا هو رأى سيبويه الذى عرضنا له (٥٥) « كينونته فى موضع الاسم » (٥٦) :

لكن الفرق بين سيبويه والجوارى أن الأول لم يقل بأن للفعل مرتبات فى الحركة بل حاول أن يفسر ظاهرة اعراب المضارع حين يكون مرفوعا ، وهو منحى لغوى ، وليس منحى عقليا مجردا •

ان أهم محاولة وأوسعها ، بحثت علاقة الاعراب بالزمن هى محاولة الدكتور مهدى المخزومى •

أبعد الدكتور المخزومى بحث العلاقة بين علامة البناء والزمن ، ولذا نظر الى الحركة المتغيرة ودلالة هذا التغير على الزمن ، ولم ينظر الى الحركة الثابتة •

وتلك أهم مقومات النظر ، فى المنهج الوصفى ، أى :

الحركة الأولى = زمن ١

والحركة الثانية = زمن ٢

والحركة الثالثة = زمن ٣

أما علامة البناء فتدرس فى اطار المنهج التاريخى لظاهرة الاعراب •

وجد الدكتور المخزومى « أن حركات آخره (المضارع) تتعاقب لتعاقب الدلالات المختلفة » (٥٧) فكأن الدلالة الزمنية فى المضارع تطلب حركة خاصة بها ، كما أن المعنى الوظيفى للاسم (الاسناد ، الاضافة) يطلب حركة خاصة به • فصارت الحركة علامة زمن فى الفعل ، بعد أن كانت علامة معنى وظيفى فى الاسم • ويجرى الدكتور المخزومى التوزيع الآتى :

اما أن تدل على الحاضر فيرفع

أو أن تدل على المستقبل فينصب

فاذا دلت على غير الحاضر والمستقبل لم يكن لها غير الجزم (٥٨) •

---

(٥٤) المصدر السابق : ٢٨ •

(٥٥) ينظر ص ١٣٦ من هذا الفصل •

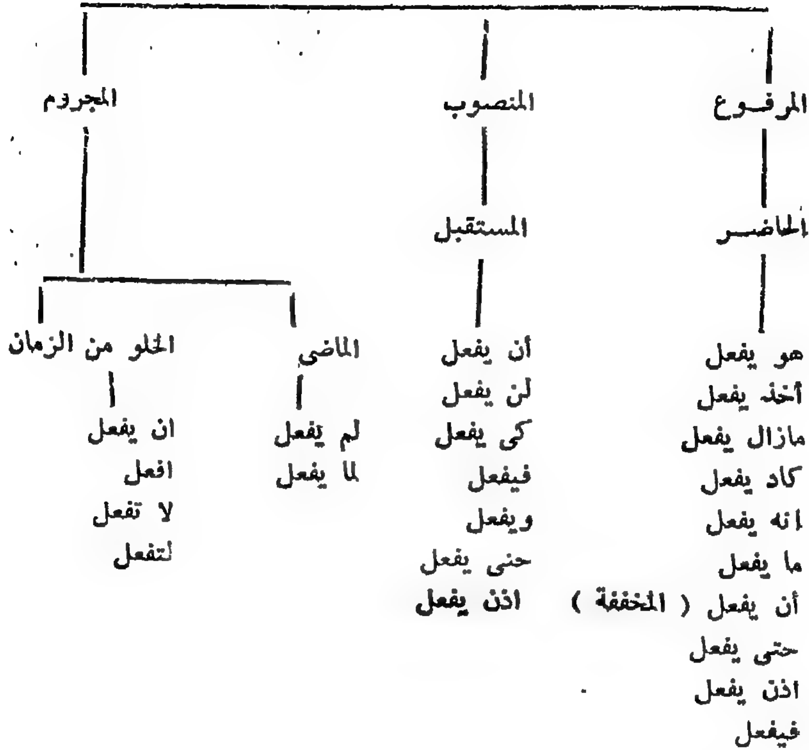
(٥٦) الكتاب : ٣ : ٩ •

(٥٧) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ٣٠٠ •

(٥٨) فى النحو العربى : نقد وتوجيه :٣٠٠ •

واهم ما فى تحليل الدكتور المخزومى أو ما أضافه أنه جعل عدم دلالة الصيغة على الزمن بازاء دلالتها على الزمن ، فنشأ بذلك ما يمكن أن يكون نسقا system يحكم العلاقة بين الزمن والاعراب ٠

ويمكن وضع المخطط الآتى لتوضيح رأى الدكتور المخزومى هذا :



غير أن جملة من الاعتراضات تواجه هذا التصور :

الأول : أن (يفعل) يرفع بعد « السين » و « سوف » وزمنه المستقبل على خلاف ما قرر الدكتور المخزومى ٠

الثانى : أن (يفعل) فى العرض والتحضيض والترجي والتمنى يرفع ك: « هلا تفعـل » و « ألا تفعـل » و « ليتك تفعـل » و « لعلك تفعل » والصيغة هنا واقعة فى سياق الانشاء الطلبى ، أى لا نص فيها على زمن ٠ فكان حقها وفق رأى الدكتور المخزومي أن تكون ساكنة ٠

الثالث : أن هذا النسق يغفل المركب المكون من « كاد + يفعل » : الذى يدل على الماضى المقاربى ، وصيغة « يفعل » فيه مرفوعة ولم تدل على الحاضر ·

الرابع : أن « يفعل » يرفع بعد كان ويدل مركبهما على جهة من جهات الماضى ، وهو الماضى المستمر · ولم يشر الى الحاضر ، كما يفترضه النسق السابق ·

الخامس : يلغى الربط بين الزمن والاعراب وفق هذا التصور ، فروق الجهة فى الزمن ، كالفرق بين «أخذ» ، «كاد» ، «مازال» فى الحاضر · و « لم » و « لما » فى الماضى ، و « السين » و « سوف » فى المستقبل مما نتوفر على دراسته فى المباحث التى نعقدها على دراسة الزمن تطبيقيا ·

واذا كان توجيه الاعتراض الأول ممكنا بالرجوع الى تحليل سيبويه (٥٩) أى النظر الى المستقبل « سوف » و « السين » بكونه محقق الوقوع ، أو مقطوعا بوقوعه فكأنه محقق ، كأنه حاضر ، فان الاعتراضات الأربعة لا يمكن ردها ·

وهكذا نخلص من هذا المبحث الى أن محاولة تكوين « قاعدة » ما للعلاقة بين الزمن والاعراب ستنتهى الى وضع « استثناءات » غير محدودة فى جانبها ·

الاعراب والزمن فى صيغة (فاعل) :

جعل سيبويه المشابهة بين (اسم الفاعل) و (الفعل المضارع) من حيث المعنى والعمل · قال : « فاذا أردت فيه (اسم الفاعل) ما أردت من (يفعل) كان نكرة منونا : فاذا حدثت عن فعل فى حين وقوعه غير منقطع كان كذلك وتقول : » هذا ضارب عبد الله الساعة » ، فمعناه وعمله مثل : « هذا يضرب زيدا الساعة » (٦٠) فالمعنى هو زمن المضارع : الحال والاستقبال · والعمل هو احداث النصب فى المفعول ·

أى أن (اسم) الفاعل يعمل كـ (الفعل) المضارع اذا :

١ ــ كان نكرة ·

٢ ــ كان منونا أى نكرة مقطوعة عن الاضافة ·

---

(٥٩) ينظر : ص ١٣٧ من هذا الفصل ·
(٦٠) الكتاب : ١ : ٦٤ ·

٣ ـ فاذا عمل اكتسب الزمن الصرفى لصيغة المضارع وهو اما الحاضر واما المستقبل ٠

ان الشرطين الأول والثاني يبعدانه عن الاسمية ويصنفانه في الفعلية مطلقاً ٠ أما النقطة الثالثة فتقربه من المضارع دون فعلى الماضى والأمر ٠

و (العمل) عند سيبويه الملحظ الرئيس فى هذه المطابقة ، والتركيبات التى ينشئها تستند اليه ٠

وألمح سيبويه الى ذلك بقوله : « لانه انما شبهه بماضارعه من الفعل » (٦١) أى المضارع ، حيث تتخذ هذه المضارعة سمات صرفية (زمن المضارع) وسمات نحوية (عمل الفعل) وأبعد ، من ثم ، المضارعة بين اسم الفاعل والفعل الماضي وعبارته : « فلما أراد سوى ذلك المعنى (أى معنى الحاضر والمستقبل) جرى مجرى الأسماء التى من غير ذلك الفعل » (٦٢) وذلك فى قوله : « هذا ضارب عبد الله وأخيه » وجه الكلام وحده الجر : لانه ليس موضعا للتنوين ٠ وكذلك قوله : و « هذا قاتل عمرو أمس وعبد الله ٠٠٠ » (٦٣) ٠

فكأن سيبويه دفع ما سماه (اسم الفاعل) نحو الاسمية بعد أن جعله معرفة بالاضافة ومن ثم لم تعد له صفة (الفعل) ٠ وقد لفق تركيبات يعرض فيها لوجوه الاعراب قال : « ولو قلت هذا ضارب عبد الله (باضافة ضارب) وزيدا » جاز على اضمار فعل أى « وضرب زيدا » لأن معنى الحديث فى قولك : « هذا ضارب زيد » : « هذا ضرب زيدا » وان كان لا يعمل عمله » (٦٤) ٠

والواضح أن (الزمن) ملحظ ثانوى نتج عن العمل عرضا ٠ ويعنى ذلك أن الفعلية والاسمية تتنازع بنية (فاعل) : ففى بنيتها حدث واصف واسم موصوف ٠ وهى : أى صيغة (فاعل) ، فى الاستعمال تنزع اما نحو الفعل واما نحو الاسم فاذا نكرت ونونت أو اقترنت بـ (أل) الموصولة نزعت نحو الفعل فعملت ، فاذا لم توصل بشىء أو أضيفت نزعت نحو الاسم ، أى تحولت الى (وصف) اسمى فقط ٠

غير أن النحاة لم يجيبوا ، وفق تسلسل المضارعة عن السؤال الآتى :

---

(٦١) الكتاب : ١ : ١٧١ ٠
(٦٢) المصدر السابق : ١ : ١٧١
(٦٣) المصدر نفسه : ١ : ١٧١ ٠
(٦٤) نفسه : ١٧١ ، ١٧٢ ٠

ما الذى يجعل (الاسم) يدل على الزمن الماضى ؟ أو بعبارةأخرى ، اذا تحول (اسم) الفاعل عن الفعلية فلم يدل على مضى ؟ ويبدو أن النحاة أرادوا التفريق بين (اسم الفاعل) المضاف ــ واضافته من قبيل الاضافة اللفظية ــ و (اسم) الفاعل المقطوع عن الاضافة ، أى المنون · فكأن بناء (فاعل) يحتفظ بسمته الفعلية ، أضيف ، أم لم يضف ،نون أم اقترن بـ (أل) ·

وعلى أية حال فان التحليل كان يهدف . فى الأساس ، الى التفريق بين صيغة تعمل وصيغة لا تعمل ·

وأما الزمن فلم يكن الا ملحظا ثانويا · وهذا هو الذى يفسر عمل بناء (فاعل) اذا « ولى ما يقربه من الفعلية بأن ولى استفهاما به نحو : « أضارب زيد عمرا » (٦٥) · أو « وقع صلة للألف واللام عمل ماضيا ومستقبلا وحالا » (٦٦) · فلم تحل الألف واللام بينه وبين الفعلية ، ولم يعد شرط الزمن قائما · كما أن ذلك هو الذى يفسر أن بعض النحاة تخلى عن شرط الزمن حين رأى أسماء فاعلين نكرات منونات ، تعمل مع دلالتها على الزمن الماضى كما سنعرض لذلك فى موضوع آخر من هذا المبحث ·

وقد قفزت صيغة « فاعل » فى الحقل الصرفى عند الكوفيين لتكون ، باعتبار الزمن ، قسيم الماضى والمستقبل « المضــارع » · واطلق عليهـا الدائم (٦٧) ·

وقد نحا الدكتــور المخزومى منحى الكوفيين فجعل جدوله الزمنى ذا شعب ثلاث : « الماضى ، الحاضر ، الدائم » (٦٨) ويعنى ذلك أن المنهج النحوى الذى استند فى اختبار التراكيب اللغوية الى المعيار الاعرابى أنتج صيغتين زمنيتين هما : (فاعل) منونة تشـير الى الحاضر والمستقبل ، و (فاعل) ، بلا تنوين ، تشير الى الماضى ·

ولنا بعد كل ما تقدم أن نعترض على دلالة صيغة « فاعل » بذاتها على الزمن بما يأتى :

ان التدليل على أن صيغة (فاعل) منونة تشير الى الزمن اتخـذ سبيلين :

الأول : الحمل على المضارع ·

---

(٦٥) شرح الأشمونى : ٢ : ٣٣٩ ·
(٦٦) شرح ابن عقيل : ٢ : ٨٩ ·
(٦٧) ينظر الدرس النحوى فى بغداد : ٣٣ ·
(٦٨) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ·

الثاني : ملاحظة وجوه الاستعمال ·

أما الحمل فهو مردود هنا ، لأنه يطابق بين مادتين لغويتين مختلفتين، ونذكر بأن سيبويه الذى استعمل مصطلح المضارعة تنبه الى هذا الاختلاف (٦٩) ·

وفى ملاحظة وجوه الاستعمال اضطرب البحث النحوى · فقد عرض سيبويه للآيات :

١ ـ « كل نفس ذائقة الموت » (٧٠)

٢ ـ » انا مرسلو الناقة » (٧١)

٣ ـ « ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم » (٧٢)

٤ ـ « غير محلى الصيد » (٧٣)

فحمل معناها الزمنى على معنى الآية : «**ولا آمين البيت الحرام**»(٧٤)

وجعل حذف التنوين من أسماء الفاعلين فى الآيات من (١ الى ٤) على الاستخفاف (٧٥) ·

فكأن سطوح الآيات تشير الى بناها العميقة على النحو الآتى :

١ ـ كل نفس ذائقة الموت ·

٢ ـ انا مرسلو الناقة

ستذوق الموت   سنرسل الناقة

٣ ـ ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤوسهم

سينكسون رءوسهم

٤ ـ غير محلى الصيد

محلين الصيد

وهذا هو معنى قوله : « وليس يغير كف التنوين اذا حذفته ، مستخفا ، شيئا من المعنى ولا يجعله معرفة » (٧٦) ·

---

(٦٩) ينظر الكتاب : ١ : ١٤ ·
(٧٠) آل عمران : ١٨٥ ·
(٧١) القمر : ٢٧ ·
(٧٢) السجدة : ١٢ ·
(٧٣) المائدة : ١ ··
(٧٤) المائدة : ٢ ··
(٧٥) ينظر الكتاب : ١ : ١٦٦ ·
(٧٦) الكتاب : ١ : ١٦٦ ·

وقد انعقد الباب السابع من (اعراب القرآن) المنسوب للزجاج، على أسماء الفاعلين مضافة الى ما بعدها بمعنى الحال والاستقبال ·

وقد اشتملت عليها الآيات الآتية :

١ ـ « مالك يوم الدين » (٧٧)

٢ ـ « هديا بالغ الكعبة » (٧٨)

٣ ـ « ثاني عطفه » (٧٩)

٤ ـ « ولا الليل سابق النهار » (٨٠)

٥ ـ « انكم لذائقو العذاب الأليم » (٨١)

٦ ـ « هل هن كاشفات ضره » (٨٢)

٧ ـ « هل هن ممسكات رحمته » (٨٣)

٨ ـ « فلما رأوه عارضا مستقبل أودیتهم » (٨٤)

٩ ـ « منذر من يخشاها » (٨٥)

ويقرر الزجاج أن « هذه (أسماء الفاعلين) اذا أضيفت خالفت اضافتها اضافة الماضي » (٨٦) ·

وقد عرض ، أيضا ، لأسماء الفاعلين المضافة الى مضمر وهي تعني الحال والاستقبال · وذلك في :

١٠ ـ « عارض ممطرنا » (٨٧)

١١ ـ « انكم ملاقوه » (٨٨)

١٢ ـ « هم بالغوه » (٨٩)

---

(٧٧) الفاتحة : ٤ ·
(٧٨) المائدة : ٩٥ ·
(٧٩) الحج : ٩
(٨٠) يس : ٤٠ ·
(٨١) الصافات : ٣٨ ·
(٨٢) الزمر : ٣٨ ·
(٨٣) الزمر : ٣٨ ·
(٨٤) الأحقاف : ٢٤ ·
(٨٥) النازعات : ٤٥ ·
(٨٦) اعراب القرآن : ١ : ١٦٢ ·
(٨٧) الأحقاف : ٢٤ ·
(٨٨) البقرة : ٢٢٣ ·
(٨٩) الأعراف : ١٣٥ ·

١٣ ـ « هم ناسكوه » (٩٠)

١٤ ـ « لم تكونوا بالغيه » (٩١)

١٥ ـ « ماهم ببالغيه » (٩٢)

١٦ ـ « انا منجوك وأهلك » (٩٣)

« فالهاء والكاف عند سيبويه فى موضع الجر بالاضافة لكف النون، وعند الأخفش فى موضع النصب بدليل قوله تعالى « وأهلك » (٩٤) وسيبويه يحمل قوله « وأهلك » على اضمار فعل » (٩٥) ٠

ولم يحتكم الزجاج الى الزمن لتقرير أن أسماء الفاعلين هنا ليست مضافة وانما منونة ، بل احتكم الى العلاقة بين أجزاء التركيب النحوى لتقرير ذلك ٠

ففى قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » رأى « أن « ذائقة » ليست مضافة الى « الموت لأنها اذا أضيفت عرفت ، فاذا عرفت « لم تجر خبرا على « كل » لأنه لا يكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة » (٩٦) وهذا حق ٠ غير أن « المعرفة » هنا مفترضة لأن اضافة اسم الفاعل من « باب الاضافة غير المحضة (التى) لا تفيد الاسم تخصيصا ولا تعريفا » (٩٧) ٠

والزمخشرى يذهب الى أن اضافة (مهلكو) فى قوله تعالى : « انا مهلكو أهل هذه القرية » (٩٨) : « اضافة تخفيف لا تعريف » (٩٩) أما دلالة الآية « كل نفس ذائقة الموت » (١٠٠) فتشير الى حقيقة من حقائق الوجود ، أكثر مما تشير الى أمر يحدث فى زمن ، أى زمن ٠ كما أن قوله تعالى : « غير محلى الصيد » (١٠١) جاء فى سياق « عقود الله التى عقدها

---

(٩٠) الحج : ٦٧ ٠

(٩١) النحل : ٧ ٠

(٩٢) غافر : ٥٦ ٠

(٩٣) العنكبوت : ٣٣ ٠

(٩٤) العنكبوت : ٣٣ ٠

(٩٥) اعراب القرآن المنسوب للزجاج : ١ : ١٦٣ ٠

(٩٦) اعراب القرآن المنسوب للزجاج : ١٦٠

(٩٧) شرح ابن عقيل : ٢ : ٣١ ٠

(٩٨) العنكبوت : ٣١ ٠

(٩٩) الكشاف : ٣ : ٢٠٥ ٠

(١٠٠) آل عمران : ١٨٥ ٠

(١٠١) المائدة : ١ ٠

على عباده وألزمها اياهم » (١٠٢) . وهي قوله : « أحلت : لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم : غير محلى الصيد » (١٠٣) فهذا حكم عام خال من الزمن اللغوي .

وفي قوله تعالى « انا منجوك وأهلك » زمن الآية المستقبل ، وهو معنى السياق لا معنى صيغة «منجون» أما الصيغة فاسنفيد منها في ثبوت تحقق حدث التنجية ولا يستفاد ذلك اذا حلت محلها صيغة المستقبل (سـ) ننجيك وتتكرر صيغة (فاعل) في هذا السياق لتكون نسقا دلاليا : « انا مهلكو أهل هذه القرية » « انا منجوك وأهلك » « انا منزلون على أهل هذه القرية رجزا .. » (١٠٤) فلم تنون صيغة (فاعل) لقصد المستقبل ، بل للفصل بينها وبين ما أضيفت اليه . وكان الافتراض النحوي يكون :

« انا منجوك وأهلك ومنزلو رجز على أهل هذه القرية » .

ولقد عرض النحاة والدلاليون العرب للآية :

« وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد » (١٠٥)

وانتهى نظرهم فيها الى أربعة آراء :

١ ــ أن صيغة (فاعل) عاملة في الزمن الماضي ، فضلا عن عملها في الحاضر والمستقبل . ومن هنا فأن اشتراط الزمن بوصفه معنى صيغة « فاعل » العاملة قد نحي ، وعد أصحاب هذا الرأي من المخالفين أي ممن خالفوا رأي سيبويه والفراء في اشتراط زمن الحاضر والمستقبل لاسم الفاعل المنكر العامل . قال ابن هشام : « خالف في ذلك الكسائي وهشام وابن مضاء ، فأجازوا اعماله ان كان بمعنى الماضي ، واستدلوا بقوله تعالى « وكلبهم باسط ذراعيه » (١٠٦) .

٢ ــ ان هنا حكاية حال ماضية « لأن اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي » (١٠٧) ف « المعنى يبسط ذراعيه » (١٠٨) .

٣ ــ ورأى آخرون ألا « حاجة لتكلف الحكاية لأن حال أهل الكهف مستمر الى الآن ، فيجوز أن يلاحظ في (باسط) الحال فيكون عاملا» (١٠٩)

---

(١٠٢) الكشاف : ١ : ٥٩١ .
(١٠٣) المائدة : ١ .
(١٠٤) العنكبوت : ٣٤ .
(١٠٥) الكهف : ١٨ .
(١٠٦) شرح قطر الندى : ٢٧١ .
(١٠٧) الكشاف : ٢ : ٤٧٥ .
(١٠٨) شرح الأشموني : ٢ : ٣٤٠ .
(١٠٩) حاشية الصبان : ٢ : ٢٩٣ .

٤ ـ أما الرأى الرابع فهو رأى الباحثين الدلاليين الذين لم يستندوا الى طريقة الاستبدال الشكلية للتفريق بين « المضارع » و « فاعل » التى أجراها سيبويه (١١٠) بل استندوا الى معيار المعنى فى اجراء ذلك التفريق قال الجرجانى : « وان شئت أن تحس الفرق بينهما ، من حيث يلطف فتأمل هذا البيت :

لا يألف الدرهم المضروب صرتنـا   لكن يمر عليهـا وهـو منطلق

هذا هو الحسن اللائق بالمعنى ولو قلت بالفعل لم يحسن » (١١١) وأهم شيء فى هذا التحليل أن المعيار الاعرابى لم يعد يختبر التراكيب اللغوية ولم يعد العامل والمعمول جوهر النظر النحوى بل المدار هنا « المعنى » الذى تكون العلامات الاعرابية احدى قرائنه ·

ان الجرجـانى هنـا ينحو بفكرته النظريـة « وجوه الأبواب وفروقها » (١١٢) منحى تطبيقيا · وهو يعرض لتحليل الآية : « وكلبهم باسط ذراعيه » فيقول : « ان أحدا لا يشك فى امتناع الفعل ها هنا وان قولنا كلبهم يبسط ذراعيه لا يؤدى الغرض » (١١٣) ·

يلجأ الجرجانى بعد ذلك الى طريقة الاستبدال بالمعنى وليس بالمبنى كما فعل سيبويه ، فيضع المعادلة الآتية :

كلبهم باسط = كلبهم واحد

وكأن الجرجانى يريد أن يصـغر (حدث) صيغة (فاعل) حتى يعدمه تماما فيتحول الى اسم جامد :

باسـط = واحـد ·

ان صيغة « باسط » كما يقول : « اقتضت ثبوت الصفة (أى) : لا تجعل الكلب يفعل شيئا ، بل تثبته بصفة هو عليها فالغرض اذن تأدية هيئة الكلب » (١١٤) ·

أما (النحاة) فقد كان نزوعهم نحو (عمل) صيغة (فاعل) يضطرهم

---

(١١٠) انظر : ص ١٤٦ من هذا الفصل ·
(١١١) دلائل الاعجاز : ١٢٢ ·
(١١٢) ينظر دلائل الاعجاز : ٦٧ ·
(١١٣) دلائل الاعجاز : ١٢٢ ·
(١١٤) دلائل الاعجاز : ١٢٢ ·

الى تكبير حدثها حتى يعدموا « الموصوف » فكأن الغرض عندهم حركة الكلب وليس هيئته ·

ان البحث فى جو الآيات القرآنية يشير الى أن صيغة « فاعل » تعبر عن هيئة ، وليس عن حركة ، على الرغم من أنها تتميز عن الاسم الجامد بانطوائها على حركة ما ·

وهى بذلك ، ليست شكلا زمنيا سواء أكانت فى قسم الصرف ، أم فى قسم النحو ، وهذا ما يجعلها تتميز عن الفعل من ملحظ ثان ·

لكن اعتراضا على هذا التحليل يأتى من جهتين :

(أ) الاستعمال القرآنى :

قوله تعالى : « ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا » (١١٥) ·

ان وظيفة الظرف ، كما سنرى ذلك فى موضعه (١١٦) هى قياس زمن الحدث · وصيغة « فاعل » كما ألمحنا تنطوى على « حدث ما » · ولهذا فان تلك الصيغة فى الآية السابقة تشير الى ثبوت عدم تحقق الحدث أو ثبوت عدم الفعل ، وسياق الآية السابقة تشير الى نهى عام ثابت فى مطلق زمن المستقبل ، ولهذا صلحت معه صيغة « فاعل » ولم تصلح معه صيغة « أفعل » أو « سأفعل » · و « غدا » فى الآية تعنى فيما يستقبل من الزمان ،ولم يرد (بها) الغد خاصة (١١٧) ان صيغة (فاعل) لا تدل بذاتها على زمن نحوى ، ولهذا احتيج هنا الى الحاق ظرف بها لكى يعين زمن حدثها الخامد من هذه الناحية ، بعكس حدث الفعل الذى يدل على الزمن بدون ظرف · أما صيغة « فاعل » بدون ظرف ، أى :

« ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك » فتندرج فى سياق نهى فى كل زمن وهذا أمر يتعارض وما يفعله الانسان فى أمسه وآتيه ، غير أن النهى هنا « لأجل شىء تعزم عليه » (١١٨) ·

ومثل ذلك ، مما جاء بصيغة « فاعل » مضافة ، ملحق بها ظرف المستقبل ، قوله تعالى :

« يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ·

---

(١١٥) الكهف : ٢٣ ·
(١١٦) ينظر الفصل السادس من هذه الرسالة المنعقد على دراسة « الظرف » ·
(١١٧) الكشاف : ٢ : ٤٧٩ ·
(١١٨) الكشاف : ٢ : ٤٧٩ ·

وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة » (١١٩) أى زمنا ممتدا الى هذا الوقت ، الى يوم القيامة ·

(ب) ما أثر من الاستعمال عن العرب :

تتناقل كتب اللغة ما يمكن أن يبنى على صيغة « فاعل » منونة ومضافة ، من أحكام تشريعية من نحو ما ورد من أنه : لو أن قائلا قال : « هـــذا قاتل أخى » ــ بالتنوين ــ وقال آخر : « هـــذا قـاتل أخى » ــ بالاضافة ــ لدل بالتنوين على أنه لم يقتله ، وبحذف التنوين على أنه قتله » (١٢٠) ·

ومن نحو ما وقع للكسائى والقاضى أبى يوسف عند هرون الرشيد : قال « سأل الكسائى أبا يوسف : ما تقول فى رجل قال لرجل : « أنا قاتل غلامك » وقال آخر : « أنا قاتل غلامك » ، أيهما كنت تأخذ به ؟ قال : آخذ بهما جميعا · فقال له هرون أخطأت ، وكان له علم بالعربية فاستحيى وقال : كيف ذلك ؟ فقال : الذى يؤخذ بقتل الغلام هو الذى قال : « أنا قاتل غلامك » ــ بالاضافة ــ لأنه فعل ماض ، فأما الذى قال : (أنا قاتل غلامك) بلا اضافة فانه لا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعد » (١٢١) ·

ففى هذه القصة من أدب المجالس أكثر مما فيها من علم اللغة · ثم كيف نوفق بين رأى الكسائى هنا ورأيه الذى يجمع النحاة عليه من أن (اسم) الفـــاعل يعمل فى الماضى (١٢٢) « كما يعمل بمعنى الحـــال والاستقبال » ؟ (١٢٣) فكان « أنا قاتل غلامك » يجوز على رأى الكسائى نفسه أن تكون للماضى وغير الماضى ، والقرينة السياقية لا الصيغة ، هى التى تحدد الزمن · أى أن أبا يوسف القاضى كان على حق فى رده أنه يأخذ بهما جميعا اذ عدهما من أدلة الاعتراف ·

نخلص من كل ما تقدم الى أن صيغة « فاعل » تنزع فى اللغـــة العربية ، فى المستوى النحوى ، الى الاضافة لتحقق نشاطا اسميـــا فى بنيتها يطابق ما تدل عليه من ثبوت صفة الفاعل · وهذا هو الذى يفسر مجيئها فى الأغلب الأعم مضافة فى القرآن (١٢٤) بغض النظر عن قســم الزمن الذى يشير اليه سياقها ·

---

(١١٩) آل عمران : ٥٥ ·

(١٢٠) مولد اللغة : ٧٦ ·

(١٢١) الأشباه والنظائر : ٣ : ٢٤٤ ·

(١٢٢) انظر شرح ابن عقيل : ٢ : ٨٦ وشرح قطر الندى : ٢٧٦

(١٢٣) شرح الكافية : ٢ : ٢٠٠ ·

(١٢٤) نحو القرآن : ٧٨ ·

الأدوات بين الزمن والاعراب :

(أ) مباحث النحاة :

لم ينظر النحاة ، فيما صدر عنهم من مباحث ، الى قرائن زمنية محضة ، بل قدموها بوصفها أدوات تؤدى وظائف متنوعة • وقد ركز البحث النحوى على الوظيفة الاعرابية لهذه الأدوات ، وذكرت وظيفة الزمن عرضا • ومن هنا كانت النتائج التى انتهى اليها النحاة ، فى هذا المجال ، مضطربة ، وان احتوت على نظرات تحليلية دقيقة • فاذا عرضنا لأداة مثل (لن) وجدنا أنها مصنفة فى مجموعة « الحروف التى تعمل فى الأفعال المضارعة للأسماء فتنصبها » (١٢٥) وهى : « فى حروف النصب بمنزلة (لم) فى حروف الجزم » (١٢٦) • أما معناها « فنفى المستقبل » (١٢٧) • ويمكن وفقا لهذا أن نضع المخطط الآتى :



ان ما سبق يمكن أن يكون قاعدة نحوية يستثنى فيها أداتا الزمن « سوف » و « السين » •

وقد برز الخلل المنهجى فى موضوع الزمن بصورة واضحة فيما اصطلح عليه النواسخ •

ففى العربية يتكون من ائتلاف النواسخ مع الصيغ ، ما يمكن أن نصطلح عليه بالمركبات الزمنية • التى تشير الى أشكال الحدث الزمنية وجهاته (١٢٨) •

غير أن ما شغل النحاة هو وظيفة « كان » منفردة ولم يشغلهم ائتلافها مع الصيغ الفعلية ، على الرغم من أنهم جعلوا وظيفة « كان » فى العربية وظيفة زمنية • وعبارة سيبويه « أدخلت (كان) لتجعل ذلك فيما مضى » (١٢٩) •

وقد أجرى سيبويه استبدالات متعددة بين (النواسخ) و (الأفعال) قال : « وتقول : « كناهم » كما تقول : « ضربناهم » ، وتقول : « اذا لم

---

(١٢٥) الكتاب : ٣ : ٥ •
(١٢٦) الكتاب : ٣ : ٥ •
(١٢٧) شرح الكافية : ٢ : ٢٣٢ •
(١٢٨) ينظر العربية ولهجاتها : ٧٩ •
(١٢٩) الكتاب : ١ : ٤٥ •

تكمهم فمن ذا يكونهم ؟ » ، كما تقول : « اذا لم نضربهم فمن يضربهم ؟ » ٠٠ فهو كائن ومكون ، كما تقول : « ضارب ومضروب » (١٣٠) ٠

وتؤدى هذه الاستبدالات الى وجود تطابق فى التوزيعات الشكلية بين الناسخ والفعل ٠ ويبدو أن سيبويه كان يهدف من اجراء هذه الاستبدالات الى التخلص من عد « كان » أداة زمن ، وتقرير أنها فعل ، من أجل أن يسوغ (عمله) ٠ يقول سيبويه : « كما أنك حين قلت : ليس هذا عمرا » و « كان هذا بشرا » عملتا عملين : رفعتا ونصبتا كما قلت : «ضرب هذا زيدا » ٠ (١٣١)

وقد جر ذلك الى نوع من الاضطراب فى التحليل النحوى القديم ، فقد : نظر الى « النواسخ » بوصفها أدوات من حيث الوظيفة ، وبوصفها أفعالا من حيث الشكل يقول الأنبارى : « على أنا لا نقول ان « كان » بمنزلة « ضرب » فان « ضرب » فعل حقيقى يدل على حدث وزمان ٠

وأما « كان » فليس فعلا حقيقيا ، بل يدل على الزمان المجرد من الحدث » (١٣٢) ٠

ومن هنا « كان قياس هذه الأفعال ألا تعمل شيئا ، لأنها ليست بأفعال صحيحة ، اذ دخلت للدلالة على تغير الخبر بالزمان الذى يثبت فيه ، وانما عملت تشبيها بما يطلب من الأفعال ٠ » (١٣٣)

وقد اتخذ التفاضل بين المنحى الشكلى للنواسخ والمنحى الوظيفى لها ثلاثة اتجاهات :

الأول : اتجاه يجمع بين المنحيين ٠ كالقول : ان (عسى) : « لفظها لفظ الماضى ومعناها المستقبل ٠٠ فصارت ك « ليس » فى أنها بلفظ الماضى وينفى بها الحال ٠ » (١٣٤)

ويتردد فى هذا الاتجاه مصطلحا اللفظ والمعنى (١٣٥) كالقول انها أفعال فى اللفظ ، وليس بأفعال حقيقية وانما تدل على الزمان فقط » (١٣٦) أو « أفعال تجرى مجرى الأدوات » (١٣٧) وكان

---

(١٣٠) الكتاب : ١ : ٤٦ ٠
(١٣١) الكتاب : ٢ : ١٤٨ ٠
(١٣٢) الانصاف : ٢ : ٨٢٦ ٠
(١٣٣) همع الهوامع : ١ : ١١١ ٠
(١٣٤) شرح المفصل : ٧ : ١١٦ ٠
(١٣٥) المصدر السابق : ٧ : ١١٥ ٠
(١٣٦) الأصول : ٢ : ٨٢ ٠
(١٣٧) الجمل : ١٢ ٠

ابن سينا فى (الشفاء) قد أطلق على (كان) وأخواتها « الكلمات الزمانية » (١٣٨) أى الأفعال الزمنية .

الثانى : الذى جرى فى توزيعها على أنها أفعال فقط . فقد نص الرضى على أنه « فى كلها (كان وأخواتها) معنى الكون مع قيد آخر هو الزمن ، فمعنى : « أصبح زيد قائما » : لزيد قيام له حصول فى الزمن الماضى وقت الصبح » (١٣٩) .

وقد انعكس ذلك فى بعض المباحث المعاصرة فقيل : « كان » تدل على الكينونة فى الماضى » (١٤٠) .

الثالث : الذى جعلها أدوات فقط . وهو مذهب الزجاجى ، الذى عد « مذهبا غريبا فى (كان) وأخواتها ، حيث رأى أن (كان) وأخواتها حروف » (١٤١) .

ان تصنيف (كان) وأخواتها ، فى الفعلية ، جر الى السؤال الاتى : اذا كانت « كان فعلا ماضيا فكيف يفسر دخولها على فعل ماض ؟

لقد لاحظ النحاة استعمالات كثيرة تأتلف فيها (كان) مع الصيغ الفعلية . غير أن تفسير ذلك ارتد الى جوهر النظر النحوى : الاعراب ، فقد عدت « أصبح » و « أمسى » فى تراكيب « ما أصبح أبردها » و « ماأمسى أدفأها » زائدة شاذة . » (١٤٢) ومن هنا قيل فى : « ليس خلق الله مثله » : « ففى « ليس » ضمير منوى مستكن ، لأن (ليس) و (خلق) فعلان والفعل لا يعمل فى الفعل » (١٤٣) .

لقد اقترب النحاة من المركبات الزمنية اقترابا حذرا . وقد أنكر بعضهم ذلك أصلا ، على الرغم من وقوعه فى الاستعمال « لأن الفعل لايدخل على الفعل عقلا ونقلا » (١٤٤) .

وقد جعل الكوفيون وقوع هذه المركبات مقيدا بشرط : وهو « اقترانه (الفعل الماضى) ب « قد » ظاهرة ، أو مقدرة . وحجتهم أن «كان»

---

(١٣٨) الشفاء : ١٤ .
(١٣٩) شرح الكافية : ٢ : ٢٩٨ .
(١٤٠) اللغة العربية المعاصرة : ١١٠ .
(١٤١) شرح قطر الندى : ٣٦٣ .
(١٤٢) المقرب : ١ : ١٢ .
(١٤٣) شرح المفصل : ٣ : ١٢٦ .
(١٤٤) تفسير الرازى : ٢ : ٩٤ .

وأخواتها انما دخلت على الجمل لتدل على الزمان ، فاذا كان الخبر يعطي الزمان لم يحتج اليها . ألا ترى أن المفهوم من « زيد قام » ومن « كان زيد قائما » شيء واحد . واشتراط « قد » لأنها تقرب الماضي من الحال » (١٤٥) .

أما البصريون فجوزوا دخول بقية أفعال الباب على ما خبره ماض تجويزا مطلقا « لكثرته في كلامهم نظما ونثرا كثرة توجب القياس . قال تعالى :

« ان كان قميصه قُدَّ ... » (١٤٦)

« ان كنت قلته ... » (١٤٧)

« ان كنتم خرجتم ... » (١٤٨)

« أو لم تكونوا أقسمتم ... » (١٤٩)

قال الشاعر : ثم أضحوا لعب الدهر بهم ...

وقال : ... وقد كانوا فأمسى الحي ساروا .

وحكي الكسائي : أصبحت نظرت الى ذات التنانير » (١٥٠)

ونقل السيوطي « صلاحية وقوع أخوات « كان » أخبارا لها ، كقولك: « كان زيد أصبح منطلقا » (١٥١) وقد انعكست تلك المفهومات على اعراب (المسند) في سياق « كان » .

فقد ذهب الكوفيون الى أن خبر (كان) نصب على الحال ، لأن (كان) فعل غير واقع — أي غير متعد (١٥٢) .

أما البصريون فذهبوا الى أنه نصب نصب المفعول (١٥٣) ، مستندين الى التوافق الشكلي (التصريفي) بين (كان) والفعل ، الذي أشار اليه

---

(١٤٥) همع الهوامع : ١ : ١١٣ .
(١٤٦) يوسف : ٢٦ .
(١٤٧) المائدة : ١١٦ .
(١٤٨) الممتحنة : ١ .
(١٤٩) ابراهيم : ٤٤ .
(١٥٠) همع الهوامع : ١ : ١١٣ .
(١٥١) الأشباه والنظائر : ٢ : ٥٥ .
(١٥٢) ينظر الانصاف : ٢ : ٨٢١ .
(١٥٣) ينظر الانصاف : ٢ : ٨٢١ .

سيبويه بقوله : وتقول « كناهم » كما تقول « ضربناهم » وتقول : « اذا لم نكنهم فمن ذا يكونهم ؟ ٠٠ » (١٥٤)

ويعنى ذلك أن الكوفيين جعلوا (كان) أقرب الى أداة تؤدى وظيفة نحوية ، أى تؤدى وظيفة زمنية فى التركيب ، لكنهم لم يلغوا الفعلية فيها، فعدوها من قبيل الأفعال اللازمة أو غير الواقعة على مصطلحهم (١٥٥) ٠ وهذا هو الذى يفسر عدهم الخبر فى سياقها حالا ٠

أما البصريون فقد جعلوا « كان » أقرب الى الفعل ، على الرغم من خلوه من الحدثية ، بسبب السمات الشكلية التى تجمع بينهما ٠

(ب) المباحث المعاصرة :

أما المباحث المعاصرة فقد انعكست فيهـــا تحليلات النحاة القدماء ونتائجها فى هذا الباب ٠ ويمكن ايجازها فى ملحظين :

الملحظ الأول : فى تصنيف « كان » :

نشير ، هنا ، الى تحليل الدكتور عبد الرحمن أيوب الذى يستند الى نوع من الاستبدال مطابق تماما للاستبدال الذى أجراه سيبويه (١٥٦) مقدم وكأنه يصـــدر عن منهج النظر اللغوى الحديث ٠ يقول الدكتور عبد الرحمن أيوب : « يتساءل الكثيرون عما اذا كان ثمة مبرر لاعتبـــار المثال : « كان محمد قائما » يختلف من وجهة النظر التركيبية عن المثال (ضرب محمد عليا) ؟ والدافع لهذا التساؤل أن كلا من المثالين مركب من كلمة (كان) التى لها كل المميزات الشكلية التى للفعل ، وبعدها فى الترتيب تأتى كلمة مرفوعة وفيها كل مميزات الأسماء ، وكلمة منصوبة فيها كل مميزات الأسماء كذلك » (١٥٧) ٠

ويخلص الى أن « دلالة المادة فى كان » قد انعدمت ، وتخصص هذا اللفظ بالتالى لدلالة الوزن » (١٥٨) غير أنه يرى «برغم انعدام الدلالة على الحدث فلا تزال «كان» فى الأفعال ، حيث ان جميع الصفات الشكلية لاتزال من مميزاته » (١٥٩) ٠

وقد عرض الدكتور ريمون طحان للمشكلة التصنيفيّة ذاتها فى

---

(١٥٤) الكتاب : ١ : ٤٦ ٠
(١٥٥) ينظر الانصاف : ٢ : ٨٢١ ٠
(١٥٦) ينظر الكتاب : ١ : ٤٦ ٠
(١٥٧) العربية ولهجاتها : ٧٩ ٠
(١٥٨) المصدر السابق : ٨١ ٠
(١٥٩) المصدر نفسه : ٨١ ٠

(كان) والنواسخ الأخر (١٦٠) فوجد أن « معظمها يعتبر أفعالا لأنه يدخل في جدول تصريفي » (١٦١) •

لكنه رأى « أنه من الوجهة النحوية ينبغي أن تصنف بوصفها أدوات » (١٦٢) وصنف صاحب (الوجيز في فقه اللغة) (كان وأخوانها) في خانة « أدوات أو مورفيمات تدخل الجمل لتدل على معان نحوية » (١٦٣) وقد رفض أن تعد أفعالا ، مفسرا ذلك بأن « الذى حمل النحاة القدماء على عدها أفعالا أنهم رأوها تتصرف كما تتصرف الأفعال(١٦٤) وقد رأى أن التصرف لا يعنينا ، الذى يعنينا فقط هو الوظيفة التى يقوم بها اللفظ في العبارة • واذا كانت الأفعال الناقصة لا تعبر عن مقولات نحوية ، فهى اذن مورفيمات كسائر المورفيمات الأخرى » (١٦٥) وهذه التحليلات أجريت بصورة تامة في المنهج النحوى القديم • بل ان بعض النحاة وجد أن (كان) ذات ثنائية توزيعية ، فالشلوبين يتساءل : « هل « كان » دالة على الحدث مع الزمان أو مجردة للدلالة على الزمان ؟ » (١٦٦) ويجيب : « الأظهر أنها مجردة » (١٦٧) •

ومن وجوه تطبيق المنحى الخلافي في توزيع « كان » بين حقل الفعل وحقل الأداة : اعراب الخبر في سياق « كان » • فالذى رأى أن (كان) تحدل على الفعل المتعدى ، كما رأى البصريون ، جعل لها خبرا منصوبا ، كما جعلوا للفعل المتعدى مفعولا منصوبا أما الذى رأى في « كان » فعلا لازما ــ وهو رأى الكوفيين (١٦٨) فقد جعله حالا (١٦٩) وقد

(١٦٠) ان الجمع بين (كان) و (أخواتها) في المباحث المعاصرة ، من وجهة نظر زمنية ، أمر غير صحيح البتة ، لأن ما سمى بـ (أخوات كان) تشير بصيغها الى قسم زمنى (اصبح ، يصبح ، سيصبح) وبموادها الى وقت بعينه (الصبح ، الضحى ، الظهر ••• الخ) • أما كان فقد اندثرت مادتها ، وصارت أهم قرينة زمنية في العربية تعبر بتركبها مع الأحداث عن جهات وأقسام زمنية وتفسر ظاهرة غنى العربية بالمركبات الزمنية • والواضح أن تصنيف (كان وأخواتها) في جدول زمنى واحد ، ورث عن المنهج النحوى القديم الذى صنف كان وأخواتها في جدول اعرابى واحد • وسيقودنا فض الاشتباك بين (كان) وما سمى أفعال الوقت الى دراسة تلك الأفعال في مبحث المادة المعجمية والزمن ، في الفصل الذى تعقده على دراسة (الزمن الدلالى) •

(١٦١) الألسنية العربية : ٢ : ٢٠ •

(١٦٢) المصدر السابق : ٢ : ٢٠ •

(١٦٣) الوجيز في فقه اللغة : ٢٩٦ •

(١٦٤) الوجيز في فقه اللغة : ٢٩٦ •

(١٦٥) المصدر السابق : ٢٩٦ •

(١٦٦) التوطئة : ٢١٠ •

(١٦٧) المصدر السابق : ٢١٠ •

(١٦٨) انظر النحو الوافى : ١ : ٥٤٣ •

(١٦٩) ينظر المباحث اللغوية في العراق : ١٢ •

حاول بعض المعاصرين تقديم وجهة المنظر الكوفية فى اعراب الاسم المنصوب فى سياق « كان » بتبسيطها على النحو الآتى :

« كان » تدل على الكينونة فى الماضى وفى غير الماضى ، فلا يكون هناك ما يدعو الى البحث عن اسم كان وخبرها • اسمها مرفوع بالطبع لانه متحدث عنه وخبرها منصوب بالطبع لانه تكملة » (١٧٠) وهو تبسيط يغفل الوظيفة فى « كان » ويركز على المنحى الشكلى أى الفعلى كما سنفصل ذلك فى هذا المبحث •

ولما كانت « كان » والنواسخ أدوات تؤدى وظائف نحوية ، فان ظاهرة نصب الخبر فى سياقها ظاهرة محيرة وجهها البصريون على أساس حمل الخبر على المفعول ، والكوفيون على جعل كان فعلا لازما معناه الوجود•

ولما كانت « كان » أداة زمن ، وهو رأى أغلب الباحثين قدماء ومعاصرين ، حاول باحثون معاصرون أن يلتمسوا تعليلا آخر لنصب الخبر فى سياق « كان » يتجاوز تعليلى البصريين والكوفيين •

فقد جعل الدكتور ريمون طحان عدم العامل علة فى نصب المسند فى سياق « كان » فجعله منصوبا نصبا اعتباطيا ، لكنه عاد فعزا ذلك الى ما أطلق عليه قوة الفعالية فى هذه الأدوات • قال •

« حين يدخل هذا النوع من الأدوات على الجملة الاسنادية التامة يتحلى المسند بالفتحة عوضا عن الضمة ولذا نعتبر هذه الأدوات قوية الفعالية تدخل مايسمى اسمها وخبرها فى تنظيم خاص واعتباطى» (١٧١)

وهذا التحليل فيه من التعسف شيء كثير • فنحن نفترض وفقا له أن أدوات النصب « ان » وأشباهها فى النصب ، ينصبن المسند اليه بقوة الفعالية ذاتها ، غير أنه ينبغى أن نفسر تحول الحركة الاعرابية من الضمة الى الفتحة فى المسند اليه مرة وفى المسند أخرى فى سياقى « ان » و « كان » •

وخلاصة ما نورده هنا أنه لا يمكن النظر الى « كان » بوصفها أداة أى بوصفها مورفيما ذا وظيفة نحوية ، شأنه شأن المورفيمات النحوية الأخرى ، كـ « ما » مثلا ، بل ننظر الى « كان » بوصفها مورفيما نحويا ذا بعد صرفى ، أى أنه قابل للدخول فى جدول تصريفى وآخر اسنادى كالفعل تماما • فـ « كان » تحمل هاتين السمتين الصرفية والنحوية ، أى : الفعلية والزمنية •

---

(١٧٠) اللغة العربية المعاصرة : ١١٠ •

(١٧١) الألسنية العربية : ٢ : ٢٠ •

غير أنه فى تركيبات معينة لا يمكن النظر اليها الا بكونها فعلا لازما محضا وعلى عبارة سيبويه : (يقتصر على الفاعل فيه ، تقول : (قد كان عبدالله)أى :(قد خلق عبدالله) ، و (قدكان الأمر) : أى : (وقع الأمر) (١٧٢) ومنه قوله تعالى (وان كان ذو عسرة) (١٧٣) « معناها وجد » (١٧٤)

لقد حاول الكوفيون ، كما عرضنا لذلك فى هذا المبحث (١٧٥) جعل الخبر فى سياق « كان » (الناقصة) مقيسا على «كان» (التامة) هذه فجعلوها فعلا غير واقع وجعلوا المنصوب فى سياقها حالا (١٧٦) • وقد وافق الدكتور مهدى المخزومى الكوفيين « فى تسميته « حـــالا » لا « خبرا » لأنه انما بين هيئة خاصة للموجود المتحدث عنه » (١٧٧) فكان «كان» لا تصنف الا فى خانة الفعل اللازم سواء أكانت تامة أم ناقصة • غير أن الدكتور المخزومى لم يهدنا الى سبب تصنيف « كان » الى تامة وناقصة على الرغم من أن الناقصة على عبارته (تدل على وجود) (١٧٨) والتامة بمعنى وجد » (١٧٩)

وفى ضوء ذلك يمكن أن نستبدل تركيبى :

كان عبد الله (تامة)

وكان عبد الله عظيما (ناقصة)

بتركيبى :

جاء عبد الله

وجاء عبد الله مسرعا •

وفى هذه الحالة لا يمكن أن نصنف الفعل « جاء » فى المثالين الاول والثانى ، باعتبار الاول فعلا تاما ، والثانى ناقصا •

---

(١٧٢) الكتاب : ١ : ٤٦ •
(١٧٣) البقرة : ٢٨٠ •
(١٧٤) فى النحو العربى : نقد وتوجيه : ١٨٣ •
(١٧٥) انظر : ص ١٥٩ ومابعدها من هذا الفصل •
(١٧٦) الانصاف : ٢ : ٨٢١ •
(١٧٧) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٨٢ •
(١٧٨) المصدر السابق : ١٨٢ •
(١٧٩) المصدر نفسه : ١٨٢ •

بل هو فعل لازم فى كلا المثالين • وقد لحق الثانى ما يبين جهة من جهات حدثه وهو هيئته •

ان هذا الاضطراب الذى يسود التحليل الكوفى فى تمامية « كان » ونقصانها وفى توزعها بين حقلى الأداة والفعل يجعلنا ننزع نحو التحليل البصرى أى الأخذ بملاحظة سيبويه التى تحاول أن تقدم ، من خلال حمل شىء على شىء نسقا توزيعيا يشتمل على وظائف « كان » ودلالاتها بما فيها تلك التى أطلق عليها « كان » الزائدة • أو على عبارة سيبويه « الغاء كان » قال الخليل : «ان من أفضلهم كان زيدا » (١٨٠) ، فان الزمن الذى لا تدل الا عليه حينئذ (١٨١) يستمد من شكلها الفعلى •

وبعبارة أخرى ان « كان » الملغاة من حيث العمل تؤدى وظيفة زمنية، تتحدد دلالتها من خلال شكل صيغتها الفعلية « كان ، يكون ، سيكون » والمخطط الآتى يوجز الأشكال والوظائف التى عليها (كان) فى اللغة العربية :

الناسخ	نوعــه	المعــادل	الدلالة الزمنية	الاعــراب
كان	التــام	فعل لازم	بحسب الصيغة	يحتاج الى مرفوع
كان	الناقص	فعل متعد	بحسب الصيغة	مرفوع + منصوب
كان	الزائد	أداة زمن	بحسب الصيغة	——
كان	المركب	أداة زمن	بحسب المركب	——

والملحظ الآتى سنفصل فيه (الناسخ) الذى يكون المركّبات الزمنية

الملحظ الثــانى :

ان أهم ملحظ للباحثين المعاصرين فى موضوع أدوات الزمن هو المركبات الزمنية • فما لا حظناه من اقتراب حذر للنحاة من المركبات الزمنية (١٨٢) طور فى المباحث المعاصرة الى درجة تصنيف هذه المركبات وفق دلالالتهــا

---

(١٨٠) الكتاب : ٢ : ١٥٣ •

(١٨١) ينظر فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٨٣ •

(١٨٢) ينظر : ص ١٥٨ من هذا الفصل •

الزمنية ، فقد وجدت هذه المباحث أن الصيغ الفعلية تستعين « ببعض الأفعال والأدوات تلحقها بصيغتي (فعل) و (يفعل) لتدلا مع مالحقهما على ما أرادت العربية الى التعبير عنه في بناء مركب إتصلت أجزاؤه، وتعاونت على ابراز مثل هذه الدلالة الجديدة . » (١٨٣)

وقد أمدت هذه المركبات الزمنية المعاصرين بما هيأ لهم تكوين الخانية الزمنية في اللغة العربية ، وكانت ، بهذا ، من أهم العوامل في نشوء الجداول الزمنية التي عرضنا لها في مبحث سابق .

وظائف الأدوات الزمنية :

تفيدنا ملاحظة وظيفة الظرف (١٨٤) بإزاء وظيفة الأداة الزمنية أن نقف على تينك الوظيفتين بصورة واضحة والمعلوم أن المقارنة بين الظرف والأداة لا يمكن أن تتم الا على المستوى الوظيفي ، أي في التركيب ، كما أنهما لا يقعان الا في سياق حدث زمني .

اذا حللنا الجملة التي ساقها سيبويه « سآتيك غدا » (١٨٥) الى عناصرها النحوية ، استطعنا أن نقف على جانب من هذا الفرق :

س ←—— آتى ←—— ك ←—— غدا

س: مورفيم نحوى له دور وظيفى ، وليس له معنى معجمى .
توجيه الحدث نحو قسم زمنى
تعيين جهة الحدث الزمنية
مستقبل قريب

آتى: حدث
مسند

ك: ضمير
«مفعول به»

غدا: مورفيم نحوى
يحدد بمادته
كمية زمن
حدث
السياق

(١٨٣) في النحو العربي نقد وتوجيه :١٢٨ .
(١٨٤) سنعرض لدراسة « الظرف » في فصل قادم .
(١٨٥) الكتاب : ١ : ٢٥ .

ان أهم ما نستخلصه من التحليل السابق ، هو تعدد وظائف الأداة الزمنية ، وتحدد الظرف بوظيفة زمنية واحدة . وفيما يأتى وظائف أداة الزمن فى اللغة العربية :

١ ـ الحاق صيغة « يفعل » بقسم من قسمى الزمن « الماضى » ك « كان يفعل » و « المستقبل » ك : « سآتيك » و « لن آتيك » .

٢ ـ التعبير عن جهة من جهات أقسام الحدث الزمنية فالفرق بين « السين » و « سوف » فرق فى جهة المستقبل . والفرق بين « ذهب » و « كان ذهب » فرق فى جهة الماضى كما سنعرض لذلك بتفصيل فى الدراسة التطبيقية .

٣ ـ ايقاع الجمل اللاحدثية الاسنادية وغير الاسنادية فى الزمن ، وعلى عبارة الزمخشرى : « كان » : « تقرن مضمون الجملة بالأوقات الخاصة » (١٨٦) . ومن ذلك قوله تعالى : « كان الناس أمة واحدة » (١٨٧) ، وقولك « ما كان أحسن زيدا » لتدل أنه فيما مضى » (١٨٨) .

وقد ألمح برجشتراسر الى أن « ادخال الفعل « كان » على اختلاف صيغه ، على الجمل الاسمية ، مظهر من مظاهر اللغات السامية سببه الاحتياج الى تنويعها (الجمل الاسمية) على الأوقات وغيرها ، فانى ، ان أسندت (كبير) الى (بيتى) فى جملة اسمية محضة ، لم يمكنى أن أفرق بين (بيتى قد كان كبيرا) و (بيتى سيكون كبيرا) و (ليكن بيتى كبيرا) » (١٨٩) .

ويحدد الجدول الآتى وظيفة أو وظائف أداة الزمن والظرف :

البنى الزمنية	الوظيفة
الأداة	• توجيه صيغة (يفعل) نحو قسم زمنى . • التعبير عن جهة من جهات الحدث فى الأقسام الزمنية الثلاثة . • ايقاع الجمل اللا حدثية فى الزمن .
الظرف	قياس زمن الحدث

(١٨٦) المفصل : ٢٢٦ .
(١٨٧) البقرة : ٢١٣ .
(١٨٨) الكتاب : ١ : ٧٣ .
(١٨٩) التطور النحوى للغة العربية : ٥٤ .

الزمن الدلالى

نظرة عامة :

لم تشغل قضية (المعنى) الذهن اللغوى قديما وحديثا حسب ، بل شغل فى بحث جوانبها « فلاسفة ومناطقة وأصوليون عرب » (١) ولا تزال تتلبس المناهج اللغوية وتنتقل من مفهوم الى مفهوم ·

فاذ تستبعد مدرسة بلومفيلد Bloomifield التى « انتظمها ظل المدرسة السلوكية فى علم النفس ، عنصر المعنى عند التحليل » (٢) حيث رأت فى المعانى « وحدات عقلية أشبه بالألغاز » (٣) يتقدم « البحث الدلالى فى اطار علم اللغة الحديث من الناحية المنهجية فى نظرية الدلالة ، ومن الناحية العملية فى اعداد المعاجم » (٤) ويعنى ذلك : النظر الى التركيب اللغوى من زاوية (المعنى) بعد أن نظر اليه النحاة القدماء من زاوية (المبنى) (٥) وهو نفس ما تسعى اليه النظريات الجديدة فى علم اللغة ، التى تحاول أن تستدرك على جومسكى Noam Chomsky

ونظريته التوليدية التحويلية ، ومن أهمها النظرية التى أتى بها العالم اللغوى فلمور Charles Fillmore التى تضع المعانى فى الدرجة الأولى من الأفضلية (فى التحليل اللغوى) ثم تتحول بوساطة قواعد نحوية وصرفية وتحويلية وصوتية الى الشكل الخارجى الظاهر للجمل (٦) ·

وليس من هدف هذه الرسالة التوسع فى بحث مفهومات علم الدلالة وأصولها التاريخية ، ولكنه يحاول أن يتلمس العلاقة بين الزمن

---

(١) المدخل الى علم اللغة : ٨٤ ·

(٢) نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث : ٣٢ ·

(٣) المصدر السابق : ٣٢ ·

(٤) المدخل الى علم اللغة : ٨٤ ·

(٥) ليس هذا حكما مطلقا ، ولكنه حكم عام · فالمنهج النحوى القديم انطوى على معطيات عدة مناهج · لكنه تركز فى بحث الأشكال ووظائفها وتوزيعاتها · انظر : نظرية النحو العربى : ٣١ ، ٣٢ ·

(٦) ينظر : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٣٠٩ ، ٣١٠ ·

اللغوى والملحظ الدلالى للغة · ولما كان للزمن ملحظ نحوى ، لزم أن نشير اشارة سريعة الى العلاقة بين المكون الدلالى والمكون النحوى لفهم تأثير تلك العلاقة فى الزمن ·

لقد كان « النحويون العرب يعولون على المعنى معولا كبيرا ··· وكانوا يفزعون اليه ، ويصدرون عنه فى التفسير النحوى » (٧) ويقدم الدكتور نهاد الموسى نموذجا من تفسير النحويين التغاير السطحى بين الصور الآتية فى نمط الاستثناء :

قوله تعالى :

١ ـ « وما محمد الا رسول » (٨) ·

٢ ـ « ولا تقولوا على الله الا الحق » (٩) ·

٣ ـ « فهل يهلك الا القوم الفاسقون » (١٠) ·

٤ ـ « ويأبى الله الا أن يتم نوره » (١١) ·

ان الآيات الثلاث الأول ينتظمها على الترتيب : النفى والنهى والاستفهام الانكارى ، وهى معان ، المحمل بينها قريب ف : « فهل يهلك الا القوم الفاسقون » = لا يهلك الا القوم الفاسقون (١٢) ·

أما الآية الرابعة : فيرى الدكتور نهاد الموسى أن « المعنى أسعف (النحاة) فى أن يسلكوا « يأبى » وما أشبهها فى (اطار الاستثناء) فقد وجدوا أن « يأبى » بمعنى : « لا يريد » (١٣) ·

ويلاحظ على منهج سيبويه ، الذى هو منهج شـكلى فى جوهره ، يستند الى مبدأ التوزيع « مزاوجته الصريحة بين الملحظ الدلالى والملحظ النحوى » (١٤)

ان سـيبويه يختبر أمثلة مستقيمة من حيث التنظيم النحـوى ، وهى :

(٧) نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث : ٦٥ ، ٦٧ ·
(٨) آل عمران : ١٤٤ ·
(٩) النساء : ١٧١ ·
(١٠) الأحقاف : ٣٥ ·
(١١) التوبة : ٣٢ ·
(١٢) ينظر نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث : ٦٧ ·
(١٣) المصدر السابق : ٦٧ ·
(١٤) المصدر نفسه : ١٠٢ ·

ـ حملت الجبل ٠

(و) ـ شربت ماء البحر ٠ (١٥)

فالجملتان صحيحتان من حيث كونهما مؤلفين نحويين :

مسند + مسند اليه + مفعول

غير أنهما ، بالمعيار الدلالى ، غير مقبولتين . فينتج عن ذلك ما يسميه سيبويه : « المستقيم الكذب » (١٦) ٠

ان المكون الدلالى هنا يقاطع المكون النحوى ، حيث تصبح عملية انتاج المعنى عرضة للتصدع ٠

فاذا نقلنا مقام جملتى سيبويه السابقتين ، من النطاق البشرى الى النطاق الاسطورى مثلا ، أمكن عدهما صحيحتين نحويا ودلاليا ٠

وهكذا يبدو العنصر الدلالى ، فى اللغة ، بعيد المنال دائما ٠ اذا عدنا الى جملة « شربت ماء البحر » وأدخلنا خللا ما فى أحد عناصرها النحوية ، نتج عندنا :

خلل نحوى + خلل دلالى ، وهو يساوى عند سيبويه : « المحال الكذب » (١٧) ٠

والمثال الذى يسوقه سيبويه هو : « سوف أشرب ماء البحر أمس » (١٨) ففى الملحظ النحوى نجد أن «سوف» (وهذا يطابق تحليل (بيرلنج Burling) جملة He went tomorow (١٩) ذهب غدا) قرينة تحدد صيغة المضارع بالمستقبل ٠ و « أمس » ظرف زمن ماض ، وفى الملحظ النحوى للعربية لا تواقع قرينة المستقبل «سوف» الظروف الماضية ، على أسس توزيعية ٠ وفى الملحظ الدلالى لا يمكن للانسان « فى اختبارنا التجريبى خارج نطاق اللغة » (٢٠) أن يشرب ماء البحر ٠

غير أن أخطر ما قدمه الفكر اللغوى العربى فى علم الدلالة ، كان قد تمثل بنظرية عبد القاهر الجرجانى فى (النظم) التى دارت حول الدلالة

---

(١٥) الكتاب : ١ : ٢٦ ٠
(١٦) الكتاب : ١ : ٢٦ ٠
(١٧) المصدر السابق : ١ : ٢٦ ٠
(١٨) الكتاب : ١ : ٢٦ ٠
(١٩) ينظر نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث : ١٠٢ ٠
(٢٠) المصدر السابق : ١٠٢ ٠

النحوية أو « السيمانتيك النحوى Syntactic Semantics » (٢١)
ونجد أصداءها فى المكون الدلالى فى القواعد التوليدية والتحليلية «الذى يلتمس تحليل البنى التركيبية ، من الناحية الدلالية ، أى بكلام آخر يسند معنى أو أكثر الى البنى التى يولدها المكون التركيبى » (٢٢)

اشتملت (الدلالة) اللغوية عند الجرجانى على خطين :

الأول : (الدلالة النحوية التركيبية) وهى التى تعرض للامكانات التعبيرية فى البنى النحوية ذات التأليف الواحد وجعل ذلك كما فصلنا فيه (٢٣) تحت عنوان « وجوه كل باب وفروقه » (٢٤) .

الثانى : (الدلالة الافرادية) : وهى الدلالة التى ترتبط بالاستعمال الذى يحيلها الى المعجم أو الى السياق . وجعل العلامة الجرجانى ذلك تحت عنوان : « المعنى ومعنى المعنى . تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ ، الذى تصل اليه بغير واسطة ، وب (معنى المعنى) أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضى بك ذاك المعنى الى معنى آخر » (٢٥) .

وهكذا يتاح لنا ، من كل ماتقدم ، أن نبحث العلاقة بين الزمن والدلالة بوصف الأول فصيلة نحوية ، وبوصف الثانية (وسط) تلك الفصيلة ، وهو وسط يستمد عناصره من :

(أ) المكونات اللغوية (الصوتية ، المعجمية ، الصرفية والنحوية) أو (المقال) Speech (٢٦) فى تعبير البلاغيين العرب و (اللغويات الداخلية) فى تعبير دى سوسير De Saussure (٢٧) .

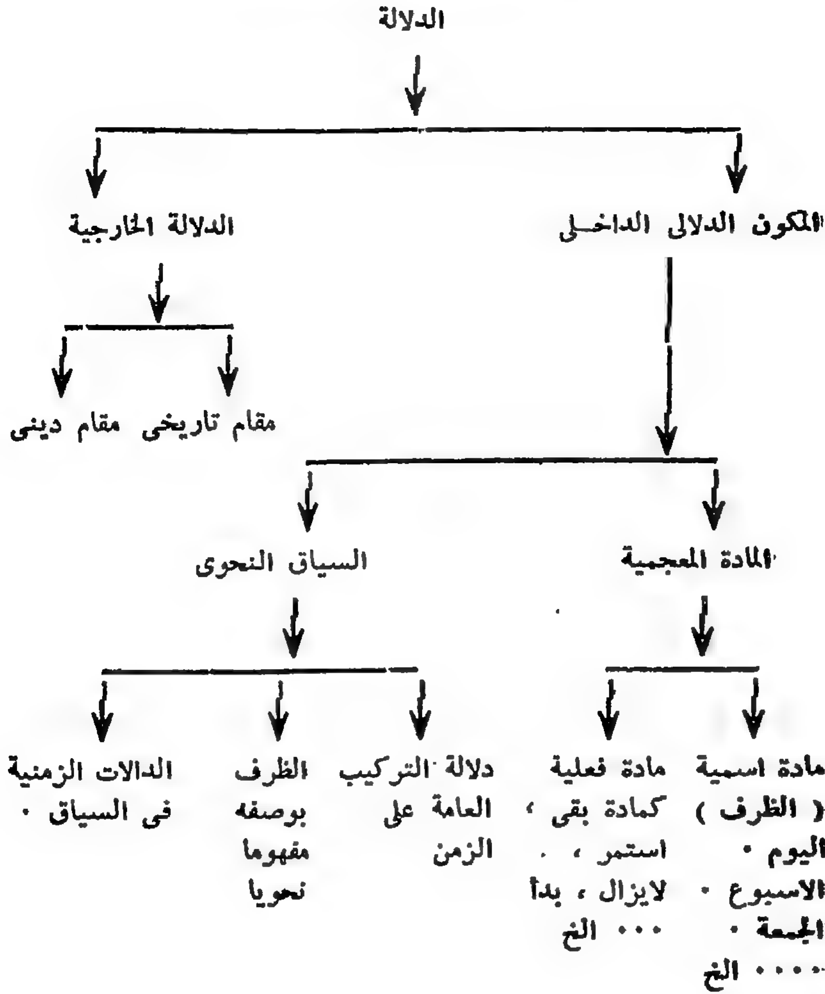
(ب) ما يحيط بتلك المكونات : أى الظرف اللغوى :
أو (المقـــام) Context Situation (٢٨) فى تعبير البلاغيين العـرب ، و (اللغويات الخارجية) فى تعبير دى سوسير (٢٩) .

ويمكن رسم المخطط الآتى لتوضيح ذلك :

---

(٢١) ابن قيم الجوزية / جهوده فى الدرس النحوى : ١٦٤ .
(٢٢) مجلة الفكر العربى المعاصر / مقالة المكون الدلالى : ٦٥ .
(٢٣) ينظر الفصل الثانى من الباب الأول : (امكانات الصيغة) : ٤٦ فما بعدها .
(٢٤) دلائل الاعجاز : ٦٧ .
(٢٥) دلائل الاعجاز : ١٧٥ .
(٢٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٣٧ .
(٢٧) ينظر مشكلة البنية : ٥١ .
(٢٨) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٣٧ .
(٢٩) ينظر مشكلة البنية : ٥١ .

جدول بالعلاقة بين الدلالة والزمن



الزمن والمادة المعجمية :

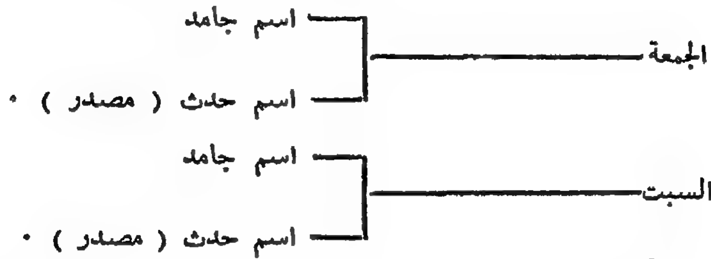
لم يجر النظر فى المادة المعجمية وملاحظة دلالاتها وآثارها فى الأبنية والتراكيب اللغوية على نطاق واسع في المباحث اللغوية• وسنشير هنا بايجاز الى العلاقة بين مدلول (المادة) والتركيب النحوى عامة ، وبين هذا المدلول والزمن بوصفه احدى فصائل هذا التركيب خاصة •

يقدم سيبويه وجها من وجوه تعدد عناصر الجملة بالنظر الى مـدلول المادة :

ففى ملاحظته مواد أيام الأسبوع يعمد سيبويه الى تصنيف تلك المواد الى صنفين ٠ كما يمثله الجدول الآتى :

الصنف الاول	الصنف الثانى
الجمعة ٠ السبت ٠	الأحد ٠ الاثنين ٠ الثلاثاء ، الاربعاء الخميس

فقد رأى أن مدلولى مادة الجمعة والسبت يشيران الى معنيين :



أما مواد الأحد ، الاثنين الى الخميس فلا تشير الا الى اسم جامد وفى ضوء ذلك قدم سيبويه مؤلفين لجملة واحدة :

وسنشرح ذلك بشىء من التفصيل :

يقول : « ان قلت » الليلة الهلال » « واليوم القتال » نصبت ، وان شئت رفعت ٠ وكذلك « اليوم الجمعة » و « اليوم السبت » ٠ وان شئت رفعت ٠ فأما « اليوم الأحد » و « اليوم الاثنان » فانه لا يكون الا رفعا ، وكذلك الى الخميس ، لانه ليس بعمل فيه كأنك أردت أن تقول : « اليوم الخامس والرابع »

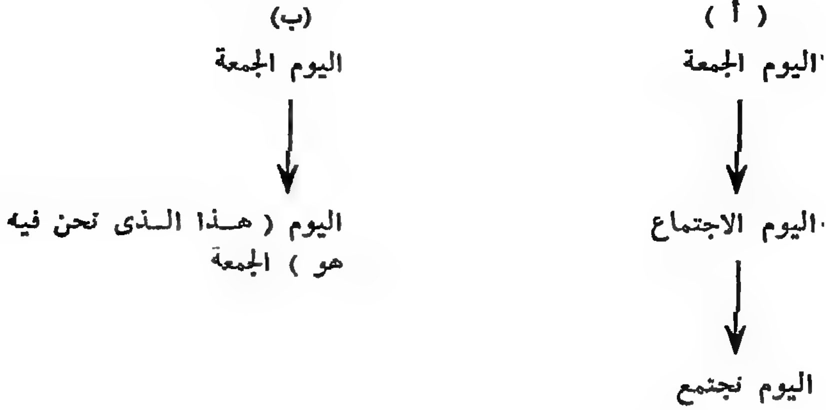
السيرافى : « ولم يجز فى الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس الا الرفع ، وانما ذاك لأن الجمعة بمعنى الاجتماع ٠ والسبت : بمعنى الراحة فهما مصدران يقعان فى اليوم ، بمنزلة قوله : « اليوم القتال »(٣٠)

---

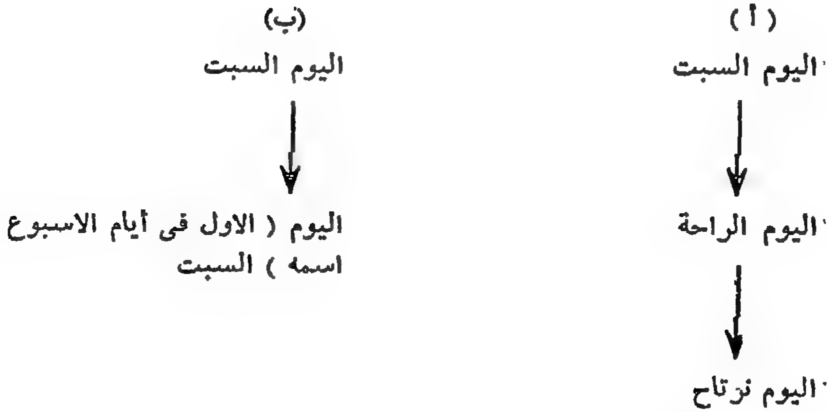
(٣٠) الكتاب : ١ : ٤١٨ ٠

ويمكن وضع مخطط التحليل السابق باجراء استبدال :

١ ـ بين مسمى الشيء وحدثه ، على النحو الآتى :



٢ ـ وبين مسمى الشيء وحدث معناه :



أما بقية أيام الأسبوع ، فلا تتضمن موادها الا دلالة واحدة ٠ هى مسمى اليوم بعينه فلا يمكن احالتها الا الى جدول (ب) ٠

ويعنى ما تقدم أن لمواد بعض الكلمات قابلية فى تعيين فروق صرفية ، كما أن بعض هذه المواد ذو قابلية فى تحديد قبول الجملة أو رفضها نحويا ، كما عرضنا لذلك فى توطئة هذا الباب (٣١) ٠ ويمكن

(٣١) ينظر : ص ١٦٨ فما بعدها ٠

أن نمثل لذلك باسناد الفعل « مشى » الى مسند اليه ، يناقض عملية المشى (التى تحتاج الى قدم) كما لو قلنا : « مشى الراديو » أو كما يقول جارلس فلمور « ان هناك أفعالا لاتستعمل الا مع أسماء لمدلولات حية وانسية مثل شرب وكتب » (٣٢)

واذا نقلنا البحث الى تأثير (المادة) فى (الزمن) وجدنا أن للمادة قابلية فى تعيين فروق نحوية فى ضوء زمنى • ويتم ذلك بملاحظة الجملتين الآتيتين :

زيد قادم •

وزيد عاقل •

ان الفرق بينهما لا يمكن أن يلحظ الا من خلال مادتيهما فكلتا الصيغتين (صفتا فاعل) يؤديان وظيفة (الخبر) ، غير أن الصيغة الأولى تشعر بزمن ، فى حين تشعر الثانية بالوصف ، أى الخلو من الزمن •

ويمكن اجراء التحوير النحوى الآتى على الجملتين الآنفتين :

ها هو ذا زيد •••

فينتج عن ذلك مؤلفان نحويان مختلفان ، هما (الحال) و (الصفة) :

ها هو ذا زيد قادما ــــــ حال

ها هو ذا زيد العاقل ــــــ صفة

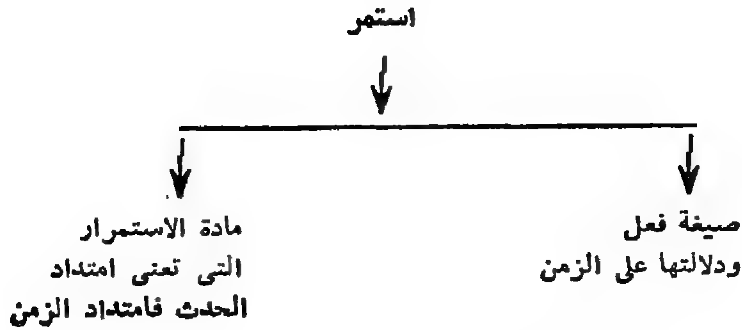
فالصيغة الأولى لا تكون الا مؤلف (الحال) • ولا تكون الثانية الا مؤلف (الصفة) • وكأن (المادة) تعلن عن نفسها فى ضروب كثيرة من الأبنية الصرفية والتراكيب النحوية ، وكأن المؤلفات النحوية ، على هذه الجهة ، تخضع الى المعنى لا المبنى •

ان بعض الصيغ الفعلية والصيغ الملحقة بها (كالمصادر وأسماء الفاعلين) تشير الى معنى زمنى من جهة مادتها •

ان الفعل (استمر) ، مثلا ، تكمن فى بنيته اشارتان زمنيتان ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتى :

---

(٣٢) مجلة دراسات/مقالة النظرية التحويلية واللغة العربية : ٢٠١ •



ان تناول فعل آخر كـ « ذهب » أو : « انصرف » يوضح انقطاع المادة عن الاتجاه الى الزمن فـ « ذهب » لايدل على الزمن الا من جهة صيغته • لنختبر الفعل « استمر » فى المثالين الآتيين :

١ - استمر فى الكتابة أمس •

٢ - استمر فى العمل عاما واحدا •

سنلاحظ أن حدث الفعل « استمر » وقع فى زمن ماض مستمر منقطع أى غير ممتد ويعنى ذلك أن : (صيغة فعل + المادة = كان يفعل) ويمكن اجراء الاستبدال الآتى مع المثال السابق

استمر فى الكتابة أمس • حيث يكون :

كان يكتب أمس

فكأن « استمر » ليس الا فعلا مساعدا ، اذ لم يخرج شكل صيغته عن الماضى • أما الاستمرار فانه يعبر عن (جهة) Aspect وليس عن قسم زمنى • وهكذا تحافظ صيغة الفعل « استمر » على مستواها الصرفى : استمر فى عمله أمس /يستمر فى عمله الآن /سيستمر فى عمله غدا •

فاذا تناولنا فعلا ثانيا هو « بقى » وجدناه يعبر بصيغته ومادته عن زمن ممتد حتى الحاضر : (منذ سنتين ، مثلا حتى الوقت الحاضر) :

كـ : بقى الأمر على ما هو عليه :

اذ تنطوى هذه الجملة على اشارة زمنية كما يأتى :

بقى الأمر	على ما هو عليه
الى الآن	فى الماضى

فهذه الصيغ :

استمر ، يستمر ، سيستمر

بقى ، يبقى ، سيبقى

التى تندرج بوصفها شكلا Form فى قسم زمنى تتحول بموادها الى جهات فى القسم الذى تدخل فيه · ويمكن ملاحظة ذلك بشىء من الوضوح فى تحليل المركب : « سيبقى » ، فهذا المركب لا يعادل من حيث دلالته الزمنية : « سيفعل » بل يعادل : « سيظل يفعل » ·

كما أن تناول مادة « فعل » ك « خلا » يشير بوضوح أكبر فى العربية الى اتجاه « المادة » نحو (الزمن) ·

ان مادة الفعل (خلا) تدل فى معنى من معانيها ، على المضى و « خلا الشىء خلوا : مضى » (٣٣)

غير أن مادة هذه الصيغة تشعر بجهة فى الزمن الماضى : وهذه الجهة هى « الماضى البعيد » ويعكس الاستعمال القرآنى هذا الأمر بصورة دقيقة ونستثنى منه (التراكيب الشرطية) التى جاء الفعل (خلا) فى سياقها لأن (التركيب الشرطى) يستقل فى الأغلب بدلالة أجزائه ·

تردد استعمال الفعل خلا فى القرآن احدى وعشرين مرة وقد لحق حدثه الظرف « من قبل » خمس عشرة مرة ·

كقوله تعالى « قد خلت من قبلكم سنن » (٣٤)

وقوله : « سنة الله فى الذين خلوا من قبل » (٣٥) وقوله : « ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم » (٣٦) أما الاستعمالات الستة الباقية فاشارة البعد فيها واضحة ، تعكسها قرائن سياقية أخر · كقوله تعالى : « تلك أمة قد خلت » (٣٧) « اشارة الى الأمة المذكورة التى هى ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون » (٣٨) وقوله : «وقد خلت سنة الأولين» (٣٩) · طريقتهم ··· حين كذبوا برسلهم ··· وهو وعيد لاهل مكة » (٤٠)

---

(٣٣) لسان العرب : ١٤ : ٢٤١ ·
(٣٤) آل عمران : ١٣٧ ·
(٣٥) الأحزاب : ٣٨ ·
(٣٦) البقرة : ٢١٤ ·
(٣٧) البقرة : ١٣٤ ·
(٣٨) الكشاف : ١ : ٣١٤ ·
(٣٩) الحجر : ١٣ ·
(٤٠) الكشاف : ٢ : ٣٨٨ ·

بل ان الاستاذ حامد عبد القادر كما لاحظنا ذلك فى الفصل الثالث/ مبحث « نقد الجداول الزمنية » (٤١) ، جعل :

قد + صيغة فعل + قبل أو من قبل = قد فعل قبل ، أو من قبل • مركبا زمنيا ذا دلالة على « الماضى البعيد » (٤٢) فالآيات القرآنية فى سياق اشارة الى ماض بعيد جرت فيه أحداث يعيدها الله ليعتبر بها الناس حيث يعكس الفاصل الزمنى ، أو النظر الى الأحداث المنقطعة دلالة نفسية معينة • ان البعد يتحصــل على جهة اللغة من : قرينة ســياقية (كالاشارة الى أمة غابرة) + مادة الفعل (خلا) + الظرف (من قبل)•

فاذا انتقلنا الى استعمال الفعل «مضى» ، الذى يرادف (خلا) فى المعنى المعجمى ، فى القرآن وجدنا أنه لم يرد فى هذا المنحى قط •

استعملت مادة « المضى » فى القرآن خمس مرات ، وردت بثلاث صيغ مغايرة لصيغة الماضى وهى : (أمضى (٤٣) ، امضوا (٤٤) ، مضيا (٤٥)) أما الاستعمال الرابع فورد فى الفعل الماضى فى سياق شرطى وهو قوله تعالى : « ان يعودوا فقد مضت سنة الأولين » (٤٦) وفى هذا السياق ايضا يكون الخطاب موجها الى « الاولين » من كفار قريش وليس الاولين من الأمم الخالية • ويعرفهم الزمخشرى بـ « الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر » (٤٧)

أما الاســتعمال الأخير فقوله : « ومضى مثل الأولين » (٤٨) فــان « مضى » فيه ليس ذا دلالة على ماض بعيد بل معناه : « سلف » فى القرآن فى غير موضع منه ، ذكر قصتهم » (٤٩) وهكذا نجد بنية الفعل « خلا » تنطوى على اشارتين الى الزمن ، اشارة بصيغته ، واشارة بمادته ، فكأن « خلا » لا يعنى « مضى » بل يعنى : « كان مضى » ونلمح الملمح ذاته فى الصيغ الفعلية والملحقة بها التى تنطوى موادها على معنى زمنى •

فيبدو أن المادة فى العربية اذا تضمنت حدثا ممتدا ، أو حدثا ثابتا

---

(٤١) انظر : ص ١٠٦ من الفصل الثالث •
(٤٢) مجلة مجمع اللغة العربية/مقالة : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٦٩ •
(٤٣) الكهف : ٦٠ •
(٤٤) الحجر : ٦٥ •
(٤٥) يس : ٦٧ •
(٤٦) الأنفال : ٣٨ •
(٤٧) الكشاف : ٢ : ١٥٧ •
(٤٨) الزخرف : ٨ •
(٤٩) الكشاف : ٣ : ٤٧٨ •

كحدث الصفات فى الأفعال اللازمة ومنه « حسن زيد » أى صار ذا حسن ، يبدو أنها تفيد فى الجهة الزمنية ، وليس فى القسم الزمنى · وكذا الأمر اذا نقلنا البحث الى ما اصطلح عليه عند النحاة ب « الأفعال الناقصة » ك « مازال وظل وأصبح وأضحى » : وهى ما يمكن أن يصطلح عليها ب (قرائن الزمن) : وهى القرائن التى تستقل كل واحدة منها بالدلالة على وقت بحسب مادتها · ف « ظل » مثلا : تفيد الاستمرار فى وقت معين وهو النهار (٥٠) · وكذا قرائن المعنى أو أفعال المقاربة ك « كاد » وأفعال الرجاء ك « عسى » وأفعال الشروع ك « أنشأ » ··· الخ ·

ونلاحظ على مواد « مازال » وأخواتها : « مافتىء ، ما برح ، ما انفك ، مادام » أن دلالة موادها على الزمن تسلب (التغاير) بين أشكال صيغها دلالته على الفروق الزمنية ، فاذا وضعنا بازاء الصيغتين اللتين يسوقهما ابن عقيل (٥١) صيغتين مضارعتين على النحو الآتى :

مازال زيد ضاحكا ــ لا يزال زيد ضاحكا

مازال عمرو أزرق العينين ــ لا يزال عمرو أزرق العينين

لم نجد فرقا ما فى الأقسام الزمنية ، وتعبر الصيغتان « مازال » و « لا يزال » عن امتداد الزمن من الماضى حتى الحاضر (٥٢) ·

لكن التغاير بين أشكال الصيغ يحافظ على دلالة الفروق الزمنية فيما عدا ذلك ويمكن أن يتضح ذلك فى الأنساق القرآنية التى تنتظم : « كاد » و « يكاد » حيث تدل الأولى على اقتراب وقوع الحدث فى الماضى ولم يقع ، أما الصيغة الثانية « يكاد » فتدل على اقتراب وقوع الحدث فى الحاضر (٥٣) ·

فكأن هناك انسجاما بين مدلول المادة ودلالة الصيغة فى التعبير عن الزمن · فالصيغة تعبر عن قسم من أقسام الزمن (الماضى ، الحاضر ، المستقبل) والمادة تعبر عن جهة فى هذا القسم ·

لكن الدكتور مصطفى جمال الدين نقل ملاحظة الأصوليين فى

---

(٥٠) ينظر شرح ابن عقيل : ١ : ٢٣٢ وسنعرض للمركبات الزمنية التى تنشأ من تركب هذه المواد مع الصيغ الفعلية فى الدراسة التطبيقية للزمن ·

(٥١) ينظر شرح ابن عقيل على الألفية : ١ : ٢٣٢ ·

(٥٢) سنرى فى الدراسة التطبيقية للزمن ما اذا كان تغاير أشكال الصيغ ما هنا يعبر عن جمود فى دلالتها الزمنية أم أن العربية تتوخى من وراء استعمال هذا التغاير ضربا آخر من الفروق الزمنية ·

(٥٣) سنعرض فى الدراسة التطبيقية ل « كاد » و « يكاد » بتفصيل واف ·

التنازع بين « المادة » و « الصيغة » فى اتجاهها الدلالى على الزمن . اذ عرضوا لصيغ الأفعال الماضية ذوات المواد الزمنية فرأوا أن « مثل هذا الزمن المنقضى المتصرم لا يتناسب مع وضع كثير من مواد الأفعال ، فيقع التناقض حتما بين مدلول الصيغة ومدلول المادة ، مع أنهما يكونان المعنى المركب للفعل كما هو المفروض . خذ مثلا لذلك الافعال الآتية : « حسن زيد » و « قبح عمرو » و « علم الله » و « بقى الأمر كما ترى » و « استمر الحال وظل ودام وما انفك .. ومازال ومابرح وأمثالها » . فاذا كانت صيغها دالة على الانقضاء والانصرام ، وموادها دالة على البقاء والاستمرار وقع التناقض بين مدلولى الكلمة الواحدة ، ولا مخرج منه الا بتجريد (الصيغة) من الانقضاء ، أو تجريد (المادة) من الاستمرار ، وكلاهما غير معقول ، بل المعقول هو أن الصيغة لا تدل على أكثر من تحقق الحدث » (٥٤) .

ويتضح من التحليل السابق أن الأصوليين صدروا فى هذه النقطة عن المنطق العقلى المجرد . ولقد أوضحنا أن دلالة الاستمرار « دلالة جهة » وليست « دلالة قسم » ، وأن هـــذه الجهة واقعة فى دلالة صيغتها فلا تناقض بينهما كما زعم . أما قول الدكتور مصطفى جمال الدين « ان الصيغة لا تدل على أكثر من تحقق الحدث » فمشعر بأمرين :

١ ـ أن تحقق الحدث يعنى الانصرام فالمضى ، كما افترض بعض الأصوليين .

٢ ـ أن تحقق الحدث يعنى « تمام الفعلية » أى تمام فعلية صيغة (فعل) فى أى زمان كانت ، وهو رأى المستشرق بول كراوس المتقدم . وهذه النقطة لم يوضحها الدكتور مصطفى جمال الدين ، ولكنها تحل معضلة التناقض بين « المادة » و « الصيغة » . فالحكم على صيغة « فعل » بأنها تدل على ماض مطلقا ليس دقيقا ونرى ذلك فى كثير من الاستعمالات . كقوله تعالى :

« الآن حصحص الحق » (٥٥) وقوله « اليوم أكملت لكم دينكم » فمادتا « حصحص » و « أكمل » لا تدلان على استمرار ، ومع ذلك وقعتا على ظرفى زمن دالين على الحاضر ، وها هنا لا يمكن أن نفترض وجود تنازع بين دلالة الصيغة ودلالة مادتها .

---

(٥٤) البحث النحوى عند الأصوليين : ١٧٠ .
(٥٥) ينظر : يوسف : ٥١ .

الدلالة العامة للتركيب والزمن :

يقدم الأستاذ حامد عبد القادر مثالا على ما يمكن أن نصطلح على تسميته : (الزمن التركيبى) ، وهو : « حينما تصل الى الدار فيكون أخوك قد خرج منها » (٥٦) حيث ينتج عن ذلك زمن يصطلح هو على تسميته : « الماضى الاستقبالى » (٥٧) ٠

ان الزمن فى التركيب السابق يتحصل من :

(أ) تضافر الصيغ :

تصل + يكون + قد خرج

(ب) وقوعها فى اطار تعليق زمنى ٠ أى ارتباط حدثين أو أكثر زمنيا :

تصل أنت الى الدار + يكون أخوك قد خرج منها بوساطة أداة التعليق الزمنية حينما وأداة الربط الفاء ٠ ويعنى ذلك أن زمن الماضى الاستقبالى استخلص من مجموع امكانات السياق أى لم يعد لشكل الصيغة فى المستوى الصرفى أو لحركتها فى المستوى النحوى ، دور فى تحديد الزمن اللغوى ٠ وتوضح المناظرة (٥٨) التى جرت بين الأستاذ عباس محمود العقاد وبعض الأساتذة الذين أفادوا من الاتجاهات الحديثة فى البحث اللغوى المعاصر ، مفهوم الزمن الذى يترشح عن الدلالات العامة فى السياق ٠

لقد خلط الأستاذ (العقاد) ، فيما يبدو ، بين (الزمن) بوصفه صيغا ومركبات زمنية و « الزمن » بوصفه احساسا ووقتا ٠ وقد تمثل هذا الخلط فى جعله « المفردات » الدالة على الزمن ، دالة على غنى العربية فى التعبير عن الزمن بمفهومه اللغوى ٠ فقد رأى أن العربية قد وجدت فيها كلمات « البكرة ، والضحى ، والغداة ، والظهيرة ، والقائلة » (٥٩) ٠٠٠ الخ ، وعد ذلك ميزة فى اللغة العربية بسبب من أن « هذا التقسيم يكاد ينحصر بالساعات على صعوبة التفرقة بين هذه الأوقات فى كثير من

---

(٥٦) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٦٦ ٠

(٥٧) المصدر السابق : ١٠ : ٦٦ ٠

(٥٨) وقد أعقبت هذه المناظرة محاضرة الأستاذ عباس محمود العقاد : « الزمن فى اللغة العربية التى ألقاها فى دار الجمعية الجغرافية المصرية عام ١٩٥٧ ٠ ونشرت فى مجلة مجمع اللغة العربية ، فى عددها الرابع عشر ٠

(٥٩) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٣٨ ٠

اللغات الأخرى الا بالجمل والتراكيب » (٦٠) ، وتلك ميزة حقا ، ولكن من ملحظ ثان : هو : ثروة مفردات لغة ، دون لغة أخرى ، في التعبير عن أدق الأجزاء في الشيء الواحد • بحيث يكون للمدلول ، الذي يمكن تجزئته ، الكثير من الدالات ، ولكن ذلك لا ينحصر في « الزمن » وحده ، بل يشمل موضوعات كثيرة : كأعضاء الحيوان ، والمرض ، والمشي ، والطعام ••• الخ • ويمكن ملاحظة ذلك ، بوضوح ، في (معاجم المعاني) (٦١) •

يكون المعجم الزمني جزءا من الزمن اللغوي اذا تحولت المفردات الزمنية في السياق عن مسارها المعجمي لتؤدي وظيفة ما اصطلح عليه بالظروف الزمنية ، والظروف الزمنية ، كما سنلاحظ ذلك في الفصل القادم جزء من نظام الزمن الدلالي ، اذ هو توقيت في الزمن اللغوي • أما الزمن اللغوي ذاته فما يعبر عنه الأستاذ العقاد نفسه بقوله : « ارتقاء اللغة يظهر من علامات الزمن في أفعالها » (٦٢) ، وعلى الرغم من أن موضوع (الارتقاء) يدرس خارج المناهج اللغوية بوصفه عملا فكريا في بنية لغوية ، أيا كانت تلك البنية ، فاننا نفيد من مقولة (العقاد) في ارتباط الزمن اللغوي ، في جوهره ، بالصيغ ، وليس بالاحساس أو المفردات كما عبر هو عنه •

ولقد حاول مناقشوه تأمين منطلق منهجي لموضوع الزمن اللغوي ، فقد أشار الأستاذان كمال بشر وتمام حسان الى أن الدراسة اللغوية الحديثة تتجه الى التفريق بين الزمنين المنطقي (الفلسفي) و (اللغوي) ودعوا الى وجوب التفرقة بينهما (٦٣) غير أنهما لم يتوسعا في تحديد سمات (الزمن اللغوي) •

أما الدكتور ابراهيم أنيس فقد عاد ليؤكد لا نمطية العربية زمنيا ، حيث تجاوز ، متابعا (العقاد) ربط الزمن بالصيغة في مجاليها الصرفي والنحوي • وهكذا نجده يسم نظام الزمن في اللغة العربية بأنه (نظام دلالي) •

يرى الدكتور ابراهيم أنيس : « أن الأساليب العربية تعبر عن

---

(٦٠) المصدر السابق : ١٤ : ٣٨ •

(٦١) كالمخصص لابن سيده • وفقه اللغة للثعالبي •
وانظر : المعجمات العربية : ٥١ •

(٦٢) مجلة اللغة العربية : مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٣٧ •

(٦٣) مجلة مجمع اللغة العربية : مقالة الزمن في اللغة العربية : ١٤ : ٤٥ ، ٤٧ •

كل الأزمنة بطريقة تتفق مع طبيعة العربية نفسها ، وذلك بورود : فعل بعد فعل ، لا بورود لفظ أو أداة تلحق بالفعل » (٦٤) ٠

وكما هو واضح فى النص السابق ، يبعد الدكتور أنيس (اللفظ) أى (الشكل) ،والأداة تلحق الفعل أى (المركب الزمنى) ، بوصفهما معبرين زمنيين ، ومن ثم يجعل الزمن منوطا بالأساليب حيث يقدم مثاله عن زمن الأساليب وهو تركيب : « عفا الله عما سلف » (٦٥) يقول : « عندنا فعلان كلاهما ماض ٠ زمن الأول بعد زمن الثانى ٠ لأن العفو جاء بعد الذى سلف ٠ ف « سلف » هذا عبر عنه ب « ما قبل الماضى » (٦٦) وهذا المثال يطابق مثال الماضى الاستقبالى الذى عرضنا له (٦٧) ٠ كما يعرض الدكتور أنيس للآية : « قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد » (٦٨) على الوجه نفسه : « حيث ان زمن « أتى » هو ما سمى ب « ما بعد الماضى » (٦٩) ٠ فهذه المصطلحات : « قبل الماضى » ٠ (بعد الماضى) ٠ (الماضى الاستقبالى) ، قد وصفت بها بنية العربية الزمنية وصفا مجازيا لأن هذه البنية لا تنطوى على « صيغ » هذه المصطلحات بل على ما يترشح عن الدلالات العامة فى السياق ، أو ما يصدر عن بعض التراكيب التى نشأت حدثيا من زمن ٠

وان منطلق هذه التسميات واحد وهو اقامة مطابقة بين العربيه ولغات أخرى : فالأستاذ حامد عبد القادر قارن ، فى هذا الجانب ، بين العربية والفارسية (٧٠) ٠

والدكتور ابراهيم أنيس حاول تثبيت ما سمى ب (التقسيم الزمنى السباعى) « قبل الماضى ــ الماضى ــ بعد الماضى ــ الحاضر ــ قبل المستقبل ــ المستقبل ــ بعد المستقبل » ٠ على غرار ما هو موجود فى كثير من فروع الفصيلة الهندية ــ الأوربية (٧١) ٠

ويبذل الدارسون المعاصرون فى حقول اللغات المختلفة جهدا شاقا فى تلفيق Invention مصطلحات زمنية تستند الى ما يترشح

---

(٦٤) المصدر السابق : ١٤ : ٥١ ٠

(٦٥) المائدة / ٩٥ ٠

(٦٦) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٥١ ٠

(٦٧) انظر مضمون الهامش (١) من هذا المبحث ٠

(٦٨) النحل : ٢٦ ٠

(٦٩) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٥١ وانظر من أسرار اللغة : ١٦٧ ٠

(٧٠) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٠ : ٦٦ ٠

(٧١) ينظر من أسرار اللغة : ١٦٧ ٠

عن تركيبات نحوية ملفقة أيضا من دلالات زمنية متنوعة ، كما فعل الدكتور عبد الرسول الخفاجي في مؤلفه :

Description and contrastive Analysis of Tenes and Time in English and Arabic. (٧٢) ٠

كما أن بعض الدراسات وضعت ، من هذا المنطلق الخاطىء ، الصيغ الزمنية العربية في ظلال الصيغ الزمنية الانجليزية : حيث نصت على أنه « يخضع زمن الفعل في العربية لتقسيمات ثلاثة : مضارع ، ماض ، أمر » (٧٣) وهذه المصطلحات ، كما بينا في هذا المبحث وكما كنا بينا في الفصل الثاني من هذه الرسالة ، مصطلحات تصريفية ودلالية ، وليست مصطلحات زمنية ٠

ان ربط زمن اللغة العربية بالدلالات المحصلة من السياق يعد وجها من وجوه نفي الزمن في العربية ، أو الحكم على عدم وجود (نمط زمني) في العربية ، ومن ثم عدم وجود صور لهذا النمط ـ صيغ ، مركبات ـ أو على وجه أدق أن لهذه الصيغ وتلك المركبات أثرا ضعيفا في توجيه حركة الزمن في العربية ٠

الدلالات الزمنية في السياق :

عرضنا في المبحث السابق لدلالة التراكيب العامة على الزمن ٠ أما في هذا المبحث فنعرض للدلالات الزمنية في السياق : ونقصد بها : كل ما عين زمنا لغويا أو كل ما كان مصدرا لتعيين الزمن اللغوي في السياق تجاوزا لمدلول أشكال الصيغ عليه (فعل ، يفعل) والمركبات الزمنية « سوف أفعل ، كان فعل » والتركيبات الجملية « عفا الله عما سلف » ويعني ذلك أننا سنتناول دالات زمنية لفظية ، ودالات زمنية معنوية أي أمثلة مما يعرف بـ « الدلالة الخارجية » أو الظرف المحيط بالسياق اللغوي ٠

فمن الدلالات اللفظية والمعنوية : « ما في الخبر في حديث عبد الله بن عتيك حين دخل على أبي رافع اليهودي ، حصنه ٠ قال : فانتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم لا أدرى أني هو من البيت ٠ فقلت : أبا رافع ، فقال : من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه بالسيف وأنا دهش » (٧٤) ٠

---

(٧٢) مخطوطة باللغة الانكليزية ٠

(٧٣) بنية الكلمة بين العربية والانجليزية : ١٣ ٠

(٧٤) دلائل الاعجاز : ١٤١ ٠

فمما نلاحظه في هذا النص أن الفعل المضارع « أضرب » دل بالمعنى العام لسياقه على زمن ماض ، كما دل عليه أيضا بدالات لفظية ٠ كوجود صيغة الفعل الماضى « أهويت » و « عطفه بانفاء على ماض لأنه فى المعنى ماض » (٧٥) « لاشتراط اتحاد الزمان بالفعلين المتعاطفين » (٧٦) ٠

وهكذا « لا يشك فى أن المعنى فى الخبر « فأهويت فضربت » (٧٧)٠ ومن أمثلة الدالات الزمنية اللفظية فى السياق التى ينسب فيها (الزمن) الى الصيغ تجاوزا ما يصطلح عليه الاستاذ حامد عبد القادر ب « اسلوب الاستفهام » ويشمل : السؤال والاستفتاء والاستنباء » (٧٨) ويمثل ذلك بقوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس » (٧٩) وقوله: « ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم » (٨٠) وقوله ـ سبحانه ـ : « ويستنبئونك أحق هو ؟ : اى وربى » (٨١) ٠

ويرى أن المضـــارع فى أسلوب الاســتفهام هذا يدل على « وقوع الحدث فى الزمن الماضى » (٨٢) ٠

ونحن نختلف معه فيما لمح من اشـارة الى الماضى فى السياقات القرآنية السابقة ، لأن النص على أن هناك اشارة زمنية صادرة عن الصيغ المضارعية لا يحقق المعنى المتوخى من البنى اللغوية تلك ٠ ويمكن أن نفترض ما يأتى لنحقق وقوع أحداث : السؤال ، الاستفتاء ، الاستنباء ، فى الماضى :

وقد سألوك عن الأهلة ، واستفتوك فى النساء ٠٠٠ الخ فهل هذه هى دلالة صيغة (يفعل) فى تلك الأنساق التركيبية ؟ المكونة ـ كما يلاحظ الأستاذ حامد عبد القادر ـ فى الأمثلة الآتية :

السؤال (الدال على الاستفهام) + الأمر المستفهم عنه + الجواب

---

(٧٥) المصدر السابق : ١٤١ ٠
(٧٦) همع الهوامع : ١ : ٨ ٠
(٧٧) دلائل الاعجاز : ١٤١ ٠
(٧٨) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة : معانى المضارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥١ ٠
(٧٩) البقرة : ١٨٩ ٠
(٨٠) النساء : ١٢٧ ٠
(٨١) يونس : ٥٣ ٠
(٨٢) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى المضـــارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥١ ٠

عن السؤال مسبوقا بفعل الأمر « قل » (٨٣) أى (يفعلون / افعل) ٠

يجيب الأستاذ حامد عبد القادر ب : « أن كل أسلوب من هذه الأساليب بمثابة أسلوب شرط ٠ فكأنه تعالى ــ وهو أعلم ــ قال : « ان يسألوك عن الأهلة فقل » (٨٤) ٠

وتلك هى الدلالة الحقيقية لصيغة « يفعل » التى فرغت من « الزمن » ، وجىء بها دالة على حكم عام ، كما هو شأن الصيغ جميعها فى السياق الشرطى الذى يتعين الزمن فيه على هدى دلالات اخرى ٠

فكأن شكل التركيب ، فى تلك السياقات ، (وهو فيها شكل شرطى) قرينة لفظية عينت قيمة الزمن اللغوية ، بما يمكن أن نرمز لها عدديا هنا ب : (صفر) ٠

ومن أمثلة الدالات الزمنية اللفظية والمعنوية ما يتمثل بظرف السياق + الدلالة الفعلية ل (شكل صيغة) ٠

ومنه قوله تعالى :

« واذ يرفع ابراهيم القواعد » (٨٥) فها هنا تجردت صيغة المضارع « يرفع » من دلالتها على الزمن ٠

وصار مصدر الزمن فى عمق التركيب السابق دلالة صيغة المضارع الفعلية (٨٦) التى تعبر فى احدى مناحيها عن استحضار الصورة أو ما اصطلح عليه ب « حكاية الحال » (٨٧) مضافا اليها ما يكتنفها من سياق تاريخى للنص ، وليس كما زعم من أن مصدره (اذ) التى فى سطح التركيب (٨٨) ٠

يقول الزمخشرى : « يرفع » حكاية حال ماضية ٠٠٠ وروى أنه كان مؤسسا قبل ابراهيم ، فبنى على الأساس ٠٠٠ » (٨٩) ٠

ومن هنا وقع بعض المعاصرين فى وهم اسناد الزمن الى « الصيغ »

---

(٨٣) المصدر السابق : ١٣٠ : ١٥٢ ٠

(٨٤) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى المضارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥٢ ٠

(٨٥) البقرة : ١٢٧ ٠

(٨٦) ينظر فى مفهوم الفعلية الفصلان الأول والثانى من هذه الرسالة ٠

(٨٧) ينظر الفصل الثانى (امكانات الصيغة) ففيه تفصيل هذا الموضوع ٠

(٨٨) ينظر الفصل القادم (الظرف) الذى يتوفر على مبحث مستقل ب « اذ » ٠

(٨٩) الكشاف ٠ ١ : ٣١١ ٠

فى مثل هذه التراكيب : يقول الأستاذ عباس حسن « ينصرف زمنه للمضى اذا سبقته اذ » (٩٠) ويقول الأستاذ حامد عبد القادر « وأما دلالة المضارع فى القرآن الكريم على وقوع الحدث فى الزمان الماضى فله أمثلة كثيرة وأساليب مختلفة أشهرهـا أسلوبان هما أسلوب الاستفهام ، وأسلوب اذ ، ومن ذلك قوله تعالى : « واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى » (٩١) وقوله : « واذ تخرج الموتى باذنى » (٩٢) ، (٩٣) ٠

ان الزمن فى سياق « اذ » ليس مقصودا اليه بذات الصيغة بل الصيغة تعكس ظلالها الفعلية حسب والزمن يصدر عن ظرف السياق ٠ ويكون من قبيل تحصيل الحاصل ، أو : الالزام ، على لغة المناطقة أن تقع صيغة الفعل فى مجرى زمن السياق نفسه ٠

وبعبارة أخرى ــ وها هنا ملحظ دقيق ــ أن المحدثين رأوا أن شكل المضارع لم يناقض الزمن الماضى ، ليس هذا حسب بل ذهبوا الى أن هذا الشكل « يفعل » دل « على وقوع الحدث فى الزمن الماضى » (٩٤) وفى هذا نظر كما يقول القدماء ٠ فهناك فرق بين أن تقع الصيغة الفعلية فى سياق زمن أو تعبر هى عن زمن ٠

ان صيغة « يفعل » ها هنا لم تعبر عن (زمنية) ٠ بل هى ها هنا شكل المضارع لم يناقض الزمن الماضى ، ليس هذا حسب بل ذهبوا الى عبد القادر نفسه ، وهو يعقب على وقوع صيغ المضارع دالة على الماضى بعد « اذ » فيقول : « فسياق الحديث ، والأحداث التاريخية تدل على أن كل فعل مسبوق بـ « اذ » من الأمثلة السابقة يدل على وقوع حدث فى الماضى » (٩٥) فالفعل ، ها هنا ، لا يدل على وقوع حدثه فى الماضى ، بل لا يدل على وقوع حدثه فى زمن ٠ ان الدال على زمن هو السياق التاريخى ، والا فقدت ظاهرة تغاير الصيغ بعد « اذ » فى القرآن مسوغ ورودها ، وصار من العبث البحث فى ماهية الاختلاف الزمنى فيما يأتى من قول كريم :

---

(٩٠) النحو الوافى : ١ : ٦١ ٠

(٩١) المائدة : ١١٠ ٠

(٩٢) المائدة : ١١٠ ٠

(٩٣) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى المضـــارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥١ ، ١٥٢ ٠

(٩٤) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى المضارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥١٠

(٩٥) مجلة مجمع اللغة العربيـــة / مقالة معانى المضـــارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥٣ ٠

« اذ قـــال (٩٦) ٠٠ » « اذ تقـول (٩٧) ٠٠ »

« واذ أوحيت (٩٨) ٠٠ » « اذ يوحـى (٩٩) ٠٠ »

وهذا هو ما ينتهى اليه الأستاذ حامد عبد القادر من أن : « دلالة الفعل (المضارع) على هذا الزمن (الماضى) لا تستفاد من مادته ولا من صورته » (١٠٠) وكأن ذلك نقض لقوله : « دلالة المضارع على وقوع الحدث فى الماضى » (١٠١) ٠

ومن أمثلة الدالات المعنوية فى الســـياق لتحديد الزمن ما نقله صاحب (الهمع) عن ابن مالك وهو يعرض لقوله تعالى : « واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها » (١٠٢) : « أن « اذا » وقعت للماضى ٠ فان الآية نزلت بعد انفضاضهم » (١٠٣) ٠

ويعنى ذلك أن الزمن لم تعينه أشكال الصيغ ، ولا الأدوات ٠ ولا نوع الأسلوب اللغوى ٠ بل عينه السياق التاريخى ٠

ومن ضروب دلالة السياق التاريخى بكونه مصـــدرا ، لا يعدله مصدر ، فى تحديد الزمن ٠ قول صاحب « الهمع » : « ذكر بعضهم فى « سيقول السفهاء ٠٠٠ الآية » (١٠٤) مدعيا أن ذلك انما نزل بعد قولهم : « ماولاهم » (١٠٥) فجاءت « السين » اعـــلاما بالاستمرار لا بالاستقبال » (١٠٦) فكأن (السياق التاريخى) هو الذى يحدد القسم الزمنى الذى تشير اليه القرينة : « السين » بعد أن يطرح الصيغ بوصفها دالات زمن ، وبعبارة أخرى يقدم لنا أمثلة مما اصطلحنا عليه بالزمن الدلالى دون الزمنين النحوى والصرفى ٠

---

(٩٦) المائدة : ١١٢ ٠
(٩٧) آل عمران : ١٢٤ ٠
(٩٨) المائدة : ١١١ ٠
(٩٩) الأنفال : ١٢ ٠
(١٠٠) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى المضـــارع فى القرآن الكريم ١٣ : ١٥٢ ٠
(١٠١) المصدر السابق : ١٣ : ١٥١ ٠
(١٠٢) الجمعة : ١١ ٠
(١٠٣) همع الهوامع : ١ : ٧٢ ٠
(١٠٤) البقرة : ١٤٢ ٠
(١٠٥) البقرة : ١٤٢ ٠
(١٠٦) همع الهوامع : ١ : ٧٢ ٠

وفى ضـــوء السياق التاريخى للنص يرد الرضى على من قال بأن معنى قوله تعالى : « ان كنت قلته ·· » (١٠٧) هو : « ان أكن قلته ·· »: « بأنه ظاهر الفساد لأن هذه الحكاية انما تجرى يوم القيامة » (١٠٨) ·

ويقدم الدكتور ابراهيم أنيس نص حوار بين رجلين نشآ فى أفصح البيئات العربية · وسنلاحظ فى هـــذا النص كيف توجه « الظروف التاريخية » للسياق حركة « الصيغ » نحو الزمن · النص : « لما اعتزل عقيل بن أبى طالب أخاه عليا الى معاوية · قال معاوية : « أنا خير لك من أخيك على » فقال عقيل : (صدقت · ان أخى آثر دينه على دنياه وأنت آثرت دنياك على دينك) · يقول الدكتور أنيس معلقا : (فاذا بحثنا على ضوء (١٠٩) هذا الظرف اللغوى عن معنى قول عقيل أدركنا أن عقيلا عبر عن عادة « على » وعادة « معاوية » ·

ان ايثـــار على الدين أمر قـد ألفه وأصـبح له بمثابة الغريزة والطبيعة ، ونرى لهذا أن صيغة الفعل « آثر » التى قيل انها تعبر عن حدث فى الزمن الماضى تفيد هنا التعبير عن صفة عادة لا تتعلق بزمن معين » (١١٠) ·

ويقارن الدكتور ابراهيم أنيس النص السابق بنص آخر ، وهو ما روى من حوار بين معاوية وابن عباس · قال ابن عباس : « نصر أبى أباك فى الجاهلية وحقن دمه فى الاسلام » يقول الدكتور ابراهيم أنيس : « هنا أشار الى واقعتين معينتين حدثتا فى الماضى » ثم يستخلص من مقارنة النصين السابقين النتيجة الآتية : « نفس الصيغة التى عبرت فى الظرف اللغوى الأول عن العادة ، عبرت هنا عن حادثة مقترنة بزمن معين فى الماضى » (١١١) ·

ويعنى هذا أن الصيغة تجاوزت الجدول الزمنى الصرفى وجداول التوزيع النحوى الى الملابسات الخارجية ، وهو ما رمزنا له بالنثام «ز» ب « د » ·

لكن ما نختلف فيه مع تحليل الدكتور ابراهيم أنيس هو أن الظرف اللغوى للنصين اللذين أوردهما كان مصدر تحديد الزمن وليس الصيغة ·

---

(١٠٧) المائدة : ١١٦ ·
(١٠٨) شرح الكافية : ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ ·
(١٠٩) الاصح ان يقول : فى ضوء ·
(١١٠) من اسرار اللغة : ١٧٢ ·
(١١١) المصدر السابق : ١٧٣ ·

فالصيغة قد استعملت فى ضـــوء قانون تبـــادل المواقع بين الصيغ (١١٢) ٠ والا كان القول « ان أخى يؤثر دينه على دنياه وأنت تؤثر دنياك ٠٠٠ الخ » ٠

ومن ضروب التنازع بين ما سميناه « الزمن الدلالى » و « الزمن النحوى » ما أورده سيبويه من : « أنك لو قلت : « هلا زيدا ضربت » « ولولا زيدا ضربت » ، جاز ، وانما جاز ذلك لأن فيه معنى التحضيض والأمر » (١١٣) فكأن سيبويه يشـــير الى أن هناك حثا على حـدث لم يقع وكأن :

ضربت = ستضرب

والحض هنا مصدر تحديد الزمن ٠

لكن السكاكى جعل (الصيغة) النحوية مصدر تحديد الزمن فى هذا السياق ٠ قال : « ليتولد منه فى الماضى « التنديم » ٠ وفى المضارع (التحضيض) نحو : « هلا أكرمت زيدا » و « هلا تقوم » (١١٤) أى :

هلا أكرمت زيـــدا	الزمن ماض بشكل الصيغة « فعل » والمعنى (تنديم) لأن الندم موضوع فى الماضى ٠ (فعل)
أو : شكل الصيغــة	ـــــ ماض ـــــ تنديم ٠
هلا تقـــوم	الزمن حاضر بشكل الصيغة «يفعل» والمعنى « تحضيض » ٠ لأن التحضيض موضوع فى الحاضر ٠

أو : شكل الصيغة (يفعل) ـــــ حاضر ـــــ تحضيض ٠

ومن أمثلة الاحتكام الى المقام الدينى لتحديد زمن السياق قوله تعالى : « علم الله » (١١٥) وبه نتبين وجه الخطأ فى رأى بعض الأصوليين : أن صيغة « علم » ها هنا دالة على الانقضاء والانصرام ٠ ومادتها دالة على البقاء والاستمرار (١١٦) ٠

---

(١١٢) ينظر : الفصل الثانى من هذه الرسالة : « امكانات الصيغة » ٠
(١١٣) الكتاب : ١ : ٩٨ ٠
(١١٤) التلخيص : ١٥٢ ٠
(١١٥) البقرة : ١٨٧ ٠
(١١٦) ينظر البحث النحوى عند الأصوليين : ١٧٠ ٠

والصحيح أنه ليس في مادة « علم » دلالة على الاستمرار ، بل الاستمرار تحصل من اسناد الفعل الى الله تعالى ، فصار علما مطلقا ٠

ومن أمثلته أيضا ما أسنده الدكتور ابراهيم السامرائى الى حدثه الماضى من أنه كان قد أنجز واستمر على هذه الحال ، أى منجزا حتى زمن التكلم (١١٧) ٠ نحو قوله تعالى : « اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم » (١١٨) ٠ والصحيح أن دلالة حدث الفعـل على الاستمرار لأنه مسند الى الله تعالى ٠

ومن ضروبه أيضا كان فى القرآن الكريم اذا اسندت الى الله تعالى ٠ كقوله : « انه كان عليما قديرا » (١١٩) لأنه « قد يراد من الزمن فى الفعل « كان » الدوام والاستمرار الذى يعم الأزمنة الثلاثة بشرط وجود قرينة تدل على هذا الشمول نحو : « وكان الله غفورا رحيما » (١٢٠) (١٢١) والقرينة ما هنا المقام الدينى ٠

ومن أمثلة هذا الوجه ما أسنده النحاة الى الأداتين « لم » و « لما » أداتى النفى ، من فروق فى الدلالات ٠ فهم قد نصوا على أن « لما » : « تختص بوجوب اتصال نفيها بحال النطق » (١٢٢) ٠

وكان عليهم أن ينصوا على انقطاع منفى « لم » عن الحال ، غير أنهم حين عرضوا لأمثلة من قوله عز وجل مثل : « لم يلد ولم يولد » لم يجدوا بدا من اسناد دلالة اتصال نفيها أيضا بحال النطق ، وجعلوا ذلك على الجواز فيها والوجوب فى « لما » (١٢٣) ، والحق أن اسناد هذه الدلالات مصدره المقام الدينى الذى يكتنف السياق اللغوى ٠

---

(١١٧) ينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٨ ٠
(١١٨) البقرة : ٤٠ ٠
(١١٩) فاطر : ٤٤ ٠
(١٢٠) النساء : ٩٦ ٠
(١٢١) النحو الوافى : ١ : ٥٥ ٠
(١٢٢) حاشية الخضرى : ٢ : ١٢٠ ٠
(١٢٣) شرح الأشمونى : ٣ : ٥٧٥ ، ٥٧٦ ٠

الظرف الزمنى

تقدمــة :

يقـــدم (المعجم) سلسلة من الأسماء الدالة على الزمن كالزمن والدهر واليوم والأمس والغد والأسبوع ··· الخ ·

وتدخل هـذه الكلمات فى الجدول الصرفى فى قسم الاسـم شأنها فى ذلك شأن جميع الأسماء التى « تنفرد بالدلالة على مسـمى » (١) كأسماء « الأعلام والأجسام والأعراض » (٢) ·

كما يقدم (الصرف) بعضا من أقسام الكلم التى تنطوى على ملحظ زمنى ، كبعض حروف الجر ، وأدوات الكناية ·

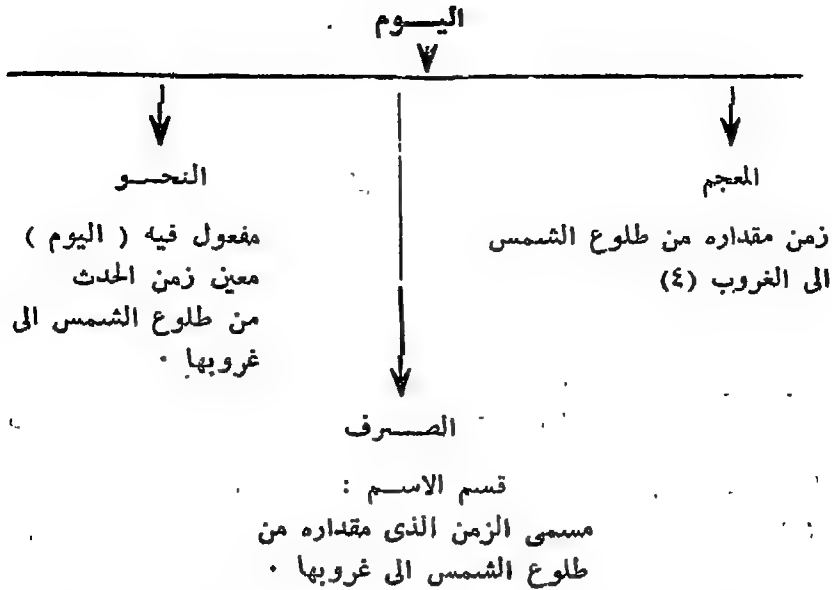
ويمتلك هذا النوع من الأسماء وحروف الجر والأدوات قابلية التحول فى النظام النحوى ، حيث تؤدى دورا وظيفيا أعنى الدور الزمنى كما سنفصل فى ذلك ويعبر سيبويه عن هذا التحول بقوله : « هذا بـاب وقوع الأسماء ظروفا » (٣) ويمكن ، وفق هذا ، أن ننظر الى اسم دال على زمن كـ « اليوم » مثلا من زاوية معجمية وأخرى صرفية وثالثة نحوية على النحو الآتى :

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها : ٩٦ ·

(٢) المصدر السابق : ٩٣ ·

(٣) الكتاب : ١ : ٢١٦ ·



من الناحية الوظيفية يكون الظرف قسيما للاسم والفعل ٠ فالأسماء الدالة على الزمن والافعال والظروف تشترك جميعها فى الاشــارة الى زمن ، غير أنها تختلف فى مفهومات هذه الدلالة ، فهى فى الاسم دلالــة مطابقة وفى الفعل دلالة تضمن وفى الظروف دلالة وظيفة ٠

يعبر الظـــرف عن علاقات زمنية نحوية ، ويدل على زمن معجمى بذاته ، فهو يطابق الاسم الدال على الزمن من جهة الدلالة المعجمية ، ويفترق عنــه من جهة الوظيفــة ٠ ومن هنا نرى بعض الاضطراب فى الأحكام التى أطلقها الدكتور تمام حسان حول « الظرف » اذ يقول : « وسنرى أن أسماء الزمان (٥) والمكان ٠٠ كاليوم والساعة ٠٠ قد تطرح معانيها المعجمية ، وتتخذ لنفسها معنى وظيفيا هو معنى الظرف ، فتعــد بالنقل بين الظروف معنى ٠٠٠ » (٦) فما نراه أن الظرف لا يطرح معناه المعجمى بل يحتفظ به فى أثناء تأدية دوره الوظيفى ٠

---

(٤) لسان العرب : ٢ : ٦٤٩ ٠

(٥) ان استعمال مصطلح « اسماء الزمان » للدلالة على أسماء تشير الى زمن بعينه كاليوم والساعة ٠٠ يتداخل مع مصطلح صيغ أسماء الزمان من المشتقات التى تبدأ بميم أو على عبارة سيبويه : « المفعل » اذا كان حينا (الكتاب ٢٣٤/١) ٠ ولهذا ارتأينا الابقاء على مصطلح (اسم الزمان) مشيرا الى صيغة مفعل أو مفعل للزمان ، أما ما يسمى زمنا بعينه فننص عليه بدلالته ٠

(٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ٨٩ ٠

وقد عرض النحاة للمفهومات الزمنية التى تشير اليها الأسماء الدالة على الزمن والأفعال والظروف ، وبحثوا فى التفريق بينها • فقد فرقوا بين الأسماء الدالة على الزمن والأفعال تفريق مطابقة وتضمن (٧) يقول ابن عصفور : « فان وجد من الأسماء ما يدل على زمان كأمس وغد فبذاته لا ببنيته » (٨) وفرقوا بين الظرف والاسم الدال على الزمن تفريقا وظيفيا ، اذ للظروف وظيفة واحدة هى الوظيفة الزمنية ، أما الاسم فله سلسلة الوظائف المعروفة • يقول ابن عقيل : « كل واحد منهما ـ ظرفى الزمان والمكان المتصرفين ـ يستعمل ظرفا نحو « سرت يوما » ، ويستعمل مبتدأ نحو : « يوم الجمعة يوم مبارك » ، وفاعلا : « جاء يوم الجمعة » (٩)

المفهوم الزمنى للظرف :

تنتهى الملاحظة فى مباحث النحاة العرب الى نقطتين :

الأولى : أن النحاة عرضوا للظرف بوصفه ركنا نحويا ، ولم يعنوا بالتفريق بين كونه زمنيا تارة ومكانيا تارة أخرى •

الثانية : أنهم جعلوا وظيفته النحوية أو دلالته الاصطلاحية نفس دلالته المعجمية • على الرغم من المحاولات الشكلية للتفريق بين الدلالتين • يقول الأشمونى : « الظرف لغة : الوعاء ، واصطلاحا : وقت أو مكان ضمنا معنى «فى» •• لأنهما مذكوران للواقع فيهما(١٠) •• « والواقع فيهما هو نفس الحدث » (١١) • ولما كانت (فى) الوعاء (١٢) كما يقول سيبويه ، فان الظرف بنوعيه ، وعاء لنفس الحدث كما يقول الاشمونى • فكأن الظرف الزمنى قيد زمنى على علاقة الاسناد ، وكان الظرف المكانى قيد مكانى على علاقة الاسناد ، أو أنهما يعبران عن « جهة خاصة فى فهم الحدث الذى يشير اليه الفعل أو الصفة » (١٣) •

أن هذه النتيجة ـ المطابقة بين الظرفين الزمنى والمكانى ، والصاق دلالة واحدة بهما هى دلالة الوعائية ـ تغفل الفرق الجوهرى بين الزمنية اللغوية والمكانية اللغوية فى الظرف •

---

(٧) ينظر المصدر السابق : ١٢٢ •
(٨) المقرب : ١ : ٤٥ •
(٩) شرح ابن عقيل على الألفية : ١ : ٤٩٧ •
(١٠) شرح الأشمونى على الألفية : ١ : ٢١٧ •
(١١) شرح الأشمونى على الألفية : ١ : ٢١٩ •
(١٢) ينظر الكتاب : ٤ : ٢٢٦ •
(١٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٩٥ •

لقد ظهر للنحاة أن الظرف الزمنى ليس وعاء زمنيا للحدث ، بل هو جزء من معنى الصيغة الزمنى . وأن الظرف المكانى (وعاء) تقع فيه الأحداث والجنث ، وكان عليهم . تبعا لذلك ، أن يفرقوا بين الظرفين فيدرسوا وظيفة كل واحد منهما بمعزل عن وظيفة الآخر ٠

غير أن الملاحظ ان النحاة اتجهوا الى منحى آخر وهـو النص على فرق فى الكم الوظيفى لا فى نوعه ٠ فأشاروا الى أن ظرف الزمان ، دون ظرف المكان لا يكون خبرا عن جنة كما سنفصل فى ذلك ٠ ولم يستخرجوا القيمة المحصلة من كشف العلاقة بين زمن الظرف وزمن الحدث ٠ وليس من هدفنا ، هنا ، التوسع فى بحث خصائص التركيب النحوى للعربية ولكننا نريد أن نشـير مرة أخرى (١٤) الى العلاقة بين الدلالة والزمن بوصفه فصيلة نحوية ٠ تنحو الدراسات اللغوية المعاصرة منحى يحاول ، فى جوهره ، أن يكشف الصلة بين « المعنى » و « النحو » أو بين « البناء الداخلى للمفردات وعلاقة المفردات بعضها ببعض » (١٥) وقد استنبطت القاعدة اللغوية الآتية :

- تؤثر البنية الداخلية للكلمة فى علاقات هذه الكلمة بالكلمات الأخرى فى الجملة (١٦) ٠ وذلك ضرب من ضروب التأثير الدلالى فى التأليف النحوى من هنا ينبغى أن نلتفت الى نقطة نراها جوهرية ٠ وهذه النقطة تتعلق بالفعل ٠

ان عددا من الدارسين العرب المعاصرين وجه نقدا شديدا الى المنهج النحوى القديم باعتباره منهجا يخضع المنطق اللغوى الى المنطق العقلى ٠ وربما كان ذلك بتأثير تطوير مناهج البحث اللغوى المعاصر ٠ ولكن هذا التطور لا يعنى بالضرورة صحة الحاضر وخطأ القديم ٠ وسنورد مثالا يهمنا فى هذا الجانب ٠

فاللغويون العرب المعاصرون يرون أن احدى النتـائج التطبيقية لنظرية (العمل) النحوى ما سمى بـ « نفوذ الفعل » ٠ فبتأثير أحـد عناصر هذه النظرية « أوقع النحـاة المعمولات فى نفوذ الفعل » (١٧) مطرحين « أى النحـاة » ملاحظة الوظـائف اللغوية التى تؤديهـا هـذه المعمولات ٠

---

(١٤) انظر مبحث الدلالة المعجمية والزمن من الفصل السابق المعقود على دراسة « الزمن الدلالى » ٠

(١٥) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٢٧٢ ٠

(١٦) ينظر أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٢٧٢ ٠

(١٧) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ٩٢ ٠

ان تعبير (نفوذ الفعل) يكشف ـ اذا لم نسيء فهمه ـ عن مطابقة فريدة مع القاعدة اللغوية التى أشرنا اليها آنفا : أى يكشف عن علاقة معنى المفردة الفعلية المعجمى ودلالة بنائها الصرفى فى تكوين ، المعمولات، أو تكوين جزء منها على وجه أدق فى التركيب النحوى ،وتحديد وظائفها. فكأن هذه (المعمولات) على عبارة التقييد « قيود على الاسناد » (١٨) باشارة صرفية ، وليس باشارة نحوية .

وسنعرض للأمثلة الآتية :

★ يشير الفعل « جلس » بالتضمن الى فاعل . فكأن الفاعل كامن فى بنيته الداخلية . وعبارة سيبويه « الفعل لا بد له من الاسم والا لم يكن كلاما » (١٩) وعبارة الجرجانى : « انك لا يكون لك قصد الى فعل من غير أن تريد اسناده الى شيء مظهر أو مقدر أو مضمر وكان لفظك اذا أنت لم ترد ذلك وصوت تصوته سواء » (٢٠) .

★ فاذا انتقلنا الى الفعل « قاتل » فان المستمع يتوقع فى الحال أن يتبع ذلك الفعل بـ (فاعل) و (مفعول) . فاذا ما طرأ على الفعل « قاتل » تغيير داخلى (صرفى) بأن زدنا « التاء » المفتوحة فى أوله ، فأصبح: « تقاتل » واستعملنا هذا الفعل فى بداية احدى الجمل ، فان تركيب الجملة ـ وهو ظاهرة نحوية ـ يتغير تبعا لذلك فلا نعود نتوقع مفعولا به مثلا ، بل نتوقع « فاعلا » فقط ، كما نتوقع الفاعل يشير الى المثنى أو المجموع » (٢١) . وهكذا فان مفهومات كالاسناد والتعدى واللزوم تصدر عن الفعل بوصفه مفردا ، ولكن كل مفهوم يجد تطبيقا له فى الجملة . فاذا نقلنا هذه النتيجة الى الظرف الزمنى والفعل ، مع النظر الى كون الأول وعاء للثانى أو الى كونه قيدا زمنيا على حدث الفعل انتهينا الى أن ذلك ليس صحيحا فالفعل كما يحمل بذاته قيم التعدى واللزوم والاشارة الى فاعل ، يحمل قيمة الزمن ، اذا أريد النص به على زمن . وهذا هو معنى الاشارة الصرفية لتقييد علاقة الاسناد . ولكن الفعل لا يحمل أية قيمة مكانية . والذى يقيد حدث الفعل بمكان هو « الظرف المكانى » فتقييد علاقة الاسناد بالمكان أو بظرف المكان يعد اشارة نحوية . أما

(١٨) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٩٥ .

(١٩) الكتاب : ١ : ٢١ .

(٢٠) دلائل الاعجاز : ١٣٣ .

(٢١) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .
والأصح أن يقول : « يشير الى اثنين أو أكثر » .

الذى يقيد حدث الفعل بزمن فهو صورته • وأما وظيفة الظرف الزمنى فقياس مادة هذا القيد وهو الزمن ، وهذا هو الفرق الجوهرى بين مفهومى « ظرف الزمن » و « ظرف المكان » أى أن الفعل اللغوى يصدر اشارات زمنية ولا يصدر اشارات مكانية • وكان العالم اللغوى سيبويه قد وعى هذه الحقيقة اللغوية وصرح بها غير أنها لم تجد فى تطبيقاته صدى لها • يقول : « ففيه (أى الفعل) بيان متى وقع والأماكن لم يبن لها فعل »(٢٢)

فاذا قررنا أن « الظرف » مؤلف نحوى ملحق بزمن الصيغة الفعلية « أو احدى ملحقاتها الحدثية » ووظيفته قياس ذلك الزمن انتهينا الى أن زمن الصيغة يستقل عن الظرف أما الظرف فلا يستقل عن زمن الصيغة •

ومعنى ذلك أن وجود الظرف الزمنى يشير الى وجود الحدث الزمنى • أما وجود الحدث (الزمنى وغير الزمنى) (٢٣) فلا يشير الى وجود الظرف • ولهذا لا يمكن أن يوجد ظرف من غير أن يوجد حدث زمنى • وجزء من هذا المعنى يشير اليه قول سيبويه : « وجميع ظروف الزمان لا تكون ظروفا للجثث » (٢٤) فلا يقال : « زيد اليوم » لعدم الفائدة » (٢٥) •

غير أن تنافر (الظرف) و (اسم الجثة) ليس مرده لان اسم الجثة لا ينطوى على حدث بل لانه لا ينطوى على زمن لأنه اذا وجدت صيغة حدثية غير زمنية تنافر الظرف معها أيضا • ومعنى ذلك أن الصيغ الفعلية التى يراد لأحداثها أن تتوقف عن اصدار الاشارات الزمنية لا تتطلب آلة قياس تقيس ما توقفت هى عن انتاجه • فعدم وجود زمن فى حدث الصيغة يلزم عدم قياسه • ومن أمثلة ذلك : قوله تعالى :

« وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين » (٢٦) •

وتقول : « يضفر البدو شعورهم » (٢٧) و « الانسان يدبر والله يقدر » (٢٨) • فأحداث الأفعال (يكن ، يغلبوا ، يضفر ، يدبر ، يقدر)

---

(٢٢) الكتاب : ١ : ٣٦ •

(٢٣) سنعرض للحدث الزمنى فى الدراسة التطبيقية للزمن اللغوى • اما الحدث غير الزمنى تعرضنا له فى فصل « امكانات الصيغة » •

(٢٤) الكتاب : ١ : ١٣٦ •

(٢٥) شرح الأشمونى : ١ : ٩٥ •

(٢٦) الأنفال : ٦٦ •

(٢٧) فى النحو العربى ، نقد وتوجيه : ١٥٧ •

(٢٨) المصدر السابق : ١٥٧ •

في السياقات السابقة ، لا تتطلب ظروفا ، لانها لا تشير الى زمن لغوى ، فيكون مجيء الظرف مناقضا لوظيفته ·

وحين نقول : « الشمس تشرق من الشرق كل صباح » فان هـذا الالحاق الظرفي ذو غاية تعليمية أكثر منها ظرفية · لأن الفعل «تشرق» وقع في سياق دلالى معين جرده من الاشارة الى زمن لغوى · كما أن مصطلحات كالاستمرار الزمنى والمطلق الزمنى يستقل كل واحد منها ، كما رأينا ذلك في الفصل المعنون ب (امكانات الصيغة) ، بدلالته الزمنية ·

انتهينا الى أن الصيغة الزمنية معدود والظرف عدده وهذا العـدد معجمى · وهو أنـواع : « فمنـه المبهـم والمختص والمتصرف وغـير المتصرف » (٢٩) · أما جهة التحول الى الظرفية ، فالظرف قسمان :

الأول : محول الى الظرفية ، وينحدر من ثلاثة أقسام صرفية هي :

(أ) قسم الاسم : وعبارة سيبويه : « وقوع الاسماء ظروفا » (٣٠)

(ب) قسم الأداة وهي :

١ ـ حروف الجر · نحو « مذ » و « منذ » يستعملان استعمال الظروف عند ما يردان مع الجمل من قبيل تعدد المعنى الوظيفي » (٣١) ·

يقول سيبويه : « وأما « مذ » فتكون ابتداء غاية الأيام والأحيان ، وذلك قولك : « مالقيته مذ يوم الجمعة الى اليوم » (٣٢) · وقال في موضع آخر : « ومما يضاف الى الفعل قولك : « مارأيته مذكان عندى » (٣٣)·

٢ـ أدوات الكناية وهي : طائفة من الأدوات تؤدى وظيفة الظرف اذا أشارت الى زمن وهي « متى » و « أيان » للزمن العام · و « كم » للزمن المعدود · و « اذ » للزمن الماضي · وسنناقش هذه الأدوات في هذا المبحث في موضع لاحق ·

الثاني : محول الى الظرفية يؤدى وظيفة ظرف بالنيابة وهو :

(أ) المصدر · يقول سيبويه : « مايكون المصدر فيه حينا · وذلك

---

(٢٩) شرح الأشموني على الألفية : ٢١٩ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ·
(٣٠) الكتاب : ١ : ١٣٦ ·
(٣١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ ·
(٣٢) الكتاب : ١ : ٢٢٢ ·
(٣٣) الكتاب : ١ : ٢٢٢ ·

قولك : « متى سير عليه ؟ فيقول : « مقدم الحاج » ، وانما هو زمن مقدم الحاج » (٣٤) ٠

(ب) صيغ أسماء الزمان ، أو ما يعبر عنه سيبويه ب : « المفعل اذا كان حينا » وقال حميد بن ثور :

وماهى الا فى ازار وعلقة مغار بن همـام على حى خثعمـا

فصير « مغار » وقتا ، وهو ظرف » (٣٥) ٠

(ج) صفة الظرف : وعبارة سيبويه : « صفة الأحيان » ٠ قال : «تقول سير عليه طويلا» و «سير عليه حديثا» و« سير عليه قديما »، وانما نصب صفة الأحيان على الظرف ، ولم يجز الرفع » (٣٦)

(د) عدد الظرف نحو : « سرت عشرين يوما » (٣٧) ٠

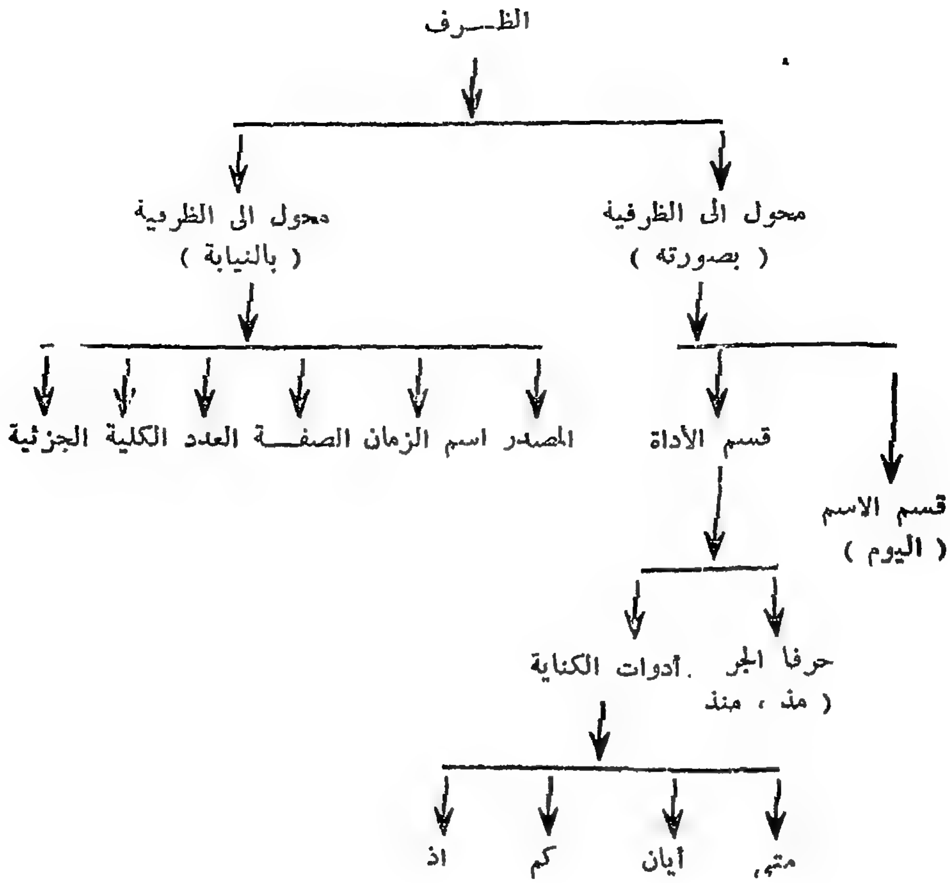
(هـ) كلية الظرف نحو : « مشيت جميع اليوم » (٣٨) ٠

(و) جزئيته نحو : « نصف اليوم » أو « بعض اليوم » (٣٩) ٠

وهذا مخطط يوجز الانواع الظرفية :

---

(٣٤) الكتاب : ٣ : ١١٧ ٠
(٣٥) الكتاب : ١ : ٢٣٥ ٠
(٣٦) المصدر السابق : ١ : ٢٢٧ ٠
(٣٧) شرح الأشمونى : ١ : ٢٢٢ ٠
(٣٨) المصدر السابق : ١ : ٢٢٢ ٠
(٣٩) المصدر نفسه : ١ : ٢٢٢ ٠



الملحظ الصرفى للظرف :

انتهينا فيما تقدم الى أن (الظرف) لا يكون ، بذاته ، قسما صرفيا من أقسام الكلم فى العربية · لأنه ، من الناحية الصرفية ، ليس الا اسما أو حرف جر أو أداة كناية فى حالة وظيفية ·

غير أن الدكتور تمام حسان عالج موضوع (الظرف) من زاوية اخرى · وهذا المبحث يناقش آراءه فى هذا المجال ·

جعل الدكتور تمام (الظرف) قسما من أقسام الكلم (٤٠) ولكنه فرق بين نوعين من الظروف :

(أ) الظروف أصالة ·

(٤٠) اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ ·

(ب) الظروف محولة ٠

فاذا أدركنا أن فهم الدكتور تمـام النظام الصرفى فى العربيـة والتفريق بين أقسامه قام على « التفريق على أساس الاعتبارين (الشكل والوظيفة) مجتمعين » (٤١) لزم أن نفحص مدى تطبيق هذا المعيار على (الظرف) بوصفه القسم السـادس من أقسـام الكلم فى العربية عند الدكتور تمام حسان يطرد الدكتور تمام حسان جميع الظروف المحولة ، من قسم الظرف ، وهذا ملحظ دقيق ، لأن هذه الظروف المحولة ، كما أشرنا الى ذلك فى المبحث السابق ، تمتلك عنصرا واحدا هو العنصر الوظيفى أو على عبارة الدكتور تمام : « تؤدى وظائفها » (٤٢) أى وظائف الظروف الأصلية ٠ أما العنصر الشكلى فيعود بالظروف الى أحد الأقسام المشار اليها فى المبحث السابق (٤٣) ٠

أما قسم الظرف أصالة فقد انطوى على الظروف الآتية :

اذا ٠ أيـــان ٠

لما متى اذ (٤٤) ٠

ويعنى هذا أن الدكتور تمام حسان أدخل « أيان » و « متى » و « اذا » التى ألحقناهـــا بالأدوات التى تتحول الى ظروف زمن فى التركيب ، وأضاف اليها « لما » و « اذا » ٠ وأخرج « كم » وألحقها بقسم الاسم الدال « على مبهم من المقادير » (٤٥) ٠ غير أن الفرق الجوهرى يكمن فى أنه ، رأى أن هذه الأدوات تمثل قسما صرفيا (٤٦) ٠ وقد طبق عليهـا معياره (الوظيفى الشكلى) فوجد :

١ ـ أنها من حيث الشكل « مبان تقع فى نطاق المبنيات غـير المتصرفة » (٤٧) ٠

---

(٤١) المصدر السابق : ٨٧ ٠

(٤٢) المصدر نفسه : ١٢٠ ٠

(٤٣) انظر الجدول الخاص بالظروف : فى الصفحة السابقة ٠

(٤٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ ٠

(٤٥) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢٠ ٠

(٤٦) وكان الدكتور (تمام حسان) قد بدأ محاولته ، فى نقد التقسيم القـــديم للكلمات العربية / الفعل ـ الاسم ـ الحرف ـ وتقديم تقسيم جديد ، بداها فى مؤلفـــه « مناهج البحث فى اللغة » وانتهى فيها الى تقسيم رباعى ، هو : الاسم ـ الفعل ـ الضمير ـ الأداة (انظر / مناهج البحث فى اللغة : ٢٠٣) ويعنى ذلك أن فكرة اقحام الظرف فى قسم صرفى مستقل لم تكن قد نضجت عنده آنذاك ٠

(٤٧) اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ ٠

٢ ـ أنها تؤدى « وظيفة الكناية عن زمان » (٤٨) وهو « زمان اقتران حدثين » (٤٩) وقد لاحظنا فى مفتتح هذا الفصل أن الظرف يشير الى ما يطلق عليه الدكتور تمام حسان « تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد » (٥٠) . وتعد العلاقة بين المبنى الواحد والوظائف النحوية المتنوعة التى يؤديها ، واحدة من السمات اللغوية الأساسية فى العربية ، حيث يتحول قسم صرفى فى التركيب الى قسم آخر .

فكأن « المبنى » يتخذ لنفسه معانى وظيفية ، غير ما وضعت بازائه . ك « الصفة والفعل ينقل معناهما الى العلمية » (٥١) وكظروف الاقتران تتحول الى أدوات « اذ تستعمل فى تعليق جمل الاستفهام والشرط » (٥٢) .

ان هذا التحول أو (تعدد المعنى الوظيفى) لا ينبغى له أن يضللنا عن أصالة كل قسم فى النظام الصرفى كما يرى الدكتور تمام (٥٣) .

تلك هى أهم (الآراء) التى صدرت عن الدكتور تمام حسان فى مسألة الظرف .

ويؤخذ عليها جملة أمور .

الأول : لم يناقش ظاهرة تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد هل تجرى فى اللغة اعتباطا ؟ أو أن هناك نظاما يسود هذا التعدد ؟

وليس من هدف هذه الرسالة الاجابة عن هذا السؤال بصورة مفصلة وشاملة ، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نجيب ، فى ضوء طبيعة اللغة ، بأن التعدد الوظيفى ينبغى أن يستند الى قانون العلاقة المعنوية بين المتحول والمتحول اليه . والا اتخذت العلاقات بين المبانى ومعانيها صورة كيفية ، وهو أمر لا يمكن لنظام محكم كاللغة ، يستند الى قوانين صارمة ، أن ينطوى عليه .

---

(٤٨) المصدر السابق : ١٢٢ .
(٤٩) المصدر نفسه : ١٢٢ .
(٥٠) نفسه : ١١٩ .
(٥١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ .
(٥٢) المصدر السابق : ١٢٣ .
(٥٣) المصدر نفسه : ١٢٠ .

هل يمكن أن ينقل « الفعل » كما قال الدكتور تمام الى « العلمية ـ الاسمية ـ » بأشكاله الثلاثة : (فعل ، يفعل ، افعل ؟) والجواب : لا فان الانتقال من الفعلية الى الاسمية يتخذ (المضـــارع) مظهرا لـه فقط للوشائج الدلالية التي بين (المضارع) و (الاسم) وهى الدوام والاستمرار · يقول الدكتور ابراهيم السامرائى : « وقد استقريت بعض المصادر التي تعنى بأخبار اليمن فوقفت على جملة كبيرة من هذه المواد الفعلية التي روضها العرب فى أقدم عصورهم ، فاتخذوها أعلاما مستفيدين من بناء « يفعل · » (٥٤) · وهكذا لم يجر انتقال الفعلية الى العلمية عشوائيا · وليس أدل على هذا الانتقال من « قرينـــة الزمن : « كان » (٥٥) « التى تحولت من قسم الأفعال الى قسم الأداة · »(٥٦) للعلاقة التي تجمع بين الوجود (حدث كان) والزمن · وهكذ يمكن أن نقول عن وقوع « الاسم » موقع « ظرف » · لأن هـــذا الاسم ذو ملحظ زمنى · ووظيفة الظرف زمنية ·

اذن فالتعدد الوظيفى يستند الى تداخل الأقسام الصرفية للسمات المشتركة التي بينها ·

فاذا لم يتم تحديد هذه السمات أصبح من الصعب الكشف عما هو فى قسم صرفى أصـــالة عما هو فيه جملا : كما هـــو حاصـــل فى (الادوات) و (ظروف الاقتران) التى جعلها الدكتور تمام حســـان قسما قائما بذاته ، فالأدوات وظـــروف الاقتران ليس « لها صـــيغ معينة ، ولا تتصرف الى صيغ غير صيغها » (٥٧) كما أنها « لا تدل على معان معجمية » (٥٨) فكيف يمكن أن نميز القسم الذى تنضوى تحته « اذا » و « لما » ؟ هل هو الاداة ؟ أو الظرف ؟ · افترض الدكتـــور تمام أن « اذا » ظـــرف اقتران (٥٩) يستعمـــل فى تعليق جمـــل الشرط (٦٠) · والسؤال : لماذا لا نفترض العكس ؟ فان « اذا » لا تفصح ببنيتها عن زمن · أو عن اقتران زمنى · والدكتور تمـــام نفسه وجه

---

(٥٤) العربية بين امسها وحاضرها : ١١٠ ·
(٥٥) عرضنا لـ (كان) فى مبحث قرائن الزمن ·
(٥٦) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢٨ ·
(٥٧) المصدر السابق : ١٢١ ·
(٥٨) المصدر نفسه : ١٢٥ ·
(٥٩) اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ ·
(٦٠) المصدر السابق : ١٢٣ ·

نقدا شديدا الى النحاة الذين « نسبوا اختلاف الزمن الى الادوات فقالوا ان « اذا » ظرف لما يستقبل من الزمان » (٦١) ·

ومثل ذلك (كم) التى عدها الدكتور تمام فى (الاسماء المبهمة) (٦٢) غير أنه لم يستطع أن يقنعنا بهذا التصنيف حين طبق المعيار الوظيفى الشكلى على قسم الاسم (٦٣) ·

ونعرض تفصيلا لما يعده الدكتور تمام حسان ظروف اقتران :

اذا :

عد سيبويه « الأداة » أو « الظرف » « اذا » خارج أدوات الشرط الأساسية فى ضوء المعيار الاعرابى ·

قال « وسألته عن « اذا » ما منعهم أن يجازوا بها ، فقال : الفعل فى « اذا » بمنزلته فى « اذ » · ف « اذا » فيما يستقبل بمنزلة « اذ » فيما مضى » (٦٤) · فاذا أدركنا أن معنى (يجازوا) فى قول سيبويه الآنف الذكر : هو « يجزموا » فانه ينبغى أن نفهم أن سيبويه جعل كلا من « اذا » و « اذ » ظرفا وجعل الفرق بينهما فرقا فى الاشارة الى قسم الزمن ولما كان الظرف يقع مضافا احتاج الى مضاف اليه والى حدث يقع فيه فيكون عامله الذى ينتصب به · فمن هنا لم ينجزم الفعل بعد « اذا » كما انجزم بعد « ان » ·

وعلى الرغم من أن بعض البحوث السامية المعاصرة أثبت صحة تحليل سيبويه فى جعل « اذا » ظرفا ، حيث بين الدكتور فاروق جودى وهو يبحث فى « أدوات الشرط فى اللغات السامية » أن « اذا » متطورة عن الاسم الذى يدل على الزمن » (٦٥) ، على الرغم من هذا ، فانه ينبغى أن نفرق بين المنظور التاريخى لظاهرة لغوية ، والمنظور الوصفى لها · فسياق (اذا) حين عرض لها سيبويه «سياق مستحدث مختلف»(٦٦) · ومن هنا جاء الاضطراب فى مباحث النحاة من بعده ، حين عرضوا ل « اذا » من معيار آخر هو المعيار الاستعمالى ·

---

(٦١) المصدر نفسه : ٢٤٣ ·
(٦٢) نفسه ١٢٠ ·
(٦٣) نفسه : ٩٢ فما بعدها ·
(٦٤) الكتاب : ٣ : ٦٠ وانظر أيضا : الكتاب : ١ : ١٣٤ ·
(٦٥) أدوات الشرط فى اللغات السامية ــ مخطوطة : ص ٩ ·
(٦٦) نظرية النحو العربى : ١٦ ·

وفيما يأتي جانب من هذا الملمح موجزا :

١ ـ اذا « لما يستقبل من الدهر وفيها مجازاة » (٦٧) ٠

٢ ـ « اذا الزمانية ٠ » (٦٨) ٠

٣ ـ « لاستمرار الزمان ٠ » (٦٩) ٠

٤ ـ « تكون ظرفا لما مضى من الزمان واقعة موقع اذ ٠ » (٧٠)٠

٥ ـ « الشرط لم يترسخ فيها ٠ » (٧١) ٠

٦ ـ « وقيل ليست (اذا) مضافة » (٧٢) ٠

أما البحث اللغوى المعاصر فقد حمل على الصاق الزمن بالادوات ٠

والمفارقة التى نشير اليها هنا أن الدكتور تمام حسان الذى كان واحدا ممن رفضوا فكرة الصاق الزمن بالادوات ومنها « اذا » (٧٣) عاد فجعلها ظرفا دالا على زمان الاقتران ٠

لا تتعدى « اذا » أن تكون « أداة شرط دخلت على جملتين » (٧٤) « غير منظور اليها ظرفا خافضا لشرطه منصوبا بجوابه » (٧٥) ٠ ويشير الى ذلك الاستعمال القرآنى ٠ فلم ترد « اذا » فى القرآن الكريم الا أداة تعليق فى جملة مركبة هى الجملة الشرطية ٠

أما ورودها دالة على زمن وليس على زمن اقترانى : فنادر ، أو لم يتعد عدة استعمالات فى سياق معين ، هو سياق القسم :

قوله تعالى « والليل اذا عسعس ، والصبح اذا تنفس » (٧٦) ٠

---

(٦٧) الكتاب : ٤ : ٢٣٢ ٠ ويتخذ مدلول (الجزاء) وأسرته (جازى ، يجازى مجازاة ٠٠ الخ) عند سيبويه معنيين : الأول : ترتيب شىء على شىء ٠ والثانى : الجزم وانظر : فى التركيب اللغوى للشعر العراقى المعاصر : ١٤ ٠

(٦٨) الخصائص : ١ : ١٠٤ ٠

(٦٩) شرح الكافية : ٢ : ١٠٨ ٠

(٧٠) الجنى الدانى : ٣٦٣ ٠

(٧١) الكافية : ٢ : ١١١ ٠

(٧٢) الأشباه والنظائر : ٢ : ٢٥٣ ٠

(٧٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٣ ٠

(٧٤) الرد على النحاه : المقدمة ٠ شوقى ضيف : ٧٣ ٠

(٧٥) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ٢٩١ ٠

(٧٦) التكوير : ١٧ و ١٨ ٠

وقوله « والليل اذا يغشى · والنهار اذا تجلى » (٧٧) وقوله تعالى « والليل اذا سجى » (٧٨) وقوله تعالى : « والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها » (٧٩)

الزمخشرى : « اذا تلاها » : طالعا عند غروبها : « اذا جلاها » عند انتفاخ النهار وانبساطه لأن الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام « الانجلاء » (٨٠) ·

لمــا :

١ ـ عدها سيبويه « بمنزلة » لو « وانما تقع للأمر الذى قد وقع · » (٨١)

٢ ـ « ذهب ابن السراج وابن جنى وأبو على الى أنها ظرف بمعنى حين » (٨٢)

٣ ـ « لما الجوابية » (٨٣)

٤ ـ « لما التعليقية » (٨٤)

٥ ـ « ظرف وضع موضع كلمة الشرط » (٨٥)

٦ ـ « رابطة لوجود شىء بوجود غيره (٨٦)

٧ ـ حرف وجوب لوجوب و حرف نفى لنفى ، ووجوب لنفى ، ونفى لوجوب » (٨٧)

ومما تقدم ينبغى وضع النتيجة التى انتهى اليها الدكتور تمام حسان فى جعل هاتين الأداتين ـ اذا ، ولما ـ ظرفين يدلان على زمان

---

(٧٧) الليل : ١ و ٢ ·
(٧٨) الضحى : ٢ ·
(٧٩) الشمس : ٢ ـ ٤ ·
(٨٠) الكشاف : ٤ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ ·
(٨١) الكتاب : ٤ : ٢٣٤ ·
(٨٢) المغنى : ١ : ٢٨٠ ·
(٨٣) همع الهوامع : ٢ : ٢١٥ ·
(٨٤) الجنى الدانى : ٥٣٨ ·
(٨٥) شرح الكافية : ٢ : ١٢٧ ·
(٨٦) شرح قطر الندى : ٤٣ ·
(٨٧) وصف المبانى : ٢٨٣ ·

اقتران » (٨٨) فى اطار المنطق العقلى وليس فى اطار المنطق اللغوى ، اذ يبدو أن الدكتور تمام الذى رأى فى الجمل التى يكون مناط التعليق فيها مركبا أى مبنيـا على تآلف جملى فعلى رأى فى الوقت نفسـه أنه ينتج عن ذلك وجـود زمنين اقترنا بوساطة ظروف سـماها « ظروف الاقتران »

وقد بينا أن وظيفة الأداتين « لما » و « اذا » هى : ربط جملتين أما الدلالات المعنوية والزمنية التى تترشح عن هذا الربط أو للتعليق المركب فليس مما يلصق بهما • وفضلا عن ذلك فان هناك اعتراضين آخرين :

الأول : ان القول بوجود زمن لكل حدث فعلى أمر لايمكن التسليم به ، كما عرضنا لذلك فى الفصل الثانى « امكانات الصيغة »

الثانى : لو سلمنا بأن « اذا » و « لما » ظرفا زمن اقترانى • لكان ينبغى أن نحكم لـ(ان) و (لو) بذلك ، اذ همـا يقرنان بين حدثين • غير أن أحدا لم يقل بذلك •

ان القصـد من هذه التراكيب هو ترتيب أحـداث على أحـداث من غير نظر الى زمن غالبا • وعبارة سيبويه دقيقة فى هذا الجانب « وانمـا تقع (لمـا) للأمر الذى وقع » (٨٩) وفسر ابن خروف ذلك على أنه «شرط فى الماضى » (٩٠) كما أن سيبويه يجعل (لمـا) و (لو) متطابقتين من الناحية الوظيفية وعبارته «بمنزلة لو» (٩١) والفرق بينهما أن سياق أحداث « لمـا » فى الماضى ، وسياق أحداث (لو) فى المستقبل عنده (٩٢) ، ويكون الأمر أكثر وضوحا اذا عرضنا لقول واحد من أئمة النحو وهو ثعلب « زيد لمـا قمت ضربت » يجوز على الجزاء (٩٣)

نعم قد يكون زمن اقتران حدثين أحد مقاصد التركيب الذى تقع فى سياقه « لما » ، عندها تكون الأداة قد تحولت من أداة تعليق شرطى الى أداة تعليق زمنى ، وليس الى ظرف كما زعم الدكتور تمام حسـان لأن الظرف آلة قياس وليس أداة ربط وهاهنا ملحظ دقيق ينبغى أن

---

(٨٨) اللغة العربية معناها ومبناها : ١١٩ •

(٨٩) الكتاب : ٤ : ٢٣٤ •

(٩٠) شرح الكافية : ٢ : ١٢٧ •

(٩١) الكتاب : ٤ : ٢٣٤ •

(٩٢) الكتاب : ١ : ٢٢٤ •

(٩٣) مجالس ثعلب : ١ : ٢٦٧ •

نقف عليه ففى قوله تعـــالى : « **فلما أحسـوا بأسنا اذا هم منهـــا يركضـــون** » (٩٤) ٠

وقوله « **فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده** » (٩٥) تترتب أحداث على أحداث فى الماضى وليس هناك زمن حدث يقترن بزمن حدث آخر يترشح عن سياقى الآيتين ، الا اذا حللنا السياقين وفق قاعدة منطقية تأخذ بمستلزمات العناصر المحللة ٠

ويمكن أن ندرج سياقات شرطية أخرى لنلحظ النسق الشرطى الذى يستند الى التطابق الشكلى والدلالى فى عناصره ٠

قوله تعالى : « **وان تصبهم سيئة بمـا قدمت أيديهم اذا هـم يقنطون** » (٩٦) وقوله :« **واذا ما غضبوا هم يغفرون** » (٩٧) وقوله الذى ورد سابقا : « **فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون** » (٩٨) غير أنه يمكن أن نلحظ أن « لما » قد تؤدي وظيفة تعليق زمنى ، حيث يقترن زمن حدث بزمن حدث ٠ كما فى قوله تعالى : « **فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا** » (٩٩) فقد اقترن زمن ابصـــار موسى (عليه السلام) النار بزمن مسيره بأهله نحو مصر ٠ وهذا كما تقول : « لما خرجت من بيتى أعلنت ساعة الاذاعة السادسة مساء » ٠

ننتهى مما تقدم الى اخراج « اذا » و « لما » من قسم الظرف ٠

اذ :

ان ملاحظة الدكتور تمام حسان فى تصنيف « اذ » فى قسم الظرف الذى يدل على زمان اقتران هى ذاتها ملاحظة سيبويه الذى نص على أن « اذ » : « لما مضى من الدهر ، وهى ظرف بمنزلة « مع » (١٠٠) ٠

ويتيح لنا استعمال هذه الأداة فى القرآن أن نقف بصورة دقيقة على ما تدل عليه من معنى ، وما تعبر عنه من وظيفة ٠ ففى قوله تعالى :

---

(٩٤) الأنبياء : ١٢ ٠
(٩٥) غافر : ٨٤ ٠
(٩٦) الروم : ٣٦ ٠
(٩٧) الشورى : ٣٧ ٠
(٩٨) الأنبياء : ١٢ ٠
(٩٩) القصص : ٢٩ ٠
(١٠٠) الكتاب : ٤ : ٢٢٩ ٠

« واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا » (١٠١)
نقع على تفسيرات ثلاثة :

الأول : تفسير النحاة القدماء : يقول الزمخشرى : « اذ » بدل اشتمال ، لأن الأحيان مشتملة على ما فيها ، وفيه أن المقصود بذكر (مريم) ذكر وقتها هذا ، لوقوع هذه القصة العجيبة فيه » (١٠٢) أى أن « اذ » هنا كناية عن اسم دال على زمان وليس ظرفا لزمان ، أو على عبارة ابن هشام : « انما المراد ذكر الوقت نفسه ، لا الذكر فيه » (١٠٣) فيكون اعرابها « مفعولا به » (١٠٤) ويجرى فى ضوء هذا المعطى النظر الى الآية الشريفة على النحو الآتى :

وأذكر فى الكتاب ذلك الوقت (الماضى) الذى انتبذت فيه مريم مكانا شرقيا .

أما تقديم (مريم) على (اذ) فى النسق القرآنى فيعبر عن اضطراب فى الموقعية هدفه تأكيد الاهتمام ببنى لغوية دون غيرها .

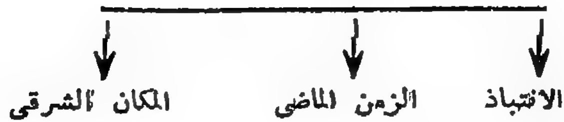
الثانى : تفسير الدكتور تمام حسان الذى يستخلص من افتراضه أن « اذ » ظرف « وهو كناية عن زمان اقتران حدثين » (١٠٥) ، حيث ننظر الى الآية من هذه الجهة كما يأتى :

اذكر فى الكتاب مريم مقترنا زمان ذكرك اياها بزمان انتباذها ..

الثالث : التفسير الذى يذهب اليه الباحث بملاحظة العلاقات الكلية فى الآية وهو :

أذكر فى الكتاب مريم وهى فى هذه الحالة (الحدثية ، الزمانية ، المكانية) فكأن (مريم) موضوعة فى أطر ثلاثة . كالآتى :

« واذكر فى الكتاب مريم ... » .



(١٠١) مريم : ١٦ .
(١٠٢) الكشاف : ٢ : ٥٠١ .
(١٠٣) المغنى : ١/٨٠ .
(١٠٤) المغنى : ١/٨٠ .
(١٠٥) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢٢ .

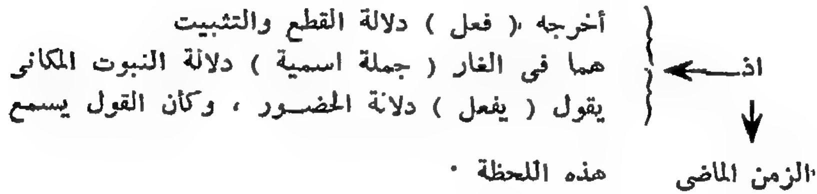
ويشير تركيب « انتبذت » الى مؤلف هو الحال · ويمكن احلال « وقد » الحالية محل « اذ » : « واذكر فى الكتاب مريم وقد انتبذت مكانا شرقيا » ·

ولكن الفرق بين « اذ » و « وقد » أن الأولى فضلا عن وظيفة الربط التى تؤديها ، كناية عن الزمن الماضى أى أن شكل الصيغ الفعلية فى سياق « اذ » يشير الى دلالة الفعلية ، أى الى ال « الحالة » ولا يشير الى زمن ·

ومن هنا نقع « اذ » فى سياق صيغ فعلية متنوعة ، بله فى سياق غير حدثى كما فى قوله تعالى :

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه » (١٠٦) ·

ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتى :



ان الصيغ فى سياق « اذ » لا تنتج ، كما مر بنا (١٠٧) زمنا فهـذا منوط بالسياق ، أمارته اللفظية (اذ) التى هى كناية عن الزمن الماضى · ومن هنا جاء التغاير فى طبيعة الصيغ الواقعة فى سياقها ، حيث يؤدى الى خلق سلسلة من معان مضافة ، ولو أريد الزمن مقصودا اليه ب الصــــيغ لكان : (فقــد نصره ··· اذ أخرجه ·· فأقاما فى الغار ، فحدث ما حدث ، فقال لصاحبه) ·

أما « قد » مع صيغة « فعل » فتشير الى دلالة واحدة هى دلالة القطع كما سنعرض لذلك فى الدراسة التطبيقية ·

ويعنى كل ذلك امكان حذف «اذ» من الآية « واذكر فى الكتاب ··· وملحظ الحــال لا يتغير : « واذكر فى الكتاب مريم انتبذت من أهلها مكانا شرقيا » كما حذفت (قـد) فى الآية : « أو جاؤوكم حصرت

---

(١٠٦) التوبة : ٤٠ ·

(١٠٧) ينظر / ص ١٨٥ من هذا الفصل ·

صدورهم » (١٠٨) فزمن الاقتران لم تعبر عنه « اذ » بل كل ما نستطيع قوله أن « اذ » أدت وظيفة الربط فى سياق جملى ودلت على زمن ماض . غير أن هذا الربط قد يكون فى سياق ما اقترانيا كقوله تعالى :

« فقد نصره ... اذ أخرجه » (١٠٩) .

فلقد اقترن اخراج الكفار محمدا من مكة بنصر الله له .

وتكثر دلالة « اذ » على زمن اقترانى اذا وقعت للمفاجأة وقد بين سيبويه ذلك . قال : « قولك : « بينما أنا كذلك اذ جاء زيد » فهذا لما توافقه وتهجم عليه من حال أنت فيها » (١١٠) .

ومن قبيل تعدد المعنى الوظيفى لـ « اذ » أداؤها وظيفة أداة شرط ، لما بينها وبين أدوات الشرط من سمة مشتركة هى سمة الربط الجملى . أو كما يقول ابن هشام « الشرط والجزاء عبارة عن جملتين تربط بينهما الأداة » (١١١) نقل الأشمونى رأى الفراء فى انصراف « اذ » للشرط . قال : « فأجاز الجزم بها دون ما . » (١١٢) وصرح ابن هشام وهو يعرض لقوله تعالى : « **فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم** » (١١٣) بقوله : « فيلزم أن يكون بمنزلة اذا » (١١٤) ونص الرضى وهو يعرض لقوله ـ سبحانه ـ : « **فاذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا** » (١١٥) وقوله : « **واذ لم يهتدوا به فسيقولون** » (١١٦) نص بقوله : « **فلاجراء الظروف مجرى كلمات الشرط** » (١١٧) . وهذه اشارة الى تعدد المعنى الوظيفى للمبنى الواحد .

ولكى تتم دراسة « اذ » فى العربية ينبغى أن نعرض للمركب المكون من : اسم دال على زمن + اذ .

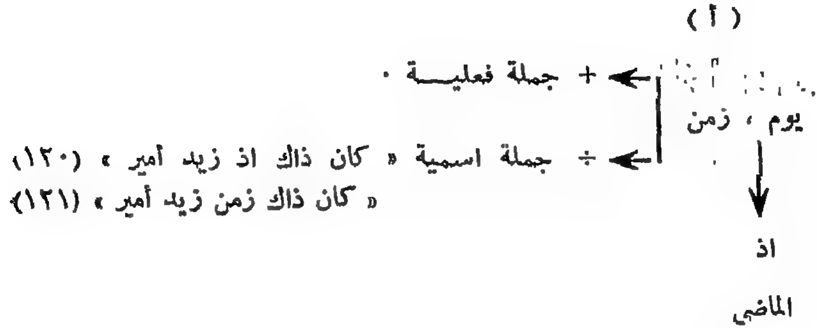
كـ « يوم اذ » ، و « حين اذ » ، و « زمن اذ » .... الخ :

---

(١٠٨) النساء : ٩٠ .
(١٠٩) التوبة : ٤٠ .
(١١٠) الكتاب : ٤ : ٢٣٢ .
(١١١) المغنى : ١ : ٩٦ .
(١١٢) شرح الأشمونى : ٤ : ١٣ .
(١١٣) غافر . ٧٠ ، ٧١ .
(١١٤) المغنى ١ : ٨١ .
(١١٥) المجادلة : ١٣ .
(١١٦) الأحقاف : ١١ .
(١١٧) شرح الكافية : ٢ : ٣٩٩ .

عرض النحاة للأسماء الدالة على الزمن ، تضاف الى الأفعال ·
وعبارة سيبويه (١١٨) : « هذا باب ما يضاف الى الأفعال من الزمان ، وذلك قولك : « وهذا يوم يقول ذاك » · وقال عز وجل : « **هذا يوم لا ينطقون** » (١١٩) ·

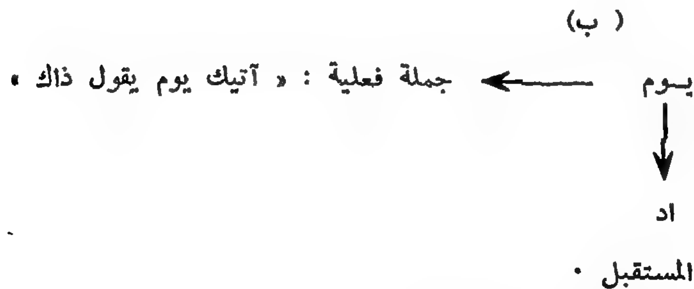
وقد صنف سيبويه الجدول الآتى ، بنوع الجمل المضاف اليها ، بالاعتبار الزمنى ·



ولم يسق سيبويه مثالا لاضافة اسم دال على الزمن الى جملة ما ضوية ويمكن افتراض جملتين قياسا على الجملتين الاسميتين الآنفتين :

ـ « كان ذاك اذ أمر زيـــد »

ـ « كان ذاك زمن أمر زيــد »



---

(١١٨) الكتاب : ٣ : ١١٧ ·
(١١٩) المرسلات : ٣٥ ·
(١٢٠) الكتاب : ٣ : ١١٩ ·
(١٢١) المصدر السابق : ٣ : ١١٩ ·

فان قلت : « يكون هذا يوم زيد أمير » كان خطأ لأنك لا تقول « يكون هذا اذا زيد أمير » (١٢٢) ٠

يقول : « جملة هذا الباب أن الزمان اذا كان ماضيا أضيف الى الفعل ، والى الابتداء والخبر لأنه فى معنى « اذ » ٠ فأضيف الى ما يضاف اليه « اذ » ٠ واذا كان لما لم يقع لم يضف الا الى الأفعال لأنه فى معنى « اذا » ، و « اذا » هذه لا تضاف الا الى الأفعال » (١٢٣) ٠

واستنادا الى هذا الغرض فان الزمن يجب أن يكون ماضيا حتى يصح وقوع « اذ » ٠ غير أن هذا المقرر اصطدم بالكلام ٠ فقد جعل النحاة وهم ينظرون فى الاستعمال القرآنى يقررون : أن من معانى « اذ » أن تكون « اسما للزمان المستقبل » (١٢٤) نحو « يومئذ تحدث أخبارها » (١٢٥) غير ان ابن هشام ينسب الى (الجمهور) أنهم « لا يثبتون هذا القسم » (١٢٦) أى دلالة « اذ » على الزمن المستقبل « ويجعلون الآية من باب « ونفخ فى الصور » (١٢٧) أعنى تنزيل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع » (١٢٨) ان اعتراض (الجمهور) يبدو غير لازم دائما ، اذ يقع مركب الاسم الدال على الزمن ، المضاف الى « اذ » (يومئذ) ، فى علاقات زمنية منصرفة الى المستقبل من باب « سيصلى نارا » (١٢٩) وليس من باب « ونفخ فى الصور » كما سنرى ٠

ويكثر فى (القرآن الكريم) حذف الجمل بعد « اذ » والمجىء ب « التنوين عوضا عن هذه الجمل » (١٣٠) ويذهب الرضى الى أنه فى هذا المركب ــ يومئذ ــ قد يجرد « اذ » عن الماضى ويصير لمطلق الظرفية فيجوز استعماله فى المستقبل (١٣١) ٠

وهو فى القرآن يتخذ اشارة زمنية ثابتة هى الوقوع فى سياق المستقبل فقط ٠ وكما يأتى :

---

(١٢٢) المصدر نفسه : ٣ : ١١٩ ٠
(١٢٣) الكتاب : ٣ : ١١٩ ٠
(١٢٤) المغنى : ١ : ٨١ ٠
(١٢٥) الزلزلة : ٤ ٠
(١٢٦) المغنى : ١ : ٨١ ٠
(١٢٧) الكهف : ٩٩ ٠
(١٢٨) المغنى : ١ : ٨١ ٠
(١٢٩) تبت : ٣ ٠
(١٣٠) شرح ابن عقيل : ٢ : ٤٧ ٠
(١٣١) ينظر شرح الكافية : ٢ : ١٠٦ ٠

(أ) فى اطار الشرط ٠

(ب) فى اطار الاشارة الى يوم القيامة نصا ٠

(جـ) فى اطار الوعيد ٠

(أ) « كلا اذا بلغت التراقى الى ربك يومئـذ المساق » (١٣٢) ٠

« ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتـــال » (١٣٣) ٠

« فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ » (١٣٤) ٠

« فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير (١٣٥) ٠

(ب) « ويوم تقوم الساعة يومئـذ يخسر المبطلون » (١٣٦) ٠
« الملك يومئذ لله » (١٣٧) ٠

(جـ) « ويل يومئذ للمكذبين » (١٣٨) ٠

أن « اذ » القرآنية فى هذا المركب (يومئذ) تشير الى حدث فى الزمن المستقبل ، بشكل صيغته أو بدلالته ، والقصد من هذه الاشـــارة اعادة هذا الحدث بزمنه على سبيل تأكيده كقوله « وترى المجرمين يومئذ مقرنين » (١٣٩) ٠

وهى : وترى المجرمين مقرنين ٠

وترى المجرمين ، يوم اذ تراهم ٠ مقرنين ٠

أو تعيينه ، لئلا تنصرف الاشارة الى غيره كقوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ٠ ومن يولهم يومئذ دبره** ٠٠٠ الآية » (١٤٠) يقول الزمخشرى : « ومن يولهم يومئذ أمارة عليه » (١٤١) وينتهى بنا هذا المبحث الى تقرير أن « اذ » أداة

(١٣٢) القيامة : ٢٦ و ٣٠ ٠
(١٣٣) الأنفال : ١٦ ٠
(١٣٤) المؤمنون : ١٠١ ٠
(١٣٥) المدثر : ٨ و ٩ ٠
(١٣٦) الجاثية : ٢٧ ٠
(١٣٧) الحج : ٥٦ ٠
(١٣٨) المرسلات : ١٥ ٠
(١٣٩) ابراهيم : ٤٩ ٠
(١٤٠) الأنفال : ١٥ ، ١٦ ٠
(١٤١) الكشاف : ٢ : ١٤٩ ٠

من أدوات الكناية عن زمن ماض ، وليست ظرفا دالا على زمان اقتران حدثين كما ذهب الى ذلك الدكتور تمام حسان وانما الاقتران ينبغي أن يفسر فى ضوء تعدد معانى « اذ » الوظيفية فى السياق . ومن هذه المعانى :

اسم دال على زمن الماضى .

ظرف دال على زمن اقتران حدثين .

أداة شرط .

أداة مفاجأة .

ظرف دال على الزمن المستقبل .

أيان ، ومتى :

١ ـ من الألفاظ الموضوعة للاستفهام لطلب التصور (١٤٢) .

٢ ـ كنايتان عن الزمن العام . قال سيبويه : « لو أن انسانا قال ما معنى « أيان » ؟ فقلت : « متى » ، كنت قد أوضحت . واذا قال : ما معنى « متى » قلت : « فى أى زمان » (١٤٣) .

٣ ـ « متى للزمان من دون تخصيص » (١٤٤) و « أيان للمستقبل » (١٤٥) . وفى انقرآن لم ترد « أيان » الا فى سياق استقبالى ، كقوله تعالى : « وما يشعرون أيان يبعثون » (١٤٦) .

٤ ـ « متى » اسم شرط (١٤٧) . قال ذو الرمة :

وانى متى أشرف على الجانب الذى
به أنت من دون الجوانب ناظر (١٤٨)

ف « متى » و « وأيان » أداتا استفهام زمنيتان (زمن متى عام وزمن أيان مستقبل) يؤديان وظيفة استفهام عن ظرف ، أى يستفهمان عن مدة

---

(١٤٢) التلخيص : ١٥٩ ، ١٦٣ .
(١٤٣) الكتاب : ٤ : ٢٣٥ .
(١٤٤) التلخيص : ١٦٣ .
(١٤٥) المصدر السابق : ١٦٣ .
(١٤٦) النحل : ٢١ .
(١٤٧) المغنى : ١ : ٣٣٤ .
(١٤٨) الكتاب : ٣ : ٦٨ .

زمن الصيغة · وتشاركهما في ذلك « كم » التي هي « كناية عن العدد على سبيل الابهام » (١٤٩) تؤدي وظيفة الظرف التي هي قياس معدود ·

يقول سيبويه : « وانما جاء هذا على جواب « كم » لأنه جعله على عدة الأيام والليالي ، فجرى على جواب ما هو للعدد ··· وأما « متى » فانما تريد بها أن يوقت لك وقتا ولا تريد بها عددا » (١٥٠) ويتعدد المعنى الوظيفي ل « متى » فتخرج الى الشرط وكقول ذي الرمة السابق · فتؤدي وظيفة التعليق الشرطي ك « ان » وتضيف الى السياق معنى فرعيا تنطوي عليه هو الزمن العام فالنص على أن « أيان » و « متى » من ظروف الاقتران ليس أمرا دقيقا · بل الأصح أن يصنفا في قسم الأداة الثاني :

ونعرض فيه لمحاجة الدكتور تمام حسان وهو يطبق معياره الشكلي الدلالي على أقسام الكلم في العربية · فيجعل في ضوء هـذا المعيار (الظرف) قسما قائما بذاته ، اذ يقول : « ليس في اللغة العربية الفصحى مما ينبغي أن يوضع فيه الا تلك الكلمات » (١٥١) أي : (اذا ، لما ، اذ ، متى ، أيان ، أين ، أنى ، حيث) ثم ينتهي الى جعل هذا القسم يتميز عن بقية أقسام الكلم من حيث المعنى والمبنى معا بثمانية أمور · نعرض لها بالمناقشة :

· من حيث (١) الصورة الاعرابية (٢) الرتبة (٣) الصيغة (٤) الجدول (٥) التسمية ، تتطابق الظروف والأدوات والضمائر فلا حجة له معها في جعل (الظروف) قسما مستقلا · أما من حيث (٦) التضام فـرأى أن « بعض الظروف تتبعـه (ما) وهـو : « اذ » و « اذا » و « متى » (١٥٢) ورأى أن « هذه الصورة من صور التضام » أي · (الظرف + ما) ك : « اذ ما » ، « اذا ما » ··· الخ تفرد الظرف بطـابع خاص لا تشاركه فيه الأسـماء ولا الصـفات ولا الأفعال ولا الضمائر » (١٥٣) · وهذا رأي غريب · فهذه الصورة من التضام ليست (طابعا خاصا) بالظرف فهي تميز بعض الأدوات كأداة الشرط (ان) : فتصير : (اما) (١٥٤) · وبعض الأفعال ك « قلما » (١٥٥) وبعض

---

(١٤٩) المفصل : ١٧٩ ·
(١٥٠) الكتاب : ٢١٧ ·
(١٥١) اللغة العربية معناها ومبناها · ١٢١ ·
(١٥٢) المصدر السابق : ١٢١ ·
(١٥٣) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢٢ ·
(١٥٤) الكتاب : ٣ : ١٥٩ ·
(١٥٥) المصدر السابق : ٣ : ١١٥ ·

الحروف كـ « ربما » و « انما ... » (١٥٦) وقبل الدكتور تمام حسان كان أهل البصرة قالوا عن « ما » التى تضام حرف الجر « الباء » فى الآية الكريمة : « فبما رحمة من الله » (١٥٧) : « هى توكيد » (١٥٨) فهذه الصورة من صور التضام ليس مما يميز ظرف القسم المفترض وحده . وهى لا تكون الا أن يكون ظرف القسم يؤدى وظيفة شرطية ، فلا حجة له فيها . بقى من سمات ظروف القسم الصرفى اثنتان . هما (الزمن) و (التعليق) .

وسنعرض لكل سمة بايجاز :

من حيث الزمن : (أ) قال الدكتور تمام : « الزمن يستفاد من الظرف بالمطابقة ومن الفعل بالتضمن » (١٥٩) فكأن الدكتور تمام نسى ظروف القسم الصرفى ، لأن دلالة المطابقة معنى الظروف المحولة . أما ظروف ذلك القسم فلا تدل على زمن ، لا بالمطابقة ولا بالتضمن .

(ب) قال الدكتور تمام : « زمان الظرف معنى للظرف وهو مفرد وهذا المعنى معجمى » . وهذا القول يتنافى والظروف التى جعلها خاصة قسم الظروف ـ اذا و اذ و لما و متى و أيان ـ حيث نص على أنه « ليس معنى هذه الظروف معجميا » (١٦٠) .

من حيث التعليق : يقول الدكتور تمام « الظروف فى اللغة تعبيرات عن معنى جهة . ومن هنا يقال للظرف انه متعلق بالفعل لأنه يفيد تقييد اسناد الفعل بجهة معينة من جهـــات فهمه » (١٦١) . وهذا التحليل ليس دقيقـا ، لأن الفعل يحمل قيده الزمنى بذاته ، كمـا هى اشارة سيبويه : « ففيه بيان ما مضى وما لم يمض منه » (١٦٢) . وكما هو رأى الدكتور تمام حسان نفسه (١٦٣) .

فالذى يفيد تقييد اسناد الفعل بالزمن هو صورة الفعل وليس ظرف الزمن .

---

(١٥٦) ينظر الكتاب : ٣ : ١١٥ .
(١٥٧) آل عمران : ١٥٩ .
(١٥٨) مجالس ثعلب : ٢ : ٢٤٩ .
(١٥٩) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢٢ .
(١٦٠) المصدر السابق : ١٢٢ .
(١٦١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٢٢ .
(١٦٢) الكتاب : ١ : ٣٥ .
(١٦٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ١٠٤ .

فاذ نفينا عن هذه الطائفة من الأدوات كونها ظروف اقتران حدثين زمنيا ، واذ أوضحنا أنه يمتنع تطبيق أى من المعيارين الشكلى والوظيفى منفردين أو مجتمعين على تلك الأدوات بغية اقحامها فى قسم مستقل من أقسام الكلم فى العربية ، لم يعد هناك من مسوغ لأن يدخل الظرف فى قسم صرفى مستقل فللظرف (خانة نحوية) تتكون مما يقدمه المعجم من مواد أسمية دالة على الزمن ، ومما يقدمه الصرف من بعض أقسام الكلم الى النحو ٠

القسم الثانى

الدراسة التطبيقية

حقل الماضى

١ ـ صيغة فعـــل :

تعبر هذه الصيغة عن دلالة زمنية غير محددة فى الماضى ، وعبارة سيبويه « بناء ما مضى » (١) وبعبارة اخرى تعبر هذه الصيغة عن دلالة قسم زمنى هو الماضى الذى « يحتمل القرب والبعد » (٢) كقوله تعالى : « **خلق الانسان من نطفة** » (٣) ، وليس عن دلالة جهة فى هذا القسم « الماضى القريب ، المستمر ، البعيد ... الخ » وتتحصل الجهة ، أما من تركيبه مع الأدوات كما سيأتى ، أو من الاشارات المقالية الأخرى : ك « وضع كلمة الاشارة ليشير عند الفراغ مما يشير اليه : هذا ما شهد عليه الشهود » (٤) أو من مادة الصيغة نفسها (٥) . كقوله تعالى : « **وان من أمة الا خلا فيها نذير** » (٦) .

حدث « فعل » والمدى الزمانى :

ولما قدمنا من أن هذه الصيغة تعبر عن وقوع أحداث فى أزمان غير محددة فى الماضى ، لحقتها اشارات ظرفية لتحديد زمن غير محدد أصلا ، مع رواج هـــذا اللحق فى الاســتعمال . كقوله تعـــالى : « **ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا** » (٧) وقـــوله : « **قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم** » (٨) ويطرد فى العربية ـ فى مستوياتهـــا عامة ـ توقيت صيغة « فعل » للاشـــعار بارتباطها الوثيق بالسياق التاريخى . كقوله تعالى : « **وقطعناهم فى**

(١) الكتاب : ١ : ١٢ .
(٢) حاشية الصبان : ١ : ٥٩ .
(٣) النحل : ٤ .
(٤) الكتاب : الهامش / تعليق السيرافى : ١ : ١٢ .
(٥) ينظر فصل « الزمن الدلالى » مبحث : « الزمن والمادة المعجمية » .
(٦) فاطر : ٢٤ .
(٧) الكهف : ٢٥ .
(٨) الكهف : ١٩ .

الأرض أمما ... فخلف من بعدهم خلف » (٩) وقوله : « **كم أهلكنا قبلهم من القرون** » (١٠) .

ويعكس نص بروكلمان ذلك : « وفي صيف ٦٢٢ غادر أتباع محمد مكة . وفي ٢٠ أيلول سنة ٦٢٢ وصل الى قباء . ولبث النبي في قباء خمسة أيام . وفي السنة الثانية للهجرة نهض النبي بمهمة اصلاح ذات البين » (١١) .

نفي صيغة فعل :

عبارة سيبويه : اذا قلت « فعل » فان نفيه « لم يفعل » ، واذا قلت : « لقد فعل » فان نفيه « ما فعل » ، لأنه كأنه قال : « والله لقد فعل » فقال : « والله ما فعل » (١٢) .

ان ملاحظة التحليل السابق تؤدي الى :

١ ـ أن نفي « فعل » بـ « لم يفعل » و « ما فعل » سواء ، من الناحية الزمنية ، عند سيبويه ، اذ هما ينفيان وقوع الحدث في الزمن الماضي غير المحدد . والنماذج التطبيقية التي عرض لها سيبويه تنطوي على هـذه القيمة ، أي الدلالة الزمنية الواحدة في نفي « لم يفعل » و « ما فعل » قال : « يقول الرجل : « أتاني رجل » يريد واحدا في العدد ، فيقال : « ما أتاك رجل » أي : أتاك أكثر من ذلك ، أو يقول : « أتاني رجل لا امرأة » فيقال : ما أتاك رجل ، أي : امرأة أتتك ... فاذا قال : « ما أتاك أحد » ، صار نفيا عاما لهذا كله » (١٣) .

وقد صرح النحاة ، بعد سيبويه ، بالتوافق الدلالي الزمني بين : (لم يفعل) و (ما فعل) . قال ابن يعيش : « فتقول : « لم يقم زيد أمس » ، كما تقول : « ما قام زيد أمس » (١٤) .

٢ ـ أن النفي بـ « ما » آكد من النفي بـ « لم » لأن القسم أو « الحلف توكيد » (١٥) على عبارة سيبويه نفسه .

---

(٩) الأعراف : ١٦٨ و ١٦٩ .
(١٠) طه : ١٢٨ .
(١١) تاريخ الشعوب الاسلامية : ٤٥ ، ٤٦ .
(١٢) الكتاب : ٣ : ١١٧ .
(١٣) الكتاب : ١ : ٥٥ .
(١٤) شرح المفصل : ٨ : ١١٠ .
(١٥) الكتاب : ٣ : ٤٩٧ .

وإذا كنا نرى أن تحليل سيبويه يعكس النقطة الأولى ، فإن النقطة الثانية تحتاج إلى نظر :

فهل كان سيبويه ، يقدم فى توزيعاته هذه :

فروقا دلالية فى الأسلوب اللغوى الواحد « النفى » ليشير الى دلالة توكيد الحدث من عدمه ؟ أو الى أمر آخر يتعلق بطبيعة نفى الحدث فى القسم دون طبيعته فى السياق العادى ؟

خلص الدكتور ابراهيم أنيس الى أن سيبويه يشير الى فروق فى دلالة التوكيد بين « ما فعل » و « لم يفعل » ·

وقد بنى الدكتور أنيس على هذا الاستنتاج نقده الذى وجهه الى سيبويه ، حيث جعل ذلك من قبيل السهو الذى وقع فيه ، والذى « لم يكن الا نتيجة اختصاص « ما » بوقوعها فى جواب القسم بخلاف « لم » التى لا تكون جوابا للقسم أبدا » (١٦) ويعنى ذلك أن الدكتور أنيس يقر توزيعات سيبويه :

فعل	: لم يفعل
(والله) لقد فعل	: (والله) ما فعل

ويحملها فهما (وقد يفهم) (١٧) لم يصرح به سيبويه ، وهو التوكيد بـ « ما » دون « لم » ·

ان سيبويه ، فيما نرى ، لم يكن يشير الى دلالة التوكيد ، بل كان يوزع انساقا لغوية ، بحسب نوع النفى الذى يجرى داخل هذه الانساق · وبعبارة أخرى : ان نفى الأحداث فى زمن ماض غير محدد هو ما يشير اليه النفى بـ « ما » و « لم » ، غير أن هناك فرقا فى طبيعة النفى بـ « ما » دون « لم » ، الأمر الذى يجعل لـ « ما » اختصاصا غير الذى لـ « لم » وسوف نعرض لهذه النقطة بشىء من التفصيل فى موضع آخر من هذا الفصل ·

ان الباحثين المعاصرين عرضوا للفرق بين النفى بـ « ما » والنفى بـ « لم » من جهة نوع النفى ، ومن جهة زمن هذا النفى وقد انتهى الدكتور ابراهيم أنيس الى أن « استقراء الأساليب العربية بصورة

---

(١٦) من أسرار اللغة : ١٨٥ ·
(١٧) من أسرار اللغة : ١٨٥ ·

أشمل يرجح ما نذهب اليه من أن النفى بـ « لم » آكد من النفى بأداة بسيطة مثل : « ما » (١٨) ٠

وقد تابعه الأستاذ أحمد البقرى فى رسالته : « أساليب النفى فى القرآن » فى أن « لم » آكد فى النفى ، أو على (١٩) الأقل لا يمكن أن يكون النفى بها أضعف من النفى بـ « ما » (٢٠) ٠

أما العقاد فقد وجد النفى بـ « لم » و « ما » ذا دلالتين مختلفتين فـ « لم » تنفى الحدوث و « ما » تفيد نفى الانبغاء ٠ وحاول أن يقدم تفسيرا لدخول « لم » على المضارع فقط ، ودخول « ما » على الماضى والمضارع ، مفاده أنه لما كانت « لم » تنفى الحدوث ـ ونفى الحدوث بالبداهة لا يكون الا لزمن ماض ـ فمن أجل هذا تقتصد اللغة فلا تحول الفعل من صيغة المضارع الى صيغة الماضى بعد لم (٢١) ٠

ان ما أسماه العقاد (نفى الانبغاء) ، تردد ، كما سيأتى ، عند النحاة القدماء ٠ وعلى الرغم من أن العقاد يضع قاعدة صارمة فى تفسير دخول « لم » على « المضارع » دون « الماضى » ، ويرد هذه القاعدة الى ظاهرة الاقتصاد اللغوى ، من غير أن يوضح أسس هذا الرد ، فانه يعد أول من فصل فى الفروق الدلالية للنفى فى اللغة العربية ٠ والمهم ، فى هذا السياق ، أن اعادة النظر فى توزيعات سيبويه ، التى تقابل بين صيغ ومركبات فى الاثبات والنفى ، أصبحت أمرا ممكنا ٠ وسنعمد الى ذلك :

توزيعات سيبويه :

١ ـ فعـــل	لم يفعـــل
٢ ـ لقد فعـــل	ما فعـــل

(١٨) من أسرار اللغة : ١٨٦ ٠
(١٩) الصحيح : فى ٠
(٢٠) أساليب النفى فى القرآن : ١١٢ ٠
(٢١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤٢ ٠

١ ـ فعــل ↓ اثبات حدوث	لـم يفعــل ↓ نفى حــدوث
٢ ـ ل قد فعل ل ↓ مورفيم ربط يشير الى أسلوب بعينه هو القسم قد ↓ أداة توكيد فعل ↓ حدوث ↓ والله لقد فعل ↓ اثبات قسم	ما فعــل ↓ نفى انبغاء ↓ نفى قسم

فكأننا حين ننفى حدثا مقسما على وقوعه لا نتجه الى نفى الحدث بل الى ان هــذا الحدث ينبغى ألا يقع أصــلا ٠ وهذا هو الذى يفسر اختصــاص « ما » بوقوعها فى جواب القســم بخــلاف « لم » (٢٢) ٠ ف سيبويه وفق هذا ، لم يكن يريد المفاضلة بين « لم » و « ما » ، أيهما أقوى فى التوكيد ، كما توهم الدكتور ابراهيم أنيس ، ولا يريد أيضا الاشارة الى خطوط زمنية (٢٣) ٠ كما توهم الدكتور تمام حسان ٠ ما يريده ها هنا التفريق بين نفى ونفى ٠

أما المستشرق الأســتاذ كراوس فقــد افترض ، كمــا عرضنا لذلك (٢٤) : « أن صيغة « يفعل » كانت موجودة غير مقيدة بزمن ، ثم نشأ « فعل » بعد ذلك » (٢٥) ٠

وكان الأســتاذ برجشتراسر قد اســتند الى الاسس التاريخيــة

(٢٢) من أسرار اللغة : ١٨٥ ٠

(٢٣) فاذا أراد ذلك نص عليه ، كما سنرى ٠

(٢٤) ينظر الفصل الأول / الزمن الصرفى : ص ٣٦ ٠

(٢٥) محاضرات فى فقه اللغة / مخطوطة : ٣٥ ٠

ذاتها ، حيث انتهى الى « أن نفى الماضى القديم فى العربية هو « لم يفعل » والحديث هو « ما فعل » (٢٦) ·

والخلاصة : اذا أنعمنا النظر فى المباحث اللغوية القديمة والمعاصرة ، وجدنا أنها تعلق الفرق بين نفى « فعل » بـ « ما » ونفيه بـ « لم » على :

(أ) الاطار التاريخى (رأى المستشرقين) ·

(ب) الاطار الدلالى ــ التأكيد ــ الانبغاء ــ الحدوث (رأى عدد من الباحثين العرب ، القدماء والمعاصرين) ·

(جـ) الاطار الزمنى (رأى الدكتور تمام حسان ــ الذى سنعرض له قريبا) ·

ولكى نستكمل الاحاطة بالفرق أو الفروق بين هذين النفيين ينبغى أن نلقى نظرة فاحصة على استعمالهما القرآنى ·

وسنجد أن نفى « فعـل » بـ « ما » يكون فى القـرآن الأنماط الآتية :

١ ــ نمط الحصر :

ومنه قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك الا رجالا » (٢٧) وقوله : « وما أرسـلنا من قبلك من رسـول الا نوحى اليه » (٢٨) وقوله : **« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان » (٢٩) وقوله : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام » (٣٠) وقوله : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها » (٣١) ·**

وملحظ الاثبات أو الايجاب فى التركيبات القرآنية السابقة واضح، فليس القصد نفى حدث الارسال ، كما لو قيل « لم نرسل » وعلى عبارة سيبويه : « ولكنك أدخلت (الا) لتوجب الأفعال لهذه الأسماء ولتنفى ما سواها » (٣٢) ·

---

(٢٦) التطور النحوى للغة العربية :
(٢٧) يوسف : ١٠٩ ·
(٢٨) الأنبياء : ٢٥ ·
(٢٩) الحج : ٥٢ ·
(٣٠) الفرقان : ٢٠ ·
(٣١) الزخرف : ٢٣ ·
(٣٢) الكتاب : ٢ : ٣١٠ ·

٢ ـ نمط المفعول المقترن ب « من » :

تصحب « من » ، غالبا ، مفعول الفعل المنفى ب « ما » كقوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول » (٣٣) وقوله : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين » (٣٤) وقوله : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير » (٣٥) وقوله : « ما اتخذ الله من ولد » (٣٦) وقوله : « وما كان معه من اله » (٣٧) · قال الأخفش : « ومنه قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » (٣٨) : انما ادخل « من » توكيدا ، كما نقول « رأيت زيدا نفسه » (٣٩) وكان سيبويه قد عرض ل « من » فجعل لها هنا وظيفة التوكيد · قال « معنى « ما أتانى أحد » و « ما أتانى من أحد » واحد · ولكن « من » دخلت هنا توكيدا كما تدخل « الباء » فى قولك « ما أنت بفاعل » و « لست بفاعل » (٤٠) ·

وقد أشارت بعض المباحث المعاصرة · مستهدية بالنظرية التى ترى فى السوابق واللواحق Affixes « بقايا كلمات مستقلة قديمة أفرغت من معناها الحقيقى ، واستعملت مجرد موضحات ، أى مجرد رموز » (٤١) ، أشارت الى أن بعض هذه الكلمات « لا تلصق بغيرها ، ولكنها تتبلور وتتجمد ومنها « من » التى هى فيما يبدو صورة جامدة من « المن » أى القطـــع ، أصبحت حرفـا مبنيا على السكون ، وبقيت ، مع ذلك آثار معنى القطع فيه » (٤٢) · وهذا الافتراض سبقت اليه المباحث اللغوية القديمة ، وان اختلفت فى التأصيل · ففى (لسان العرب) : « (من) أصلها انما هو « منا » فلما جعلت أداة حذفت « الألف » وبقيت « النون » مفتوحة ··· » (٤٣) ·

يساعدنا ، ما تقدم ، على القول ان نفى « فعل » ب « ما » ، شأنه

---

(٣٣) الأنبياء : ٢٥ ·
(٣٤) الفرقان : ٢٠ ·
(٣٥) الزخرف : ٢٣ ·
(٣٦) المؤمنون : ٩١ ·
(٣٧) المؤمنون : ٩١ ·
(٣٨) الأحزاب : ٤ ·
(٣٩) اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج : ٣ : ٨٧٠ ·
(٤٠) الكتاب : ٢ : ٣١٦ ·
(٤١) المدخل الى النحو العربى على ضوء اللغات السامية : ٥٧ ·
(٤٢) المدخل الى النحو العربى على ضوء اللغات السامية : ١١٨ ·
(٤٣) لسان العرب : ١٣ : ٤٢٢ ·

شأن النفى بـ « ليس » احتاج الى قرينة أخرى فى بعض مراحل الاستعمال المبكرة ، تشـير الى دلالة النفى ، وهـذه القرينة هى « من » الدالة على القطع ٠

فكأن « ما » نزعت الى نفى « فعل » فى مراحل متقدمة من مراحل اللغة العربية ٠ فاحتاجت الى أداة مساعدة ٠

٣ ـ نمط النفى مع لام الجحد :

ومنه قوله تعالى :

« **وما كان الله ليضيع ايمانكم** » (٤٤) وقوله : « **ما كان الله ليذر المؤمنين** » (٤٥) وقوله : « **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** » (٤٦) وقوله : « **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** » (٤٧) ٠

وقد تكرر نفى « ما كان » مع هذه « اللام » فى القرآن سبع عشرة مرة فى حين اقتصر نفى « لم يكن » معها على ثلاثة تركيبات (٤٨) ، منها قوله تعـالى : « لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم » (٤٩) وتتطـابق وظيفة هذه « اللام » مع وظيفة « من » فى النمط السابق ، اذ هى « لام تأكيد النفى » (٥٠) وقال النحاس : والصواب تسميتها « لام النفى »(٥١)

ويعنى ذلك أن النفى بـ « ما » تصاحبه مورفيمات وظيفتها : الاشعار بأن « ما » أداة نفى أولا ، ولتعميق نفى الحدث المنفى بها ثانيا ،ويعكس ذلك طورا استعماليا متقدما ، أى وجود علامتى نفى فى تركيب واحد : (ما + من) (ما + ل) ٠ (ما + ب) ٠

ويعكس الاستعمال اللغوى فى اللهجات العامية العربية المعاصرة شيئا من ذلك ٠ ففى اللهجة المصرية تلحق الفعل المنفى بـ « ما » « شـين » يمكن أن نسميها « شـين النفى » ٠ مثل : « ما أبلتهوش = ما قابلته » ٠ وفى لهجة سكان الهور ، جنوبى العراق ، تلحق الفعل المنفى بأداة النفى « عيب » « الشين » ذاتها ٠ فيقال : « عيب رحتيش = ما رحت » ٠ وفى

---

(٤٤) البقرة : ١٤٣ ٠
(٤٥) آل عمران : ١٧٩ ٠
(٤٦) التوبة : ١٢٢ ٠
(٤٧) آل عمران : ١٧٩ ٠
(٤٨) أساليب النفى فى القرآن : ١١٥ ٠
(٤٩) النساء : ١٣٧ ٠
(٥٠) الجمل : ٢٣ ٠
(٥١) مغني اللبيب : ١ : ٢١١ ٠

اللهجة الفلسطينية يكتفى ، أحيانا ، بهذه (الشين) للتعبير عن النفى . فيقال : « بديش » أو « مابديش » أى « لا أريد » .

فاذا عرضنا لنفى « فعل » ب « ما » و « لم » خارج صور أنماط النفى الثلاث السابقة وجدنا :

١ ـ أن نفى (ما فعل) يتسم ، من الناحية الدلالية ، فى أكثر مواضعه ، بدلالة الانبغاء التى نبه اليها الأستاذ العقاد (٥٢) . كما فى قوله تعالى : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين » (٥٣) وقوله : « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد » (٥٤) وقوله : « وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام » (٥٥) وقوله : « وما كانوا خالدين » (٥٦) وقد عرض دارسو النص القرآنى لهذه الدلالة ، يقول الفراء فى قوله تعالى : « ما كان لنبى أن يكون له أسرى » (٥٧) : « ما كان ينبغى لنبى أن يكون له أسرى معناه : ما كان ينبغى له يوم بدر أن يقبل فداء الأسرى » (٥٨) .

٢ ـ ان نفى (الشرط) فى العربية يكون ب « لم » دون « ما » ففى قوله تعالى : « فأين ما تولوا فثم وجه الله (٥٩) « اما يبلغن » (٦٠) « واما تخافن » (٦١) لا دلالة لـ « ما » على النفى مطلقا : فهى بتركيبها مع أفعال الشرط ليست الا « بقية من أداة شرط مندثرة» (٦٢) فاذا أردنا نفى أفعال الشرط اقتصرنا على « لم » فى الغالب وعلى « لا» النافية أحيانا ، كقوله تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله » (٦٣). يقول بعض النحاة : «وتنفرد « لم » بمصاحبة الشرط نحو : « وان لم تفعل فما بلغت رسالته . » (٦٤) ويعنى ذلك أن نفى التركيب الشرطى ، وهو تركيب قديم ، ليس فى العربية حسب ، بل فيما يطلق عليه مجموعة

---

(٥٢) ينظر : مجلة اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤٢ .
(٥٣) الأنبياء : ١٦ .
(٥٤) الأنبياء : ٣٤ .
(٥٥) الأنبياء : ٨ .
(٥٦) الأنبياء : ٨ .
(٥٧) الأنفال : ٦٧ .
(٥٨) معانى القرآن : ١ : ٤٨١ .
(٥٩) البقرة : ١١٥ .
(٦٠) الاسراء : ٢٣ .
(٦١) الأنفال : ٥٨ .
(٦٢) فى التركيب اللغوى للشعر العراقى المعاصر : ٢٤٢ .
(٦٣) التوبة : ٤٠ .
(٦٤) حاشية الصبان : ٤ : ٥ .

اللغات السامية (٦٥) يشير الى قدم النفى ب « لم » دون « ما » ٠

٣ ـ أن تركيب الاستفهام فى العربية ينفى ب : « لم » دون « ما » شأنه فى ذلك شأن (الشرق المنفى) ٠ قال تعالى : « **أفلم يهد لهم** » (٦٦) وقال : « **ألم يروا الى الطير مسخرات** » (٦٧) ٠

٤ ـ أن النقاط الثلاث السابقة تؤكد تفسير المستشرقين التاريخى لظاهرة نفى الفعل ب « لم » و « ما » ٠ وتعزز الافتراض القائل ان الطور الأول لنفى الحدث الفعلى (المضارع) يكون ب « لم » ٠ وآثار هذا الطور تظهر فى الابواب النحويه القديمة كالشرط والاستفهام كما تظهر الفروق الدلالية للنفى فى الأطوار اللاحقة ، التى ألمح اليها سيبويه وصرح بها الفراء وفصلها العقاد ، صحة تفسير المستشرقين أيضا ٠

ويرينا الاحتكاك اللغوى المعاصر بين العامية والفصيحة المعاصرتين ، التحول فى استعمال أدوات النفى ٠ ف « لم » تختفى تماما من الاستعمال فى العامية ، فى حين تحل محلها الأداة « ما » ٠ ويرينا المثالان الآتيان فروق الدلالة :

٠ اذا ما درست الفصيحة = اذا درست = اثبات

٠ اذا ما درست العامية = اذا ما درست = نفى

بيد أنه لم يعد فى مقدور العربية الفصيحة وضع حدود فاصلة بين نفى « فعل » ب « لم » و « ما » ، وذلك لأن تعاقب الاستعمال ترك آثارا من تداخل الأشكال والمعانى بينهما :

فمن الناحية الشكلية يمكن ايراد نفى الكون ، كقوله تعالى :« وما كان الله ليضيع ايمانكم » (٦٨) وقوله : « لم يكن الله ليغفر لهم (٦٩) وقد عرضنا سابقا (٧٠) لحجم الاستعمال ، لكل من هذين التركيبين ، بوصفه اشارة الى الاستعمال اللغوى فى تعاقبه التاريخى ويمكن النظر الى الأشكال التركيبية الآتية فى ضوء ذلك التداخل أيضا قال تعالى :

---

(٦٥) درست التغييرات الاعرابية التى تطرأ على الفعل فى (الشرط) بوصفها ظاهرة نحوية قديمة فى تركيب نحوى قديم ٠ وينظر فى ذلك : أدوات الشرط فى اللغات السامية ـ مخطوطة : ٣ ٠

(٦٦) طه : ١٢٨ ٠

(٦٧) النحل : ٧٩ ٠

(٦٨) البقرة : ١٤٣ ٠

(٦٩) النساء : ١٦٨ ٠

(٧٠) انظر / ص ٢٢٧ ٠

« ما اتخــذ الله من ولد » (٧١) وقال : « لم يتخــذ ولدا ولم يكن له شريك » (٧٢) وقال : « ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » (٧٣) وقال : « ولم يتخذ ولدا » (٧٤) ٠

اما من ناحية المعنى فهناك تركيبات لا يشير نفى « ما » فيهــا الا الى نفى الحدوث ، منها قوله تعالى : « لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » (٧٥) ٠ فالنفى هنا منصب على حدث الاتيان فقط ، اى : ما اتاهم نذير « فى زمان الفترة بينك وبين عيسى » (٧٦) وقوله تعــالى : « وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الأمــر وما كنت من الشاهدين » (٧٧) وقوله : « وما كنت بجانب الطور » (٧٨)

فليس هنا الا نفى حدث الحضور ، أى « ما كنت حاضــرا المكان الذى أوحينا فيه الى موسى » (٧٩) وفى قوله تعالى : « قالوا يا هــود ما جئتنا ببينة » (٨٠) انصب النفى على المجىء ببينة ٠

ان ما تقدم ينتهى بنا الى أن نفى صيغة « فعل » هو « لم يفعل » و « ما فعل » ٠ واما ما ذهب اليه الدكتور تمام حسان من أن « ما فعل » هو نفى وقوع حدث ماض منته بالحاضر (٨١) فابتداع لا يرتكز الى ملاحظة فى نص قديم أو حديث ٠

وما أظنه الا قد ربط بين قول سيبويه : « (ما فعل) نفى « لقد فعل » (٨٢) الذى بنظيره « قد فعل » دلالة الماضى القريب من الحاضر كما سنعرض لذلك فى النقطة التاليه ٠ فبنى على ذلك توزيعاته على النحو الآتى :

الزمن	الجهة	الاثبات	النفى	التأكيد
الماضى	المنتهى بالحاضر	قد فعل	ما فعل	لقد فعل

(٧١) المؤمنون : ٩١ ٠
(٧٢) الاسراء : ١١١ ٠
(٧٣) الجن : ٣ ٠
(٧٤) الفرقان : ٢ ٠
(٧٥) القصص : ٤٦ ٠
(٧٦) الكشاف : ٣ : ١٨٢ ٠
(٧٧) القصص : ٤٤ ٠
(٧٨) القصص : ٤٦ ٠
(٧٩) الكشاف : ٣ : ١٨١ ٠
(٨٠) هود : ٥٣ ٠
(٨١) ينظر اللغة العربيه معناها ومبناها . ملاحق الكتاب / جدول الزمن ٠
(٨٢) الكتاب : ٣ : ١١٧ ٠

وهو توزيع اعتباطى ، لا يمثل احساس متكلم العربية القديم بهذه الفروق النحويه فى الزمن ، كما انه لا يعكس احساس متكلم العربيه المعاصر ان وجد ٠

قد فعل :

قال سيبويه : « واذا قال « قد فعل » فان نفيه « لما يفعل » (٨٣) وقال فى موضع آخر : « وأما « قد » فجواب لقوله « لما يفعل » فتقول « قد فعل » ، وزعم الخليل آن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر » (٨٤) ٠ وفى موضع ثالث قال : « و « لما يفعل » و « قد فعل » انما هما لقوم ينتظرون شيئا ، فمن تم أشبهت « قد » « لما » فى انهما لا ينفصل بينها وبين الفعل » (٨٥) ٠

وشرح السيرافى ذلك بقوله : « يعنى أن الانسان اذا سأل عن فعل فاعل ، أو كان يتوقع ان يخبر به ٠ قيل له « قد فعل » واذا كان المخبر مبتدئا قلت « فعل فلان كذا ٠٠٠ » (٨٦) ٠

ومثل ابن هشام لذلك بـ « قول المؤذن : « قد قامت الصلاة » لأن الجماعة منتظرون لذلك » (٨٧) ٠

وفى كل تطبيقات سيبويه لم ترد اشارة الى سمة زمنية مضافة الى المركب « قد فعل » ، أو الى فروق فى الجهة الزمنية بين « قد فعل » و « فعل » ٠ بل ان سيبويه أشعر أن « قد فعل » يدل على زمن ماض حسب ٠ قال : « آلا ترى ان قولك : « قد ذهب » بمنزلة قولك : « قدكان منه ذهاب » ٠٠ » (٨٨) ٠

لقد فرق سيبويه بين « قد فعل » و « فعل » من جهة و « لما يفعل » و « لم يفعل » من جهة أخرى تفريقا يتصل بما يطلق عليه فى المنهج التحويلى « قواعد الترتيب Arrangement » (٨٩) ٠

فجملة : « قد فعل » تشير الى جملة سابقة هى « هل فعل ؟ » وهذه الجملة اما أن تكون منطوقة ، أو فى حكم المنطوقة باعتبارها مشيرا

---

(٨٣) الكتاب : ٣ : ١١٧ ٠
(٨٤) الكتاب . ٣ : ١١٥ ٠
(٨٥) الكتاب : ٣ : ١١٤ ، ١١٥ ٠
(٨٦) الكتاب : الهامش : ٤ : ٢٢٣ ٠
(٨٧) مغنى اللبيب : ١ : ١٧١ ٠
(٨٨) الكتاب : ١ : ٣٤ ٠
(٨٩) ينظر النحو العربى والدرس الحديث : ١٥٤ ٠

مقابلا لجملة « فعل » المستأنفة ، ومن هذا القبيل قول المؤذن : « قد قامت الصلاة » فانها جواب لقوم ينتظرون فيسألون « هل قامت الصلاة ؟ »

وتشير تحليلات سيبويه لـ « قد فعل » و « لما يفعل » الى « الموقعية » أو « الرتبة » بوصفها مبدأ من مبادىء التوزيع اللغوى عنده • فالرتبة الواحدة لـ « قد » و « لما » جعلتهما فى حقل واحد من حيث ائتلافهما مع الفعل بلا فاصل وهو معنى عبارته « فمن ثم أشبهت « قد » « لما » فى أنهالا يفصل بينها وبين الفعل » (٩٠) •

وألمح باحثون قدماء ومعاصرون الى عدم استقرار الدلالة الزمنية التى يعبر عنها المركبان « قد فعل » ونفيه « لما يفعل » مما سنعرض له فى مبحث « لما يفعل » •

أما المعاصرون الذين لم يلصقوا بـ « قد » مع « فعل » دلالة زمنية معينة فمنهم الأستاذ حامد عبد القادر الذى جعل « قد فعل » للماضى المؤكد (٩١) وجعل من ذلك قوله تعالى : « يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك » (٩٢) وجعل المركب « لقد فعل » من قبيل زيادة هذا التأكيد (٩٣) كما فى قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » (٩٤) وعزا التوكيد بـ « قد » الى أن هذه الأداة منقولة ــ كما هو رأى كثير من علماء اللغة ــ عن الفعل « قد » بمعنى « قطع » •• » (٩٥) •

لكن أغلب الباحثين القدماء ، بعد سيبويه ، وعددا من المعاصرين الصقوا دلالة زمنية بـ « قد » و « لما » •

قال ابن الخباز : « اذا دخل « قد » على الماضى أثر فيه معنيين : تقريبه من الحال وجعله خبرا منتظرا » (٩٦) •

ومن أجل ذلك جوزوا اقتران « « الآن » أو « الساعة » به فيقال : « قد قام الآن » أو : « الساعة » •• » (٩٧)

---

(٩٠) الكتاب : ٣ : ١١٥ •

(٩١) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٦٨ •

(٩٢) النساء : ١٥٣ •

(٩٣) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٦٩ •

(٩٤) التوبة : ١٢٨ •

(٩٥) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة : معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٦٩ •

(٩٦) الجنى الدانى : ٢٧١ •

(٩٧) الانصاف : ١ : ٢٥٤ •

وقد انعكست نتائج البحث النحوى القديم على أغلب المباحث المعاصرة · ليس هذا حسب ، بل ان بعض الباحثين فسر توزيعات سيبويه « قد فعل » و « لما يفعل » تفسيرا زمنيا ، وهو أمر نفيناه عن « قد فعل » كما مر · يقول الدكتور مهدى المخزومى : « نستعمل (صيغة قد فعل) للتعبير عن وقوع حدث فى زمن ماض قريب من الحال ونفيه انما يكون « لما يفعل » · قال سيبويه : « اذا قال « فعل » فان نفيه « لم يفعل » واذا قال : « قد فعل » فان نفيه « لما يفعل » (٩٨) ·

وقد ذهب الأستاذان الدكتور مهدى المخزومى والدكتور ابراهيم السامرائى الى ما ذهب اليه المستشرق الأستاذ رايت من أن « قد فعل » تدل على وقوع الحدث تماما قبل زمن التكلم قليلا ، كما فى الشاهد : « قد ذكرنا وزارة جدهم خالد بن برمك فى أيام المنصور ، ونذكر ها هنا وزارة الباقين » (٩٩) ·

وبين الدكتور ابراهيم السامرائى أنه الى مثل هذا توصل كل من المسيو بلاشير والمسيو ديمومبين فى تناولهم مسألة « الزمان فى الفعل العربى » فقد اهتديا الى « الماضى القريب » كما فى قوله تعالى : « **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق** » (١٠٠) ·

ان الربط بين مركب « قد فعل » ودلالة الماضى القريب أو الماضى المنتهى فى الحاضر على نحو توزيعى أمر غير صحيح · أما الشاهد الذى ساقه المستشرق الأستاذ رايت « قد ذكرنا ·· ونذكر ها هنا···» فدلالة قد ذكرنا على الماضى القريب صريحة · فما نريد أن نبينه أن المركب « قد فعل » شأنه شأن صيغة « فعل » يدل على ماض قد يكون مطلقا أو قريبا أو بعيدا · واذا كانت قد ذكرت استعمالات ينجه فيها المركب «قد فعل» الى التعبير عن الماضى القريب فان استعمالات أخرى تبين اتجاه صيغة « فعل » الى التعبير عن الزمن ذاته · والى مثل هذا أشار الدكتور مهدى المخزومى : « ألحقت العربية « قد » ببناء « فعل » ليدل المركب على معنى زائد على ما يدل عليه البناء المطلق نفسه من تأكيد وقوع الحدث ، وازالة الشك فى وقوعه ·· ولكن لهذا المركب فى الاستعمالات دلالات أخرى غير ما ذكرت وهى الدلالة على وقوع الحدث فى زمان قريب من الحاضر » (١٠١) ·

---

(٩٨) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٦ ·
(٩٩) ينظر : فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٢ ·
وينظر الفعل زمانه وأبنيته : ٢٧ ·
(١٠٠) الفعل زمانه وأبنيته : ٢٨ وقد ثبتت الآية الكريمة فيه كما يأتى :
« قد خلقنا فوقكم سبع طرائق » والصحيح ما أثبتناه : المؤمنون : ١٧ ·
(١٠١) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٠ ، ١٥١ ·

وقال في موضع آخر : « وقد نسمع من يقول : « تحرك القطار » اذا كان تحركه في الزمن المتصل بالاخبار » (١٠٢) أما استشهد المستشرقين الاستاذين بلاشير وديمومبين ، الذى اسـتقر اليه الدكتور ابراهيم السامرائى ، بقوله تعالى : « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » فليس مما يؤيد أن حدث « خلق » بعد « قد » يدل على ماض قريب من الحاضر ويشير تعاقب الاستعمال في السياق القرآني الذى وردت فيه الآية الكريمة السابقة الى وقوع « لقد فعل » و « فعل » في خط دلالى واحد: قوله تعالى : « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين وأنزلنا من السماء ماء » (١٠٣) وسنعرض في النقطة التالية لاستعمالات « قد فعل » في القرآن بتفصيل ٠

وقد استند الدكتور تمام حسان الى الرأى النحوى القائل بدلالة « قد فعل » على الزمن الماضى المنتهى بالحاضر لكنه افترض أن نفيه « ما فعل » وليس « لما يفعل » كما اسند الى المركب « لقد فعل » دلالة توكيد للزمن الماضى المنتهى بالحاضر ٠ (١٠٤)

وهذه توزيعات ودلالات افتراضية لا تستند الى أساس ما ٠

« قد فعل »

في الاستعمال القرآني :

لا نلاحظ في الاستعمال القرآني دلالة زمنية ما للمركب « قد فعل » خلاف دلالته على ماض غير محدد ٠

ففى قوله تعالى : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » (١٠٥) ٠

يفترض أن يقوم ــ وفق التحليلات السابقة ــ مقابل « قد قصصنا » « لما تقصص » ٠ كما ان « قد قصصناهم من قبل » دلت على ماض بعيد ، وليس قريبا أو منتهيا بالحاضر كما هو زعم أكثر الباحثين ٠ وقد عرضنا لما ذهب اليه الأستاذ حامد عبد القادر من أن وظيفة التأكيد دون الجهة الزمنية ، هي التى يؤديها هذا المركب ، وهو لم يكتف بذلك بل ألصق بالماضى المؤكد بـ « قد » متبوعا بالظرف « قبل » أو « من قبل » دلالة

---

(١٠٢) المصدر السابق : ١٥٢ ٠
(١٠٣) المؤمنون : ١٧ و ١٨ ٠
(١٠٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملاحق الكتاب / جدول الزمن ٠
(١٠٥) النساء : ١٦٤ ٠

« الماضى البعيد » (١٠٦) كما فى قوله تعالى : « **آلآن وقد عصيت قبل** وكنت من المفسدين » (١٠٧) ويؤيد الاستعمال القرآنى ما يذهب اليـه الأستاذ حامد عبدالقادر قال تعالى : «**سنة الله التى قد خلت من قبل**» (١٠٨) فمادة الفعل « خلت » والاشارة الظرفية « من قبل » يشعران بزمن بعيد ٠

ان ملاحظة هذه النصوص تشير الى أن صيغة « فعل » ومركب « قد فعل » لا يختلفان فى الدلاله على الماضى غير المحدد فقد يشعر حدثاهما بوقوعهما فى ماض قريب أو بعيد ٠٠ الخ ٠

أما أغلب الباحثين القدماء والمعاصرين الذين ألصقوا بالمركب « قد فعل » دلالة جهة زمنية ، فقد استندوا ـ فى أقوى ظن ـ الى المقابلة بين « قد فعل » و « لما يفعل » لافتراض أن نفى الاستغراق فى « لما » يعنى زمنا ماضيا ممتدا الى الحاضر ٠

لقد فعـل :

أما المركب « لقد فعل » فكأن سيبويه جعل هذه « اللام » لام قسم ٠ وفى الاستعمال القرآنى ما يؤيد ذلك ، كقوله تعالى :

« **تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك** » (١٠٩) فأدخل هذه التركيبات فى أسلوب القسم « لأنه كأنه قال : « **والله لقد فعل** » (١١٠) فسيبويه لا ينظر الى الناحية الزمنية بل أن اهتمامه ينصب على مناح أخرى تتعلق بتصنيفات الأساليب اللغوية كالنفى والاثبات والتأكيد والقسم ٠٠ الخ ٠

وقد استند الأستاذ حامد عبد القادر بصورة ما الى هذه الملاحظة حين جعل مركب « لقد فعل » لزيادة تأكيد حدوث الفعل فى الماضى (١١١) كما فى قوله تعالى : « **لقـد جاءكم رسول من أنفسكم** » (١١٢) ولهذا المركب « لقد فعـل» قيمة استعمالية عالية فى النص القرآنى :

---

(١٠٦) ينظر مجلة مجمع اللغة العربيه / مقالة معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم : ١٠ : ٦٩ ٠
(١٠٧) يونس : ٩١ ٠
(١٠٨) الفتح : ٢٣ ٠
(١٠٩) النحل : ٦٣ ٠
(١١٠) الكتاب : ٣ : ١١٧ ٠
(١١١) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى الماضى والمضارع فى القرآن الكريم ١٠ : ٦٩ ٠
(١١٢) التوبة ، ١٢٨ ٠

من ذلك قوله تعالى : «**ولقد استهزىء برسل من قبلك**» (١١٣) ، وقوله : « **ولقد آتينا موسى تسع آيات** » (١١٤) ، وقوله : « **قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء** » (١١٥) ، وقوله : « **لقد جئتم شيئا ادا** » (١١٦) •

وليس هنا ما يشعرنا بدلالة زمنية خاصة لهذا المركب يميزه عن دلالة « فعل » الزمنية • بل ان « لقد » تأتلف مع مركب « كان فعل » الذى الصق به الباحثون المعاصرون دلالة الماضى البعيد ـ كما سنعرض لذلك ـ قال تعالى : « **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل** » (١١٧) ومن هنا فان ما ألصقه الدكتور تمام حسان بهذا المركب من دلالة تأكيد الماضى المنتهى بالحاضر أمر لا يقره الاستعمال اللغوى بل يكشف عن ولع الدكتور تمام بتصنيف خانات زمنية ملفقة •

لما يفعل :

جعل سيبويه ـ كما عرضنا لذلك ـ (١١٨) « لما يفعل » نفيا ل « قد فعل » من حيث انهما « لقوم ينتظرون شيئا » (١١٩) ، وكما قلنا فان السمة المضافة الى دلالة النفى خاصة بهذا المركب تتعلق بناحية كون التركيب معها معلقا أو مستأنفا • وقد نسب الاشمونى الى مصنف الالفية رأيه فى أن « كون منفى « لما » يكون قريبا من الحال ، غالب لا لازم » (١٢٠)ومثل الصبان لذلك ب «ندم ابليس ولما ينفعه الندم»(١٢١) ف « لما » تقع موقع « لم » تقول : « أتيتك ولما أصل اليك « أى : « ولم أصل اليك » (١٢٢) وفى موضع آخر جعل الاشمونى النفى ب « لما » ـ فضلا عن كونه نفيا لما يتوقع ـ نفيا « يتوقع ثبوته » (١٢٣) • وقد عرض الزمخشرى لتوقع ثبوت النفى ب « لما » فى قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان

---

(١١٣) الأنعام : ١٠ •
(١١٤) الاسراء : ١٠١ •
(١١٥) الاسراء : ١٠٢ •
(١١٦) مريم : ٨٩ •
(١١٧) الأحزاب : ١٥ •
(١١٨) انظر ص ٢٢٩ من هدا الفصل •
(١١٩) الكتاب : ٣ : ١١٥ •
(١٢٠) شرح الأشمونى : ٣ : ٥٧٧ •
(١٢١) حاشية الصبان : ٤ : ٧ •
(١٢٢) المصدر السابق : ٤ : ٧ •
(١٢٣) شرح الأشمونى : ٣ : ٥٧٧ •

فى قلوبكم » (١٢٤) قال : « وما فى « لما » من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد » (١٢٥) ٠

وقد ألمح النحاة الى السياق التاريخى لاستعمال « لم » و « لما » بافتراض أن « لما » هى « لم » « ضمت اليها « ما » (١٢٦) ٠

وهذه الأداة المركبة من « لم + ما » اتجهت الى افادة ناحيـــة دلالية مضافة الى وظيفة النفى التى تدل عليها أصلا ٠ وقد عرضنا للفائدة المضافة عند سيبويه وهى افادة التوقع ، وعند آخرين : وهى ثبوت تحقق هذا المتوقع ٠

وقد زاد النحاة العنصر الزمنى بوصفه عنصر تفريق بين « لم و « لما » أى « التوقع والانتظار واستطالة زمان فعلها » (١٢٧) فكأنها موضوعـة لنفى « الاستغراق أى امتداد نفيها من حين الانتفاء الى حال التكلم » (١٢٨) أو أنها لـ « نفى الحدوث مع انتظاره فى المستقبل » (١٢٩) ٠

ويقدم لنا الخضرى فى حاشيته (١٣٠) جدولا بالخصائص الدلالية لـ « لم » و « لما » فى العربية على النحو الآتى :

لمـــا	لم
• تختص بوجوب اتصـــال نفيهـــا بحال النطق ٠	• قد يتصل نفيهـا نحو « لم يلد ولم يولد» (١٣١)وقد ينقطع نحو « لم يكن شيئا مذكورا » (١٣٢) أى « ثم كان » ٠
• جواز حذف مجزومهـــا اختبــارا لدليل كـ « قاربت المدينة ولما » أى « ولما أدخلها » ٠	• لا يحذف (المجزوم) فى « لم » الا ضرورة ٠
• قرب نفيها من الحال ، فلا يجوز « لما يقم زيد فى العام الماضى »	• تصاحب الشرط ٠
• منفيها متوقع الحصول غالبـا نحو « لما يذوقوا عذاب » (١٣٣)	

(١٢٤) الحجرات : ١٤ ٠ (١٢٥) الكشاف : ٣ : ٥٧٠ ٠
(١٢٦) أساليب النفى فى القرآن : ١٠٢ ٠
(١٢٧) المفصل : ٣٠ ٠ (١٢٨) الكافية : ٢ : ٢٣٢ ٠
(١٢٩) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة الزمن فى اللغة العربية : ١٤ : ٤٢ ٠
(١٣٠) ينظر حاشية الخضرى : ٢ : ١٢٠ ٠ (١٣١) الاخلاص : ٣ ٠
(١٣٢) الانسان : ١ ٠ ويلاحظ هنا أن التحليل يستند الى المقام الدينى ٠
ينظر : ص ١٨٩ من فصل « الزمن الدلالى » ٠
(١٣٣) ص : ٨ ٠

وتعنى هذه المقارنة ، والمقارنات اللاحقة بين أدوات النفى فى حقل المستقبل ، أن التغيير فى البنى التركيبية لهذه الأدوات فى ضوء التعاقب التـــاريخى ، أدى الى تكوين طبقة lager من الدلالات كست المعنى الوظيفى الأساسى وهو « النفى » كما أن عدم استقرار ، أو عدم استقلال كل أداة بدلالات محددة ، وامتداد هذه الدلالات لتشمل أداتين معا ما يمكن تفسيره بأنه يمثل مرحلة عدم استقرار العلاقة بين الشكل ودلالته» (١٣٤)

ويؤيد وجهة النظر هذه صدور أدوات النفى فى العربية من منبع شكلى واحد • وقد لاحظ النحاة القدماء هذا الصدور فى معرض تأصيلهم لهذه الأدوات، • يقول سيبويه : « وما فى « لما » مغيرة لها عن حال « لم » كما غيرت « لو » اذا قلت : « لو ما » (١٣٥) ويقول : « لن » فأما الخليـــل فزعم أنها « لا أن » (١٣٦) وهى : « لتأكيد ما تعطيه « لا » من نفي» (١٣٧) وهو ملحظ تردد عند المعاصرين • يرى الدكتور ابراهيم أنيس أن « لم » منحوتة من « لا » و « ما » (١٣٨) •

وقد تبلور هذا الملحظ عند المستشرق الألمانى (برجشتراسر) ، الذى يلاحظ أن النسيج الصوتى لأدوات النفى واحد ، وهو يستند الى الصامت « اللام » وقدم لنا برجشتراسر الجدول «١٣٩) على النحو الآتى :

---

(١٣٤) ويشير الاستعمال اللغوى المعاصر الى انقراض أداة النفى « لما » تماما •
(١٣٥) الكتاب : ٤ : ٢٢٣ •
(١٣٦) الكتاب : ٣ : ٥ •
(١٣٧) المفصل : ٧ : ٣ •
(١٣٨) من أسرار اللغة : ١٨٤ • وهو رأى المستشرق الألمانى برجشتراسر كما سيأتى •
(١٣٩) التطور النحوى للغة العربية : ١١٤ •

اداة النفى	الفعل				
	الماضى	الحاضر	المستقبل	الدعاء	الأمر
لا	-	لايفعل	لايفعل لايفعلن	لافعل	لاتفعل لاتفعلن
ليس	ليس يفعل	ليس يفعل			
لات	×	×	×	×	×
لم	لم يفعل				
لما	لما يفعل	-			
لن			لن يفعل		
ما	ما فعل	ما يفعل			
ان	ان فعل	ان يفعل			
غير	×	×	×	×	×

وقد انتهى برجشتراسر الى أن « لا » « تستعمل فى كل الحالات الا الماضى ، ولما كانت « لم » ليست الا « لا » بزيادة « ما» قلنا ان « لا » مستعملة فىالجميع والسبب فىأنها أقدم حروف النفى فى العربية »(١٤٠) فاذا أمكننا رد ملاحظة الاستاذ برجشتراسر وهى أن « لا » تستعمل فى كل الحالات الا الماضى ، اذ أن « لا » فى منحى من مناحى نفيها تنفى « فعل » متكررا ، كقوله تعالى : « فلا صدق ولا صلى » (١٤١) ، واذا أضفنا الى جدول برجشتراسر « لام الجحد » بكونها أداة نفى ، و «لو» بكونها أداة تدل على نفى ضمنى (١٤٢) واذا فسرنا مجىء أدوات ك « ما »

(١٤٠) التطور النحوى للعربية : ١١٥ . (١٤١) القيامة : ٣١ .
(١٤٢) ينظر أساليب النفي في القرآن : ١٢٨ .

و « ان » و « غـــير » بكونه يعكس قانون التحول الوظيفى فى الأدوات والكلمات ، أمكننا القول ان التغيرات التى تطرأ على أشــكال الأدوات فى النفى توجد معانى فرعية ، تعكس طبيعة الانتقال من دلالة الى دلالة ، ذلك الانتقال الذى يحمل معه آثار ما يمكن أن تسميه « التذبذب الدلالى » ، ومنه تذبذب دلالة الزمن فى النفى وهذه النتيجة يمكن تطبيقها على مركب النفى « لما يفعل » · فدلالته على زمن مستمر الى حال النطق ، ليست أمرا قاطعـا ·

« كان سيفعل » « ما كان ليفعل » :

أشــار سيبويه الى ما يمكن أن نســميه : « مستقبل الماضى » وهو مركب « كان سيفعل » · وجعل نفيه : « ما كان ليفعل » · قال « واعلم أن « اللام » نجيء فى موضع لا يجوز فيه الاظهار (١٤٣) وكأنك اذا مثلت قلت : « ما كان زيد لهــذا الفعل » فهذا بمنزلته ، ودخل فيه معنى نفى « كان سيفعل » (١٤٤) ·

وقد صنف « كان سيفعل » و « ما كان ليفعل » مع تصنيفات زمنية أخرى على النحو الآتى :

الاثبـــات	النـفى
كان سيفعل	ما كان ليفعل
ســـيفعل	لن يفعـــل

قال : « فاذا قلت : هـــذا ــ يعنى ــ « كان سيفعل » قلت : « ما كان ليفعل » كما كان : « لن يفعل » نفيا ل « سيفعل » (١٤٥) ·

وهذا المركب : « كان + س + يفعل » غير موجود فى الاســتعمال القرآنى وانما يوجد نفيه : « ما كان ليفعل » ، أو « لم يكن ليفعل » ، كما عرضنا له فى مبحث ســـابق (١٤٦) وقد ورد ذلك فى تطبيقات سيبويه : ففى معرض تحليله للأداة « لو » قال : « وأما « لو » فلما كان سيقع لوقوع غيره » (١٤٧) ·

(١٤٣) يعنى اظهار « أن » الناصبة ·
(١٤٤) الكتاب : ٣ : ٧ ·
(١٤٥) الكتاب : ٣ : ٧ ·
(١٤٦) انظر : ص ٢٢٧ فما بعدها ، من هذا الفصل ·
(١٤٧) الكتاب : ٤ : ٢٢٤ ·

وهذا الملحظ الدلالى يبين أن حدث مستقبل الماضى حدث غير واقع فهو حدث مفترض ، يشبه حدث « لو » التى تدل على بعد تحقق حدثهـا أو استحالة حدوثه ، كما أنه يبين أن هناك توافقا دلاليا بين مركب « كان سيفعل » و «كاد يفعل » ، وهو عدم تحقق الحدث ، على الرغم من ملحظ مقاربة وقوع الحدث ، الذى يسم المركب الثانى دون الأول • وقد جعل ابن جنى مركب « كان سيفعل » « على نحو من حكاية حال : قولك : « كان زيد سيقوم أمس » أى كان متوقعا منه القيام فيما مضى » (١٤٨) •

وقد جعل الدكتور تمام حسـان « ما كان ليفعـل » دالا على نفى المستقبل البعيد (١٤٩) وهو جعل كيفى يستند الى الملاحظة الشخصية •

كان فعـل :

لاحظنا فى مبحث الأدوات بين الزمن والاعراب (١٥٠) كيف أن النحاة نظروا بحذر الى المركبات التى تكونت فى اللغة العربية من ائتلاف « كان » ، فى الأساس ، مع الفعل •

ويشير الأستاذ فندريس الى خاصية هذا الائتلاف فى اللغة العربية بقوله : « فالعقل يحس بالفعلين « كان فعل » وكأنهما وحدة رغم أنه يمكن وضع كلمة بينهما » (١٥١) •

وقد أشار الأستاذ برجشتراسر كما لمحنا (١٥٢) الى غنى العربية ، فى تكوين المركبات الزمنية عن طريق ائتلاف « كان » مع الافعال •

أما الباحثون المعاصرون ، من العرب ، فقد وجدوا ، فى هذه المركبات مفتاحا ، يدخلون به ، الى ما سميناه الجداول الزمنية فى العربية • وقد سبب ذلك ، والرغبة فى ايجاد مصطلحات زمنية تقابل المصطلحـات الزمنية فى لغات أخرى ، اضطرابا فى التوزيع من حيث تعبير الصـيغ والمركبات عن دلالالتها الزمنية •

---

(١٤٨) الخصائص : ٣ : ٣٣٢ •

(١٤٩) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٨ •

(١٥٠) انظر : ص ١٥٦ من الفصل الخامس : « الزمن والاعراب » •

(١٥١) اللغة : ١٠٧ • ويلاحظ ضعف المترجمين فى ايجاد التراكيب اللغوية العربية التى تعتمد مقابلا للتراكيب اللغوية الفرنسية ، وهو قولهما : (وكأنهما وحدة رغم أنه) والصحيح أن يقال « وكأنهما كلمة واحدة ، على الرغم من ••• الخ •

(١٥٢) ينظر / ص ١٠٠ من الفصل الثالث من هذه الرسالة •

« كان فعل » في الاستعمال :

تردد هذا المركب في النص القرآني خمس عشرة مرة ، جاء في عشر منها في سياق شرطي ، وفي اثنتين في سياق نفي ، وفي اثنتين في سياق خبري مثبت ، وفي واحدة في سياق انشائي ، كما سنفصل في ذلك :

السياق الشرطي :

جاء عليه قوله تعالى :

« **وان كان كبر عليك اعراضهم** » (١٥٣) وقوله : « **ان كان كبر عليكم مقامي** » (١٥٤) ·

وقوله : « **وان كان طائفة منكم آمنوا** » (١٥٥) وقوله : « **ان كان قميصه قد من قبل** » (١٥٦) وقوله : « **وان كان قميصه قد من دبر** »(١٥٧)، وقوله : « **ان كنت قلته** » (١٥٨) وقوله : « **ان كنتم آمنتم** » (١٥٩) وقوله : « **ان كنتم خرجتم جهادا** » (١٦٠) ·

سياق النفي :

أما نفي « كان فعل » فهو : « لم يكن فعل » (١٦١) · وقد ورد ذلك في ثلاث آيات ، في سياق شرطي واستفهامي وخبري · وهي على التوالي : « **فان لم تكونوا دخلتم بهن** » (١٦٢) و « **أو لم تكونوا أقسمتم من قبل** » (١٦٣) و « **لم تكن آمنت من قبل** » (١٦٤) ·

---

(١٥٣) الأنعام : ٣٥ ·
(١٥٤) يونس : ٧١ ·
(١٥٥) الأعراف : ٨٧ ·
(١٥٦) يوسف : ٢٦ ·
(١٥٧) يوسف : ٢٧ ·
(١٥٨) المائدة : ١١٦ ·
(١٥٩) يونس : ٨٤
(١٦٠) الممتحنة : ١ ·
(١٦١) ورد نفي « كان فعل » عند الدكتور المخزومي « لم يكن يفعل » وهو غلط مطبعي ، اذ مثل بعد ذلك بقوله : لم تكن حسبنا ، لم يكن برأه ·
انظر في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٥٦ ·
(١٦٢) النساء : ٢٣ ·
(١٦٣) ابراهيم : ٤٤ ·
(١٦٤) الأنعام : ١٥٨ ·

سياق الاثبات :

الانشـــاء :

قوله تعالى : « فلولا كانت قرية آمنت » (١٦٥) ٠

الخبـــر :

قوله تعالى : « **جزاء لمن كان كفر** » (١٦٦) وقوله : « **ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل** » (١٦٧) ٠

ان وجود « كان » فى سياق الشرط ، كان واحدا من المعضلات النحوية التى واجهت الباحثين القدماء ، فالنحاة جعلوا من أسلوب الشرط — من وجهة نظر زمنية — قرينة ككل القرائن الزمنية الأخرى — فى دلالته على المستقبل (١٦٨) ٠ ومن هنا اضطرب فى تفسير مورفيم الزمن فى العربية — كان — بصيغته الماضية فى الشرط ، أو بعبارة أدق : اضطرب فى فهم الوظيفة النحوية ل « كان » فى السياق الشرطى باعتبارهما قرينتين تتنافسان زمنيا ٠

ان الفراء مثلا يستند الى التحليل الدلالى فى هذا النوع من التراكيب فيطرح « كان » جانبا من غير أن يقدم تفسيرا لمجيئها ٠ يقول : « و « كان » قد يبطل فى المعنى ، لأن القائل يقول « ان كنت تعطينى سألتك » فيكون كقولك « ان أعطيتنى سألتك » (١٦٩) ٠ فكأن «كان» ، عند الفراء ، تندرج تحت القيم النحوية للشرط ٠ فى حين نظر المبرد نظرة مغايرة ، فجعل الشرط يندرج تحت القيم النحوية ل « كان » ٠ قال : « ان » تقلب الماضى الى الاستقبال الا « كان » وحدها ، فان « ان » لا تقلب ماضيها الى معنى الاستقبال ، لأنها كأنها أصل فى الأفعال الماضية فلم تقو « ان » على قلبها ٠ » (١٧٠) ٠

وهذه المساجلة امتدت الى المباحث النحوية التى تلت المبرد والفراء ٠ فابن السراج ، الذى تابع الفراء ، يجد رأى المبرد فى « كان (فى الشرط

---

(١٦٥) يونس : ٩٨ ٠

(١٦٦) القمر : ١٤ ٠

(١٦٧) الأحزاب : ١٥ ٠

(١٦٨) ينظر الكتاب : ٣ : ٩٥ ٠

(١٦٩) معانى القرآن : ٢ : ٥ ، ٦ ٠ وسنعرض لتطبيقات هذا الرأى فى مناقشة المركب « كان يفعل » ٠

(١٧٠) الأصول : ٢ : ١٩٩

« نقضا لأصول الكلام » (١٧١) وتابع الصبان نفسه هذا الرأى : « فى ان أدوات الشرط تقلب الماضى الى الاستقبال سواء فى ذلك « كان » أم غيرها على الأصح » (١٧٢) أما القيسى فيتابع المبرد وعبارته : « ان » للشرط وهى ترد جميع الألفاظ الماضية الى معنى الاستقبال الا « كان » لقـوة « كان » وكثرة نصرفهـــا » (١٧٣) وهو منحى الرضى أيضا : « كان » للشرط فى المضى ، وهو مذهب المبرد وهو الحق ، بدليـــل قوله تعالى : « ان كنت قلته » (١٧٤) .

ووفق هذا المنحى من النقاش بعد النظر النحوى عن تحليل مركب « كان فعل » نفسه فى الشرط . أما المعاصرون ، فقد أغفلوا بحثه تماما حتى من جهة تعارض الدلالة الزمنية بين « كان » والشرط ، باستثنـاء اشارات تنبيه عرضية . مثل اشارة الدكتور محمود فهمى حجازى التى يقول فيها : « ويزداد الأمر تنوعا اذا لاحظنا الأزمنة المركبة واستخدامها فى جملة الشرط وذلك مثـــل « ان كنت أصبت فى .. فقـــد أخطأت فى .. » (١٧٥)

ان رواج استعمال هذا المركب « كان فعل » فى السياق الشرطى ذو مغزى دلالى خاص ، حيث يندرج فى :

١ ــ اطار تعليق عام ،أى فى اطار تشريعى خال من الزمن كقوله تعالى:

« وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله (١٧٦) وقوله : « فان لم تكونوا دخلتم بهـــن فلا جناح عليكم » (١٧٧) .

٢ ــ فى اطار تعليق خاص . كقوله تعالى :

« وان كان كبر عليـــك اعراضهم فان استطعت ... » (١٧٨) وقوله : « ان كنت قلته فقد علمته » (١٧٩) .

وها هنا نلاحظ تمام الحالة الفعلية فى تعليق مركب ، ففى الآية السابقة يتم تفسير الجملتين اللتين تلحقانها على النحو الآتى :

---

(١٧١) الأصول : ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠ .
(١٧٢) حاشية الصبان : ٤ : ١٦ .
(١٧٣) مشكل اعراب القرآن : ١ : ٣٨٥ .
(١٧٤) الكافية : ٢ : ٢٦٥ .
(١٧٥) المدخل الى علم اللغة : ٧٧ و ٧٨ .
(١٧٦) الأعراف : ٨٧ .
(١٧٧) النساء : ٢٣ .
(١٧٨) الأنعام : ٣٥ .
(١٧٩) المائدة : ١١٦ .

ان كنت قلتــــه فقد علمتــــه

لا أعلم ما فى نفسك تعلم ما فى نفسى

فهنا علم الله المطلق بازاء جهل الانسان المطلق . و « لا أفعل » و « يفعل » : « لا أعلم » و « تعلم » تعبيران عن هـــذا الاطلاق فى العلم وعدمه .

ف « ان كنت قلته » تعنى القطع بعـدم الادراك الانسانى بازاء الادراك الالهى المطلق .

فليس هناك اتجاه الى تعيين مسافة زمنية ، بل هناك اتجاه الى تعيين تمام الحدوث فى الماضى . والرأى النحوى الذى أشار الى دلالـة الماضى فى « ان كنت قلته » . يكشف جانبا من النظر النحوى فى النص وملابساته دون الالتزام بمقررات النظام اللغوى المفترض ، على الرغم من أن دلالة الماضى ليست هدف مركب « كان فعل » فى الشرط بل هدفه : تمام الحدوث ويحلل الدكتور طاهر حمودة الآية : « ان كنت قلته » فى الاتجاه ذاته يقول « النصوص التى نحن بصددها تشـبه ما يسمى بالماضى التام ، ولذلك نجدها تعتمد على الفعل « كان » فعلا مساعدا Auxillary Verb ، أو يفيد السـياق تمـام حدوثه فى الماضى » (١٨٠) .

أما دلالة المستقبل التى حاول نحاة آخرون الصاقها بهذا المركب، بقلبه من : « كنت قلته » الى : « أكن قلته » (١٨١) فـيرد عليـه الرضى : « بأنه ظاهر الفساد ، لأن هذه الحكاية ، انما تجرى يـوم القيامة » (١٨٢) .

وتتضح هذه الناحية الدلالية فى مركب « كان فعل » ، فى جميع استعمالاته الشرطية ، ويمكن أن نوضح ذلك بتناولنا قوله تعـالى : « يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (١٨٣) .

فليس المعنى ان وقع الايمان فى الماضى ، وليس المعنى ان أردتم الايمان بل المعنى : ان « صدقتم به وبآياته » (١٨٤) أى : تمام حدث الايمان ، أى : ان انتم حقا مؤمنون .

---

(١٨٠) ابن القيم الجوزية : ١٣٤ ، ١٣٥ .
(١٨١) ينظر : شرح الكافية : ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(١٨٢) شرح الكافية : ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(١٨٣) يونس : ٨٤ .
(١٨٤) الكشاف : ٢ : ٢٤٩ .

فاذا انتقلنا خارج السـياق الشرطي لاحظنا دلالة « كان فعل » الزمنيـة .

ففي قوله تعالى : « فلولا كانت قرية آمنت » (١٨٥) نلمح جهة في الزمن الماضي ، يعبر عنها المركب « كانت آمنت » أي زمنا ماضيا أبعد من زمن حدث ماض آخر في سـياق الآية نفسهـا . يقـول الزمخشري : « ف « لولا كانت » :

فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعاينة . » (١٨٦) .

ويقول الاستاذ حامد عبد القادر في معرض تحليله الآية :

« وحملناه على ذات ألواح ودسر تجـري بأعيننـا جـزاء لمن كان كفر » (١٨٧) ولمـا كان الكفر قد حدث قبل النجاة فقد عبر عنه بصيغة الماضي البعيد المكونة من فعلين هما ماضي فعل الكينونة وهو « كان » والفعل المراد التعبير عنه في صيغة الماضي وهو « كفر » (١٨٨) .

وقد جعل الاستاذ مارمادوك بكثال . Marmaduke Pickthal
صيغة الماضي التام في الانجليزية (had + p.p.) بازاء قولـه
تعالى : « ولقد كانوا عاهدوا » :
And verily they had already Sworn into Allah (١٨٩)

ومن كل ما تقدم ننتهي الى أن المركب « كان فعل » في العربية يشير ، شأنه شأن المركبات الفعلية والزمنية التي تتكون من : كان وتصريفاتها + الصيغ الفعلية البسيطة كـ «كان فعل» ، « يكون يفعل » « لم يكن يفعل » ، « قد كان فعل » ... الخ ، يشير الى وجود حالة Mood وزمن Time فاذا دل على زمن عبر عن جهة في الماضي وهي الماضي البعيد . أو الماضي البعيد بالنسبة لزمن حدث يقع معه في السياق ، وليس عن قسم زمني .

---

(١٨٥) يونس : ٩٨ .
(١٨٦) الكشاف : ٢ : ٢٥٣ .
(١٨٧) القمر : ١٣ و ١٤ .
(١٨٨) مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم : ١٠ ، ٦٩ .
(١٨٩) من الآية ١٥ : الأحزاب .
وينظر : ترجمة معاني القرآن الكريم : ٥٥٠ .

أما فى اللغة العربية المعاصرة ، ولا سيما فى مستواها الاعلامى فان للمركب « كان فعل » قيمة استعمالية عالية . وهو يستقر فى شكل : « كان قد فعل » ودلالته تتطابق مع دلالة مصطلح الماضى التام فى الانجليزية الذى هو « فعل ماض تم قبل فعل ماض آخر » (١٩٠) . بل انه يبدو ، فى ملحظ معين ترجمة له . وتعبر النماذج الآتية عن استعمال هذا المركب فى المستوى الاعلامى للعربية المعاصرة :

« أبدت السلطات الانغولية قلقها الشديد من الاتفاقية العسكرية وكان الرئيس الزائيرى موبوتو قد وقع اتفاقية خمس سنوات مع وزير الدفاع (الصهيونى) (١٩١) .

أى : expressed + had signed

و « لم ينته الخلاف بين الرئيس ريجان والكونجرس . وكان مجلس الممثلين قد رفض ... » (١٩٢) .

والمدهش أن الدكتور تمام حسان جعل مركب « كان فعل » للماضى البعيد المنقطع و « كان قد فعل » للماضى القريب المنقطع (١٩٣) وهو يصدر عن نقطة الارتكاز الزمنية ذاتها « قد » التى تعنى عنده مورفيما زمنيا فى العربية ؛ وظيفته تقريب حدث الماضى الى الحاضر فى أى حقل توزيعى يدخل .

كان يفعل :

كنا عرضنا لاشارة الرضى الى أن هذا المركب يدل على الماضى المستمر (١٩٤) . وقد ترددت الدلالة ذاتها فى المباحث المعاصرة ؛ فذهب فندريس الى أن « المضارع فى العربية يسبق بفعل الكون ليدل على الاستمرار فى الماضى » (١٩٥) لكن الدكتور تمام حسان جعل دلالة « كان يفعل » هى : الماضى المتجدد ، أما الذى يدل عنده على الماضى

---

(١٩٠) معجم علم اللغة النظرى : ٢٠٤ .

(١٩١) مجلة الحوادث / عدد : ٢١/١٣٦٩ كانون الثانى/١٩٨٣/ص : ٥

(١٩٢) مجلة المستقبل / عدد : ٣٠٥ / سنة : ٢٥/٦٠ كانون أول ١٩٨٢ ص ١٠ .

(١٩٣) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ملاحق الكتاب / جدول الزمن .

(١٩٤) ينظر / ص ٣١ من الفصل الثالث : « الزمن النحوى » .

(١٩٥) اللغة : ١٠٧ .

المستمر ف مركب : « ظل يفعل » ٠والتجدد كما عرضنا له (١٩٦) عنصر في الصيغة الفعلية ، وليس عنصرا في الزمن الفعلي ٠

فاذا عرضنا للمركب « كان يفعل » في الاستعمال القرآني ، من مثل قوله تعالى : « ما كنتم تعبدون » (١٩٧) وقوله : « بما كنتم تعملون » (١٩٨) وقوله : « كنتم توعدون » (١٩٩) وقوله : « وما كانوا يعرشون » (٢٠٠) فالاستمرار في الماضي ــ فيما يكون عادة ، أو يكون حالة عامة ــ هي دلالة المركب « كان يفعل » القرآني ٠ ويمكن أن تتضح هذه الدلالة بصورة دقيقة في قوله ــ سبحانه ــ : « لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا » (٢٠١) فكأن : كان يرجو = رجا الله كثيرا ٠ وكأن : ذكر الله كثيرا = كان يذكر الله ٠

كما يوضح الاحصاء الآتي في الاستعمال القرآني دلالة التعود هذه :

المركب	التردد
كانوا يفعلـــون	١٥٩
كنتم تفعلـــون	١٠٧
كان يفعـــل	٠١٩
كانت تفعـــل	٠٠٢
المجموع	٢٨٧

ويعني ذلك أن عادات الجماعة « كانوا يفعلون » « كنتم تفعلون » التي استغرقت مائتين وستة وستين تركيبا ، هي السائدة ٠ أما عادة الفرد التي استغرقت واحدا وعشرين تركيبا فلا تكون الا نسبة ضئيلة في الاستعمال ٠

---

(١٩٦) ينظر / ص ٥٠ من فصل « امكانات الصيغة » ٠
(١٩٧) الشعراء : ٧٥ ٠
(١٩٨) العنكبوت : ٨ ٠
(١٩٩) يس : ٦٣ ٠
(٢٠٠) الأعراف : ١٣٧ ٠
(٢٠١) الأحزاب : ٢١ ٠

وما نلحظه فى هذا المركب يختلف عما لحظناه فى مركب « كان فعل » الذى لم تحول فيه « كان » صيغة « فعل » عن دلالتها على القسم الزمنى ، وهو الماضى • أما ائتلاف « كان » مع « يفعل » فحول دلالة هذه الصيغة من قسمها الزمنى وهو الحاضر الى قسم آخر وهو الماضى ، ودل على جهة فى هذا الماضى « الاستمرار » ، وقد نص المعاصرون على هذه الدلالة (٢٠٢) •

يدخل مركب « كان يفعل » فى السياق الشرطى فيفقد دلالته الزمنية أى الماضى المستمر ، ويؤدى ناحية من نواحى الدلالة الفعلية وهى « الاستمرارية » ، مقابل دلالة « التمامية » فى مركب «كان فعل» من غير نظر الى زمن •

كقوله تعالى :

« من كان يريد العاجلة عجلنا له » (٢٠٣) وقوله : « من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم » (٢٠٤) وقوله : « ان كنتن تردن الحياة الدنيا » (٢٠٥) وقوله : « من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت » (٢٠٦) وقوله : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا » (٢٠٧) •

ونلاحظ أن مادة حدث المركب « كان يفعل » ها هنا تقتصر على مادة الارادة والرجاء التى تدل على الرغبة • ومعنى الرغبة يتطابق مع دلالة الاستمرار •

وقد عرض الفراء لقوله تعالى :

« من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم » فحلل مركب « كان يفعل » « كان يريد » وفق الملحظ الاعرابى ، وهو جزم فعل الجواب « نوف » فكأن الفعل « نوف » يقابل الفعل « يرد » من دون نظر ل « كان » « لأن المعنى فيها بعد « كان » و « كان » قد يبطل

---

(٢٠٢) ينظر : فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٨ • والفعل زمانه وأبنيته . ٣٣ • ومجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى المضارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥٧ •
(٢٠٣) الاسراء : ١٨ •
(٢٠٤) هود : ١٥ •
(٢٠٥) الأحزاب : ٢٨ •
(٢٠٦) العنكبوت : ٥ •
(٢٠٧) الكهف : ١١٠

فى المعنى » (٢٠٨) فكأن « كان » عند الفراء تندرج تحت القيم النحوية للشرط ، فمعنى «ان كنت تعطينى سألتك» «ان أعطيتنى سألتك»(٢٠٩) ومع ذلك فالفراء لم يقدم لنا تفسيرا لوجود تركيبين شرطيين يتغايران فقط فى « كان يفعل » و « يفعل » كما يأتى :

« من كان يريد الحياة الدنيا » ــ « ومن يرد ثواب الدنيا » (٢١٠)٠

والجواب هو أن هناك ناحية دلالية فى هذا المركب لا تتحصل من الصيغة البسيطة « يفعل » اذا وقعت فى اطار تركيب شرطى ، وقد نظر بعض الباحثين المعاصرين الى هذه المركبات حتى خارج اطار الشرط ، نظرة تتسم بالاضطراب ٠

يقول الدكتور ابراهيم السامرائى : « فهو (الفعل كان) فى كثير من الاستعمالات لا يراد به الا الوجود فى هيئة مخصوصة وفى زمان ما ٠ وهو وحده بناء مفرغ من الدلالة الزمانية ٠

وانما يهتدى فيه الى الزمـــان من معنى الجملة ، فاذا قلنـــا : « كان محمد لا يفارق داره » ففى هذا التركيب يأتى الفعل للدلالة على الوجود ٠٠٠ ومن ذلك جاء فى الأغـــانى : « كان أبى يكـون عنــد كسرى » (٢١١) ٠

فتحليل الجملتين لا يعدو اطار دلالة المركب « كان يفعل » ٠

فجملة : « كان لا يفارق » = هذه عادة محمـــد المستمرة فى الماضى ٠

وجملة : « كان ٠٠٠ يكون ٠٠٠ » تساوى فيها صيغة « كان » مورفيما زمنيا ، وصيغة « يكون » فعلا تاماً ، كما عرضنا لذلك (٢١٢)٠

ويمكن أن نجرى استبدالا بين « يكون » وفعل تام آخر ليتضح معنى التركيب ٠ كأن يقال : « كان أبى يختلف الى مجلس كسرى » ٠

ثم أن وجود هذه المركبات (كان + الفعل) فى سياق لغوى مركب ــ هو الشرط ــ يدلنا على التحول فى الاستعمال على مستوى :

---

(٢٠٨) معانى القرآن : ٢ : ٥ ٠
(٢٠٩) المصدر السابق : ٢ : ٥ ٠
(٢١٠) آل عمران ٠ ١٤٥ ٠
(٢١١) الفعل زمانه وأبنيته : ٣٠ و ٣١ ٠
(٢١٢) ينظر / ص ١٦٤ ٠

الدلالة والوظيفة فى الكلمات والأدوات ، ف « كان » التى لها آثار من استعمالها بكونها فعلا تاما : « وان كان ذو عسرة » (٢١٣) تتحـــول الى مورفيم زمنى « كان ذلك فى الكتاب مسطورا » (٢١٤) ثم الى (فعل مساعد) يكون مع فعل الحدث مركبا زمنيا « ان تكونوا تألمون » (٢١٥) ٠ أو مركبا دلاليا فى سياق دون غيره ٠

نفى « كان يفعل » :

ورد فى القرآن «لم يكن يفعل» نفيا ل «كان يفعل »فى قوله تعالى : **« ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون » (٢١٦) وقوله : « ولم نك نطعم المسكين » (٢١٧) وقوله : « لم نكن ندعوا من قبل شيئا » (٢١٨)** وورد : « ما كان يفعل » نفيا ل « كان يفعل » مرة واحدة ، فى قوله تعالى : « **ما كان يغنى عنهم من الله من شىء** » (٢١٩) ٠

ظل يفعـــــل :

اقترح الدكتور تمام حسان أن يدل هـــــذا المركب على (الماضى المستمر) ، واقترح أن يكون نفيه : « لما يفعل » (٢٢٠) وقد بينا فى النقطة السابقة أن دلالة الماضى المستمر هى دلالة : « كان يفعل » ٠

ان مركب : « ظل يفعل) يتيح لنا أن نستنبط مركبات زمنيـــة تستند الى مادة الأفعال ، التى تتميز بوظائفها النحوية أكثر مما تتميز بدلالتها الفعلية (الحدثية) ، + الأفعال الحدثية ، وهى ، بهـــذا ، تتحول ك « كان » هنا ، الى أفعال مساعدة ، غير أنها تفترق عن « كان» بدلالة موادها فى هذا الجانب ـ فنحن يمكننا أن ندرج تحت مركب : «ظل يفعل » : « بقى يفعل » ، « استمر يفعل » ، « بات يفعل » ٠٠٠ الخ ٠ وقد تردد مركب « ظل يفعل » و « ظل فاعلا » ست مرات فى القرآن جاء جميعه فى سياق شرطى :

---

(٢١٣) البقرة : ٢٨٠ ٠
(٢١٤) الاسراء : ٥٨ ٠
(٢١٥) النساء : ١٠٤ ٠
(٢١٦) المؤمنون : ١٠٥ ٠
(٢١٧) المدثر : ٤٤ ٠
(٢١٨) غافر : ٧٤ ٠
(٢١٩) يوسف : ٦٨ ٠
(٢٢٠) اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب / جدول الزمن ٠

وذلك قوله تعالى :

« **واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا** » (٢٢١)، وقوله : « **ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** » (٢٢٢) وقوله : «**لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون**» (٢٢٣). وقوله : « **ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون** » (٢٢٤) وقوله : « **ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون** » (٢٢٥) وقوله : « **واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا** » (٢٢٦) أما مركب « يظل يفعل » فسيدرس فى حقل الحاضر ·

ان فحص التركيبات السابقة ينتهى الى تقديم الملاحظات الآتية :

١ ــ فى ظل + اسم الفاعل (مسود ، خاضع) نلاحظ دلالة ثبوت صفة فى الماضى ·

٢ ــ فى ظل + الفعل المضارع (تفكهون ، يعرجون ، يكفرون)، نلاحظ دلالة استمرار حدث فى الماضى ·

٣ ــ أى أن « ظل » فى الاستعمال القرآنى ترد فعلا مساعدا لتعيين جهة فى القسم الزمنى · وبهذا يمكن اجراء التغييرات الشكلية بابعاد الفعل المساعد ودلالته فى الجهة الزمنية ·

ففى قوله تعالى :

« **ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون** »
= لكفروا من بعده

وقوله :

« **واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا** » ·
= اسود وجهه

أما فى مباحث النحاة فقد أشير الى أن « معنى « ظل » اتصاف المخبر عنه بالخبر نهارا » (٢٢٧) وبه فسرت بعض السياقات القرآنية ،

---

(٢٢١) الزخرف : ١٧ ·
(٢٢٢) الشعراء : ٤ ·
(٢٢٣) الواقعة : ٦٥ ·
(٢٢٤) الحجر : ١٤ ·
(٢٢٥) الروم : ٥١ ·
(٢٢٦) النحل : ٥٨ ·
(٢٢٧) شرح ابن عقيل على الألفية : ١ ــ ٢٣٢ ·

ففى قوله : « فنظل لها عاكفين » قال الزمخشرى وانما قالوا « نظل » لأنهم يعبدونها بالنهار دون الليل » (٢٢٨) . وهذه الدلالة نفسها جعلت لمادة « ظل » فى المعاجم : ففى لسان العرب :

« ظللت أعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل ... وظل يفعل كذا لا يقال ذلك الا فى النهار لكنه سمع فى بعض الشعر ظل ليله » (٢٢٩) .

لكن مادة « ظل » بتحولها الى فعل مساعد ، أخذت تفقد دلالتها المعجميه التى تربط هذه المادة بالنهار وصارت تؤدى وظيفة زمنية فى جميع الأوقات . ومنه « ظل ليله » (٢٣٠) . وبعبارة أخرى فان « ظل » تحولت الى فعل مساعد يشير الى الاستمرار ، شأنه شأن مواد الاستمرار : « استمر يفعل » و « بقى يفعل » ففى قوله تعالى : « ولئن أرسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون » (٢٣١) لا يمكن ربط استمرار حدث الكفر بالنهار فقط ، بل المعنى : « اذا أرسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا » (٢٣٢) .

فاذا عدنا الى عبارة الزمخشرى : « وانما قالوا فنظل لأنهم كانوا يعبدونها .. » (٢٣٣) أدركنا التوافق فى الدلالة الزمنية بين مركبى « كان يفعل » و « ظل يفعل » ، مع ملحظ نفى من الاختلاف بينهما . أن « ظل يفعل » يدل على حدث مستمر فى الماضى لا يكون عادة ، فهو حدث خاص بظرف واحد .

أما مركب « كان يفعل » فيدل على حدث مستمر فى الماضى ، يكون ما يمكن أن يسمى « الماضى التعودى » (٢٣٤) .

نفى ظل يفعل :

عرض المعاصرون للمركبات التى تتوافق فى دلالتها العامة من حيث كونها مواد توقيت (ظل / نهار ، بات / ليل ، أصبح / صباح ، أمسى /

---

(٢٢٨) الكشاف : ٣ : ١١٦ .
(٢٢٩) لسان العرب : ١١ : ٤١٥ .
(٢٣٠) المصدر السابق : ١١ : ٤١٥ .
(٢٣١) الروم : ٥١ .
(٢٣٢) الكشاف : ٣ : ٢٢٦ .
(٢٣٣) الكشاف : ٣ : ١١٦ .
(٢٣٤) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية / مقالة معانى المضارع فى القرآن الكريم : ١٣ : ١٥٧ .

مساء ٠٠ الخ) مع « كان » وبعبارة أخرى جعلها بعض الباحثين المعاصرين في حقل توزيعي واحد مع « كان » لا من حيث المعيار الاعرابي « رفع المبتدأ ونصب الخبر » كما فعل القدماء ، بل من حيث انها تؤدي وظيفة نحوية هي الوظيفة الزمنية ، يقول الدكتور ابراهيم السامرائي : « ومثل « كان » سائر الأفعال التي تتصل بزمان معين ٠٠ للدلالة على أن الحدث كان مستمرا في الزمان الماضي بزمان معين » (٢٣٥) أي : بما تدل عليه مادة كل مفردة ٠

غير ان هذا المنحى التوزيعي يواجه معضلة تحتاج الى جواب ، وهذه المعضلة تتعلق بنفي مركبات التوقيت وهذا النوع من النفي لم يرد له استعمال في القرآن ، ولم يعرض له في مباحث النحاة القدماء ولا في مباحث المعاصرين فيما وقع تحت يدي ٠ ومما يؤيد عدم ورود سـياقات نفي لهذا النوع من المركبات تحليل هذه المركبات ، وأستثني من ذلك ما اقترحه الدكتور تمام حسان من جعل نفي « ظل يفعل » : « لما يفعل »٠ وكنا عرضنا لمركب النفي « لما يفعل » (٢٣٦) فلا حاجة بنا الى الرد على الدكتور تمام ، بل ان وضع « لما يفعل » مقابلا لـ « ظل يفعل » يكشف أيضا عن معضلة البحث عن منفيات مركبات التوقيت : وسنسلك طريق التطبيقات لنصل الى الغاية من هذا المبحث :

اذا نفينـا

« كان زيد يفعـل » قلنا : « لم يكن زيد يفعـل »

وسنقيس بقية المواد على « كان » لكونها تدخل معها في حقل توزيع واحد ، من حيث الوظيفة النحوية :

المركب الموجب	المركب المنفي	المفترض
	لم يظل زيد	يفعـل
ظل زيد يفعل	ما ظـل زيد	يفعـل

المركب المثبت	المركب المنفي
أضحى زيد يفعل	
أصبح زيد يفعل	لم يضح زيد يفعل.

(٢٣٥) الفعل زمانه وابنيته : ٣٣ و ٣٤ ٠

(٢٣٦) ينظر / ص ٢٣٦ من هذا الفصل ٠

ما أضحى زيد يفعل
لم يصبح زيد يفعل
ما أصبح زيد يفعل

أمسى زيد يفعل	لم يمس زيد يفعل ما أمس زيد يفعل
المركب المثبت	المركب المنفى
صار زيد يفعل	لم يصر زيد يفعل ما صار زيد يفعل
بات زيد يفعل	لم يبت زيد يفعل ما بات زيد يفعل

ان التركيبات المنفية ليست جملا ، لأنها انطوت على خرق فى الطبيعه النحويه للجملة العربيه والسؤال : أين يكمن هذا الخرق ؟

والجواب : ان هذه المواد التى هى أفعال توقيت وصيرورة فى مثل : قوله تعالى : «حين تمسون وحين تصبحون· وحين تظهرون»(٢٣٧) وقوله : « ألا الى الله تصير الامور » (٢٣٨) ، قد تحولت فى قسم من استعمالاتها الى افعال مساعدة لتؤدى وظيفة فى الجهه الزمنية — غير انها لم تفقد دلالات أحداثها فى التوقيت ، ولهذا فان نفى المركبات التى تكونها بائتلافها مع الأفعال التامة ، ينصب على أحداث هذه المواد المساعدة دون أن ينصب على أحداث الأفعال ، ولهذا يمتنع النفى معها · لأننا فى مثل هذه المركبات تنفى حدث الفعل دون حدث الفعل المساعد ، باعتبار أن الأفعال المساعدة لا تنطوى على حدث ·

ويتضح ذلك فى « كان » التى فقدت فى مثل هذه المركبات فعليتها تماما فلا يقع النفى عليها ، كما اذا قلنا :

كان زيد يفعل
ولم يكن زيد يفعل

فالنفى هنا منصب على حدث « يفعل » و « يكن » فعل مساعد · فجملة « لم يكن زيد يفعل » فى عمقها هى كما يأتى :

لم يكن زيد يفعل
يكون زيد لم يفعل

(٢٣٧) الروم : ١٧ ·
(٢٣٨) الشورى : ٥٣ ·

فى حين لا يمكن أن نعثر على العمق ذاته فى مواد التوقيت ٠

فالقــول :

لم يصبح زيد يفعــل

يكون :

لم يصبح زيد يفعــل

أى لم يدخل زيد فى الصباح ٠ و «يفعل» حدث لا علاقة له بالتركيب السابق ٠ وهذا هو الخلل النحوى فى متل هذه المركبات ٠

ان الفرق بين « كان » و « أصبح » ، حين يقعان فعلين مساعدين هو : أن « كان » تحتفظ بفعليتها الصرفية (الاســـناد الى الضمائر والتصريف) وتفقد فعليتهــا النحوية أى حدتهــا الفعلى تماما ، فى حين تحتفظ « أصبح » بفعليتها الصرفية وجزء من حدثها الفعلى ، وهـــذا الجزء من الحدث يكون ما يشبه الحاجز بين أداة النفى وحدث الفعــل فى مىل هذه المركبات ٠

كاد يفعــل :

نظر النحاة الى فصيلة الأفعال المساعدة ، التى تكون مع الأفعــال التامه مركبات ، تنتج دلالات زمنية ، نظروا اليها باعتبار المعيار الاعرابى فسيبويه يقدم النسق الآتى من المركبات المتباينة فى الوظائف والدلالات والمتوافقة فى رفع المضارع :

كــرب ←		
كـــاد ←		
جعــل ←	←	يفعــل (٢٣٩)
أخــذ ←		
كــان ←		

غير أنه يطلق عليهــا مصطلح الحروف ، مشيرا الى تميزهــا عن الأفعال من غير أن يعين هذا التميز قال :

« ولها نحو ليس لغيرهــا من الأفعـــال » (٢٤٠) ونص على أن وظيفتها « تقريب الأمور » (٢٤١) ٠

(٢٣٩) ينظر الكتاب : ٣ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ٠

(٢٤٠) الكتاب : ٣ : ١٦١ ٠

(٢٤١) الكتاب : ٣ : ١٦١ ٠

أما النحاة من بعده فطرحوا وظائفها ودلالاتها ، وعنوا بتوزيعها على أساس فعاليتها الاعرابية ، ومن هنا جمعوا فى خانة واحدة ما أطلقوا عليه الأفعال النواسخ (٢٤٢ وهو معنى قول ابن مالك :

« ك كان كاد وعسى .... » (٢٤٣) .

باعتبار أنها جميعا « تدخل على المبتدأ والخبر ، فترفع المبتدأ اسما لها ، ويكون خبره خبرا لها فى موضع نصب » (٢٤٤) .

« كاد يفعل » فى القرآن :

ومن استعمال المركب « كاد يفعل » فى القرآن قوله تعالى : « من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم » (٢٤٥) وقوله : « ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها » (٢٤٦) وقوله : « ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها »(٢٤٧) وقوله :«ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى » (٢٤٨) وقوله : « وان كادوا ليفتنونك » (٢٤٩) وقوله : « وان كادوا ليستفزونك » (٢٥٠) وقوله : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا » (٢٥١) .

ان فحص النصوص السابقة يؤدى الى :

١ ـ أن الحدث اقترب من الوقوع ، ولكنه لم يقع ، وتشير بعض الأدوات فى التركيب الى عدم الوقوع .

وهى : « لولا » ، « اذن » غير أن هذا ليس عاما ، وان كان مطردا .

٢ ـ يميل الاستعمال اللغوى فى القرآن ، فى هذه التراكيب الى استغلال « شدة قرب الفعل من الوقوع » (٢٥٢) وعدم الوقوع أبدا ،

---

(٢٤٢) ينظر شرح ابن عقيل على الألفية : ١ : ٢٢٧ .
(٢٤٣) شرح ابن عقيل عن الألفية : ١ : ٢٧٧ .
(٢٤٤) المصدر السابق : ١ : ٢٧٧ .
(٢٤٥) التوبة : ١١٧ .
(٢٤٦) الفرقان : ٤٢ .
(٢٤٧) القصص : ١٠ .
(٢٤٨) الأعراف : ١٤٩ .
(٢٤٩) الاسراء : ٧٣ .
(٢٥٠) الاسراء : ٧٦ .
(٢٥١) الاسراء : ٧٤ .
(٢٥٢) دلائل الاعجاز : ١٨٣ .

الى خلق حالة تضاد (Contrastive case) مؤثرة فيدخل ما يؤكد تحقق الحدث لابراز عـدم التحقق · فالمركب « لقد + فعل » كمـــا مر بنا (٢٥٣) من مركبات التأكيد ، بل عـده سيبويه من مركبـــات القسم (٢٥٤) ·

بل ان المعنى فى « لقد كدت » يبدو كأنه يصدر عن فعل الكيد أكثر مما يصدر عن أداة مقاربة الحدث لتصوير حدث الركون وكأنـــه قد تحقق فعلا لولا تدخل ارادة الله · وينقل الزمخشرى الاحســـاس ذاته بقوله : « وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت » (٢٥٥) ·

كما انه يمكن أن نفسر دخول « ان » المخففة المؤكدة ولام التوكيد على « كاد » وحدث مركبها فى هذا الضوء :

فى قوله : « وان كادوا ليفتنونك »

وقوله : « وان كادوا ليستفزونك »

ف « ان » كما يصرح سيبويه «توكيد» (٢٥٦) وكذا « اذا خففت ، فهى كذلك تؤكد ما يتكلم به وليثبت الكلام ، غير أن لام التوكيد تلزمها عوضا مما ذهب منها » (٢٥٧) ·

والتضاد يقع بين توكيد وقوع الحدث ، وعدم وقوعه أساسا · وعلى عبارة السيرافى : « فلست بمخبر آنك فعلته ، ولا أنك عريت منه عرى من لم يرمه » (٢٥٨)

ولم تعرض المباحث المعاصرة لما سمى ب « أفعال المقاربة » بصـورة تفصيلية لا ستخراج قيمها النحوية ، عدا اشارات رددت ما قاله القدماء ؛ فجعل الدكتور تمام حسان المركب « كاد يفعل » دالا على الماضى المقاربى ، وجعل نفيه : « لم يكد يفعل » وتوكيده : « لقد كاد يفعل » (٢٥٩) · ودلالة الماضى المقاربى صحيحة من حيث تميز دلالة الحدث المعنوية ، لا من حيث دلالته الزمنية ــ كما سنعرض لذلك فى هذا المبحث ــ وقد تفادى

---

(٢٥٣) ينظر / ص ٢٣٥ من هذا الفصل ·
(٢٥٤) الكتاب : ٣ : ١١٧ ·
(٢٥٥) الكشاف : ٢ : ٤٦٠ ·
(٢٥٦) الكتاب : ٤ : ٢٣٣ ·
(٢٥٧) الكتاب : ٤ : ٢٣٣ ·
(٢٥٨) الكتاب : ٣ : ١١ ·
(٢٥٩) اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب / جدول الزمن ·

الدكتور تمام حسان ذكر صيغة « يفعل » المثبتة من « كاد » : « يكاد يفعل » ونفيها وهو ما سنعرض له في حقل الحاضر ·

نفى كاد يفعل :

ورد فى القرآن الكريم شكلان لنفى « كاد يفعل » ·

الأول : « لم يكد يفعل » والثانى : « ما كاد يفعل » ، قوله « اذا أخرج يده لم يكد يراها » (٢٦٠) وقوله : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » (٢٦١) · وأشار الجرجانى مستندا الى النص القرآنى ، الى شكلى نفى « كاد يفعل » كليهما (٢٦٢) ·

لكن ثعلبا جعل : « لم يكد يفعل » اثباتا وجعل « كاد يفعل » نفيا · قال قولك « كدت أقوم » أى « لم أقم » وقولك : « لم أكد أقوم » أى « قمت » (٢٦٣) ·

فمعنى النفى عند ثعلب للمركب المثبت ، ومعنى الاثبات للمركب المنفى ولهذا فسر قوله تعالى : « اذا أخرج يده لم يكد يراها » (٢٦٤) بـ « رآها بعد بطء » (٢٦٥)

وقد ناقض الجرجانى ذلك فقال وهو يحلل الآية السابقة :

« وانما هو لم يرها ولم يكد » (٢٦٦) · وقال فى موضع آخر « لم يكد يفعل » و « ما كاد يفعل » : أن يكون المراد أن الفعل لم يكن من أصله ، ولا قارب أن يكون ، ولا ظن أنه يكون » (٢٦٧) ·

ولهذا اضطرب الزمخشرى وهو يعرض لقوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » قال قوله « وما كادوا يفعلون » استثقال لا ستقصائهم واستبطاء لهم ، وقيل : وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها ، وقيل : لخوف

---

(٢٦٠) النور : ٤٠ ·
(٢٦١) البقرة : ٧١ ·
(٢٦٢) ينظر دلائل الاعجاز : ١٨٢ ·
(٢٦٣) مجالس ثعلب : ١ : ١٤٢ ·
(٢٦٤) النور : ٤٠ ·
(٢٦٥) مجالس ثعلب : ١ : ١٤٢ ·
(٢٦٦) دلائل الاعجاز : ١٨٢ ·
(٢٦٧) المصدر السابق : ١٨٣ ·

الفضيحة فى ظهور القاتل » (٢٦٨) ٠ وكان الزمخشرى قد تابع الجرجانى فى أن « لم يكد يفعل » = « لم يفعل » (٢٦٩)

وكانت هذه واحدة من القضايا الخلافية بين الشكل والدلالة فى المنهج النحوى : قال الرضى « قال بعضهم فى « كاد » ان نفيه اثبات واثباته نفى » (٢٧٠)

ورد الأشمونى ـ متابعا الجرجانى ـ فقال : « حكم « كاد » كحكم سائر الأفعال وأن معناها منفى اذا صحبها حرف النفى ، وثابت اذا لم يصحبها » (٢٧١) ٠ يحلل الاشمونى المركبات اللغوية وفق عناصرها قبل التركيب وعلى رأيه فاذا قال قائل : « كاد زيد يبكى » فمعناه قارب زيد البكاء فمقاربة البكاء ثابتة ، ونفس البكاء منتف ، واذا قال : « لم يكد يبكى » فمعناه : « لم يقارب البكاء » فمقاربة البكاء منتفية ، ونفس البكاء منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة » (٢٧٢)

أى أن مركبى « كاد يفعل » و « لم يكد يفعل » ينطويان على حدث منتف ، والفرق بينها أن « لم يكد يفعل » : « أبلغ فى نفى الرؤية » (٢٧٣) من « كاد يفعل » ٠ وقد عرض الاشمونى لقوله تعالى : « فذبحوها وما كادوا يفعلون » فأقصى معنى الأثبات الذى هو دالة السياق ، واعتمد دلالة النفى ٠

قال : فذبحوها وما كادوا يفعلون » : فكلام تضمن كلامين ، مضمون كل واحد منهما فى وقت غير وقت الآخر ٠ والتقدير فذبحوها بعد أن كانوا بعداء من ذبحها ، غير مقاربين له ، وهذا واضح ، والله أعلم » (٢٧٤) ٠

وفى هذا التحليل خروج عن معنى السياق المقصود ٠ اذ المعنى أنهم ذبحوها ببطء لأن ذلك كان ضد ارادتهم ، والحوار بين موسى عليه السلام « وقومه » يشير الى هذا المعنى ٠

ومن هذه الزاوية يمكن أن يوجه النقد الى حقلى التوزيع فى جدول الدكتور تمام حسان : « كاد يفعل » للدلالة على الماضى المقاربى المثبت

(٢٦٨) الكشاف : ١ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ٠
(٢٦٩) الكشاف : ٣ : ٦٩ ٠
(٢٧٠) الكافية : ٢ : ٣٠٦ ٠
(٢٧١) شرح الأشمونى : ١ : ١٣٢ ٠
(٢٧٢) شرح الأشمونى : ١ : ١٣٤ ٠
(٢٧٣) المصدر السابق : ١ : ١٣٤ ٠
(٢٧٤) شرح الأشمونى : ١ : ١٣٤ و ١٣٥ ٠

و « لم يكد يفعل » للدلالة على الماضى المقاربى المنفى (٢٧٥) ٠ اذ العكس هو الصحيح ٠

كما أن « كاد يفعل » و « لم يكد يفعل » يشيران الى ناحية في دلالة الحدث ٠ غير دلالته الزمنية ، ومعناهما على التوالى : قارب الحدث الوقوع فى الزمن الماضى غير المحدد ولم يقع ٠ وتم فى الزمن الماضى غير المحدد ببطء ومشقة وعناء ٠

وانما الزمن يستفاد من صيغة الفعل المساعد « كاد » ، «يكاد » الصرفية ٠

ان مصطلح الماضى المقاربى ـ مثبتا كان أم منفيا ـ مصطلح غير زمنى ٠ بعبارة أخرى : لايتميز بسمات زمنية ، يمكن لهما بها ، أن يشغلا خانة فى حقل الزمن الماضى ، وانما يندرجان تحت دلالة « فعل » ونفيه « مافعل» و « لم يفعل » ٠ التى تدل على وقوع الأحداث فى فترة غير محدودة فى الزمن الماضى ٠

---

(٢٧٥) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول الزمن ٠

الفصل الثـــانى

حقول الزمن

- المشترك
- الحاضر
- المستقبل

المبحث الأول :

حقل الزمن المشترك

مازال يفعـــل :

لايزال يفعـــل :

تدل المركبات المكونة من :

الأفعال المساعدة ـ زال ، برج ، انفك ، فتىء ـ + الحدث على امتداد زمن الحدث من الماضى حتى الحاضر ، وقد يكون هذا الامتداد منقطعا أو غير منقطع ، كما سنفصل فى ذلك ٠

ولا تكون هذه الأفعال المساعدة أو المورفيمات على وجه الدقة ، تؤدى وظيفتها « الا بجحد ظاهر أو مضمر » (١) كما أن هذا الجحد ـ النفى ـ يكون : بـ « ما » و « لم » للدلالات الزمنية الماضية ، وبـ «لا» و «لن» للدلالات غير الماضية (٢) ٠

ولقد بحث دارسو النص القرآنى هذه المورفيمات فى ضوء ما حددوه لها من وظيفة زمنية ، وبذلك فرقوا بينها وبين نفس موادها اذا وقعت فعلا محضا ٠ [يقول الفراء] : وقوله واذ قال موسى لفتاه لا أبرح »(٣) يريد : لا أزال حتى أبلغ ، لم يرد : لا أبرح مكانى ٠ وقوله : « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى » (٤) : غير معنى « أزال » هذه « اقامة » ٠ وقوله: « لن نبرح عليه عاكفين » (٥) : لانزال عليه عاكفين » (٦) ٠

ومن ضروب التعارض الدلالى بين الفعل والمورفيم فى هذه المـواد ما أورده الفراء قال : « قد انفككت منك » بلا جحد وبلا فعل ٠ وقد قال ذو الرمة :

---

(١) معانى القرآن : ٢ : ١٥٤ ٠
(٢) ينظر التوطئة : ٢١٣ ٠
(٣) الكهف : ٦٠ ٠
(٤) يوسف : ٨٠ ٠
(٥) طه : ٩١ ٠
(٦) معانى القرآن : ٣ : ٢٨١ ٠

قلائص لا تنفك الا مناخة على الخسف أو ترمى بها بلد قفرا

فلم يدخل فيها « الا » الا وهو ينوى بها التمام ، وخلاف « لا يزال » لأنك لا تقول : « مازلت الا قائما » (٧) ٠

وقد جعل النحاة القدماء هذه الأفعال المساعدة للدلالة على « ملازمة الخبر المخبر عنه على حسب ما يقتضيه الحال نحو : « مازال زيد ضاحكا» و « مازال عمرو أزرق العينين » (٨) ٠

ويعنى ذلك أنها تؤدى دلالة جهة فى زمن اللغة العربية بائتلافها مع الفعل أو اسم الحدث أو الصفة أو ما اصطلح على تسميته اعرابيا « الخبر » (٩) وعبارة الشلوبين : « لمصاحبة الصفة الموصوف منذ أمكن أن يكون قائلا بها » (١٠) فكأن فى ذلك ملحظا لدلالة الجهة أى لمسافة الاستمرار ـ ان كان استمرارا منقطعا ، أو غير منقطع ٠ فصفة « أزرق العينين » تشير الى صفة فى الطبيعة ، أى : الى ثبوت صفة ، أما صفة « فاعل » : « ضاحك » فتشير الى صفة مؤقتة بالنسبة للصفات الدائمة ، والى أن حدثها أقرب الى الثبوت الوصفى منه فى حدث الفعل المتحرك ٠

غير أن الملاحظة ينبغى أن تنصب على أحداث « مركبات الاستمرار » كما ينبغى أن نطلق عليها ، ومن هنا يمكن أن تعد صفات « أزرق العينين » « طويل القامة » ٠٠٠ الخ من قبيل قياس الاستمرار الاسمى على الاستمرار فى هذه المركبات ٠ وفى هذا القياس خطأ من حيث ان الاسمية تنطوى على ثبوت صفة لا زمنية ودوامها ، أما هذه المورفيمات فتدل على استمرار حدث ، أى : على زمنية ٠ كما كنا عرضنا لذلك فى مفتتح هذا المبحث أى : أن الاسمية تستند الى صفة ٠ وهذه المورفيمات تستند الى حدث ٠ ومن هنا يمكن عد جملة « مازال زيد أزرق العينين » منطوية على حدث ، فى عمقها ، هو « يتصف » أو ما شاكله ٠ وهذا المنحى ، أى النظر فى « أحداث » أو « أخبار » مورفيمات الاستمرار الزمنى لم يوفه النحاة أو المعاصرون حقه ، كما لم يعرض للتغاير الدلالى الزمنى بتغاير صيغ هذه المواد « مازال » « مايزال » ، كما لم يعرض لاختلاف القرائن المؤتلفة مع صيغها ك « ما / لا / لن » ولم يشر الى علاقاتها بالزمن فى هذه السياقات ٠

---

(٧) معانى القرآن : ٣ : ٢٨١ ٠
(٨) شرح ابن عقيل : ١ : ٢٣٢ ٠
(٩) الكشاف : ٢ : ٤٩٠ ٠
(١٠) التوطئة : ٢١٣ ٠

الاستعمال

وردت هذه المواد بصيغ متعددة فى الاستعمال القرآنى ، وعلى النحو الآتى :

زال

قوله تعالى : « **فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً** » (١١) .

وقوله : « **فمازلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم** » (١٢).

وقوله : « **ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم** » (١٣) .

وقوله : « **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم** » (٤) .

وقوله : « **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتى وعد الله** » (١٥) .

وقوله : « **ولا يزالون مختلفين** » (١٦) .

بـــرح

قوله تعالى : « **لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين** » (١٧) .

وقوله : « **لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى** » (١٨) .

فتـــىء

قوله تعالى : « تالله تفتوء تذكر يوسف حتى تكون حرضا » (١٩) .

---

(١١) الأنبياء : ١٥ .
(١٢) غافر : ٣٤ .
(١٣) المائدة : ١٣ .
(١٤) البقرة : ٢١٧ .
(١٥) الرعد : ٣١ .
(١٦) : هود : ١١٨ .
(١٧) الكهف : ٦٠ .
(١٨) طه : ٩١ .
(١٩) يوسف : ٨٥ .

التحليــــل :

ان أهم الملاحظات التى يمكن أن ينتهى اليها فحص النصــوص السابقة هى :

١ ــ وجود تناسب بين أشكال صيغ الأفعال المساعدة ودلالة الجهة فى الزمن : فالصيغ الماضوية « فما زالت /فمازلتم » تدل على استمرار الحدث فى نقطة معينة وانقطاعه بحدث آخر ، ثم هو أيضا :

« فما زالت تلك دعواهم : حتى جعلناهم »

« فما زلتم فى شــك ··· حتى اذا هلك »

أما الصيغ المضارعية (تزال ، تفتأ ، نبرح) فتدل على أن الحدث لا يزال مستمرا ، وسوف ينقطع بحدث يتوقع حدوثه : كقوله : « تالله تفتــؤ تذكر يوســـف حتى تكون حرضـــا أو تكون من الهالكين » . « أى ستستمر على هذه الحال الى أن تكون مشفيا على الهـــلاك (٢٠) . وكذا : « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم » أى سيستمرون يصابون الى أن يأتى نصر الله .

٢ ــ يفسر ذلك أن نفى صيغة الماضى فى هذه المواد يكون ب « ما » : « مازلتم » ونفى ما أشعر حدثه بالامتداد من الماضى الى المستقبل ب « لا » و « لن » ولا مدخل لنفى الصيغ المضارعية ب « ما » ها هنا .

٣ ــ يشير استعمال « حتى » استعمالا عدديا الى حركة انقطاع الحدث الذى انقطع أو الذى يفترض انقطاعه :

« فمازالت ··· حتى » / « فمازلتم ··· حتى » /

« ولا يزالون ··· حتى » / « لا أبرح ··· حتى » /

« لن نبرح ··· حتى » / تفتأ تذكر ··· حتى » /

٤ ــ ان العلاقة بين شكل صيغة الفعل المساعد ودلالة الجهــة الزمنية ، يشير اليها النسق الذى تكونه التركيبات السابقة :

فالحدث الذى انقطع لا يقدم بصورة « فعل » ، بل بصورة صفة عارضة لأن حدث الفعل لم يعد له تحقق :

---

(٢٠) ينظر الكشاف : ٢ : ٣٣٩ .

« فمازالت تلك دعواهم »

« فمازلتم فى شـــك »

ولا يمتنع أن تتحول الى أصولها الفعلية :

فمازالوا يدعون ٠

فمازلتم تشكون ٠

أما الحدث الذى لم ينقطع بعد ، أى الحدث الذى له تحقق فيأتى بصورة « فعل » :

« تفتأ تذكر »

« لاتزال تطلع »

« لايزالون يقاتلونكم »

« ولايزال تصيبهـم »

« لا أبـرح « أسير » ٠٠.(٢١) ٠

تقدم لنا هذه النتائج ملحظا دقيقا فى الفروق الدلالية الزمنية بين مركبى :

« مازلت أفعل »

و « لا أزال أفعل »

فكلا المركبين يشيران ، فى العربية ، اذا وقفت عليهما ، الى استمرار الحدث من الماضى حتى الحاضر ، غير منقطع ، فاذا انقطع الحدث ، وكانت صيغة الفعل المساعد على « فعل » ، انقطع بحدث تام فى الزمن الماضى : ومثاله :

« مازلت أفعل حتى جاءنى زيد ٠ » ٠

ومعناه : أنى كنت مستمرا فى الفعل حتى جاءنى زيد ٠

فان كانت صيغة الفعل المساعد المضارعة « أزال » انقطع الحدث بحدث ، بصيغة المضارع الذى لم يتحقق بعد ٠ فدلالة الانقطاع دلالة مفترضة فى المستقبل ، أما حدث مركب الاستمرار فيدل ، ها هنا ، على أنه فى استمراره : ومثاله :

« لا أزال أفعل حتى يأتينى زيد »

أى سأستمر فى الفعل حتى يأتى زيد ٠٠٠

---

(٢١) الكشاف : ٢ : ٤٩٠ ٠

ما فعل مذ (منذ)

تقدم العربيــة مركبا منفيا ، يمكن أن يقابل مركبــات الاستمرار المثبتة ، كما أنه يمكن أن يكون مرادفا لمركب النفى المكون من :

لما + حدث المضارع · « لما يفعل » (٢٢) ·

وهذا المركب يتكون من :

ما النافية + حدث « فعل » + « مذ » أو « منذ » + دالة زمن مبهمة كـ « يوم الجمعة » أو مشيرة الى زمن ماض كـ « أمس » و « كان » ·

يقول سيبويه « وأما « مذ » فتكون غاية الأيام والأحيان ··· وذلك قولك : « ما لقيته مذ يوم الجمعة الى اليوم » و « مذ غدوة الى الساعة » و « مـا لقيته مــذ اليوم الى ســاعتك هــذه » · فجعلت اليوم أول غايتك ··· » (٢٣) ·

وقال فى موضع آخر : « ومما يضاف الى الفعل قولك : « ما رأيته مذ كان عندى » (٢٤) ·

وشرح سيبويه فى موضوع ثالث الأحداث وأزمانها فى سياق هذا التركيب بقوله : « ومثل ذلك : « ما لقيته مذ يوم الجمعة صباحا » أى فى هذه الساعة ، وانما معناه أنه فى هذه الساعة وقع اللقاء » (٢٥) ·

فكأن هناك حدثا ، وقع فى الزمن الماضى ، ثم انقطع عن الوقوع ، واستمر انقطاعه الى هذه اللحظة ·

وقال عن « منذ » : « وأما « منذ » فضمت لأنها للغاية » (٢٦) فاذا قصدنا معنى جملة « لما يأت زيد » وجدناه :

أن حدث الاتيان انقطع منذ ساعة كذا الى هذه اللحظة ، وهذا المعنى نجده نفسه فى جملة :

« ما أتى زيد مذ ساعة كذا » ·

وفى قولنا : « لا يزال زيد يكتب » نعنى أن حدثا قد بدىء بــه (قبل ساعتين مثلا) وهذا الحدث مستمر حتى هذه اللحظة ·

---

(٢٢) الذى سيرد ذكره فى مبحث الزمن الحاضر ·
(٢٣) الكتاب : ٤ : ٢٢٦ ·
(٢٤) المصدر السابق : ١ : ٢٢٣
(٢٥) المصدر نفسه : ١ : ٢٢٣ ·
(٢٦) نفسه : ٣ : ٢٨٧ ·

ويقدم لنا التخطيط الآتى ، التوافق والتقابل فى المركبات تلك

لا يـــزال زيد يكتـــب .

الماضى

الحاضـــر

واستمر فى الكتابة الى هذه اللحظة

كتب

ما كتب زيد مذ أمس

الماضـــى

الحـاضر

عدم الكتابة

واستمرار هذا العدم الى هذه اللحظة

وكذلك يكون تخطيط تركيب النفى « لما يفعل » :

لـمـا يفعل

الماضى

الحاضـــر

فقوله تعالى : « **ولما يدخل الايمان فى قلوبكم** » (٢٧) يرادف فى معناه القول : « **وما دخل الايمان فى قلوبكم مذ أسلمتم** » •

فعـــل الآن :

تردد فى مباحث النحاة الحاق ظرف زمن الحاضر (اليوم ، الآن ، الساعة) بصيغة « فعل » الدالة على الزمن المـاضى • قال سيبويه : « أتانى اليوم رجل » (٢٨) •

ان دلالة الصيغ التضمنية على الزمن ، تبدو متعارضـة مع هـذا الائتلاف وهو ما سماه سيبويه « المحال » : « أتيتك غدا » •

فالظروف ك « الآن » أو « اليوم » أو « الساعة » ، وكل اشارة توقيت للحاضر تتضمنها صيغة (يفعل) الدالة على الحاضر ، كما سنعرض لذلك فى هذا الفصل وليس صيغة « فعل » •

غير أننا ، وفق المفهوم اللغوى للقسم الزمنى ، الذى عرضنا له ، تستطيع أن نفسر وقوع ظرف ك « اليوم » ، بما ينطوى عليه من نقاط تقطع أقسام الزمن الثلاثة مؤتلفا مع صيغة الماضى • فقول سيبويه « أتانى

---

(٢٧) الحجرات : ١٤ •

(٢٨) الكتاب : ١ : ٥٥ ؛

اليوم رجل » يفترض أنه قاله فى ساعة من اليوم عن رجل أتاه قبل ساعة أو ساعتين ٠٠

كما أننا وفق هذا المفهوم نفسه نستطيع أن نفسر وقوع ظرف يكون نقطة زمنية واحدة ك « الآن » فى الماضى ٠ فما الوجه الذى تأتلف فيه الصيغة الدالة على الماضى مع الظرف الدال على الوقت الحاضر ؟

يتيح لنا فحص الحاق ظروف الحاضر بصيغة الماضى تلمس الاجابة عن السؤال السابق ٠

قال تعالى :

« **اليوم يئس الذين كفروا** » (٢٩) ٠

وقال : « **اليوم أكلمت لكم دينكم** » (٣٠) ٠

« فاليوم ننجيك » (٣٢) ٠

وقال : « **اليوم أحل لكم الطيبات** » (٣١) ٠

وقال : « **قـــال انى تبـــت الآن** » (٣٣) ٠

وقال : « **الآن جئـــت بالحـــق** » (٣٤) ٠

« فمن يستمع الآن ؟ » (٣٧) ٠

وقال : « **الآن خفف الله عنكـــم** » (٣٥) ٠

وقال : « **الآن حصحص الحـــق** » (٣٦) ٠

وقد علل بعض النحاة « جواز اقتران « الآن » أو « الساعة » بالفعل الماضى اذا اقترن بـ « قد » لأن « قد » تقرب الماضى من الحال ، فيقال : « قد قام الآن أو الساعة » (٣٨) ٠

والاستعمال يدحض هذا التحليل ، ويجعل منه وجها من وجوه المواءمة بين المنطق العقلى المجرد والمنطق اللغوى ٠

---

(٢٩) المائدة : ٣ ٠
(٣٠) المائدة : ٣ ٠
(٣١) المائدة : ٥ ٠
(٣٢) يونس : ٩٢ ٠
(٣٣) النساء : ١٧ ٠
(٣٤) البقرة : ٧١ ٠
(٣٥) الأنفال : ٦٦ ٠
(٣٦) يوسف : ٥١ ٠
(٣٧) الجن : ٩ ٠
(٣٨) الانصاف : ١ : ٢٥٤ ٠

يشير « اليوم » فى الاستعمالات السابقة الى نقطة زمنية فى الحاضر « لا الى « اليوم » بمفهومه المعجمى ويمكن أن نستبدل « الآن » ب « اليوم » من غير أن يثير ذلك اعتراضا دلاليا واضحا ٠

اليوم أكملت لكم دينكـــم

(الآن) أكملت لكم دينكم

وليس من قبيله : « أتانى اليوم رجل » فليست هى : « أتانى الآن رجل » ٠

ان « الآن » وهو « اسم للوقت الذى أنت فيه » (٣٩) يمثل ، وفق مفهوم الأقسام الزمنية فى اللغة ، آخر نقطة فى الماضى ، ونقطة الحاضر كلها وأول نقطة فى المستقبل ٠ ان نقطة ــ الآن ــ يمر فيها ، من زاوية منطق اللغة نفسها أقسام الزمن الثلاثة : الماضى ، الحاضر ، المستقبل ٠ قوله تعالى :

« **الآن حصحص الحق** » **الماضى**

وقوله : « **فمن يستمع الآن** » الحاضر

وقوله : « **الآن باشروهن** » (٤٠) من الحاضر الى المستقبل ٠

وقول الشاعر : « ساسعى الآن اذ بلغت اناها » (٤١) ٠

فسر النحاة ائتلاف زمن المستقبل مع وقت الحاضر بأنه « يراد به تقريب المستقبل من الحال » (٤٢) والحق أنه يراد به جهة فى زمن الحاضر أى من هذه اللحظة الى ما سيأتى من الزمن ٠ ويشير الى هذا الاتجاه قوله : « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ٠٠٠ فالآن باشروهن » أى من لحظة نزول الآية ٠

ويعنى كل ذلك أن الحدث الذى تم فى الماضى مع « الآن » يشعر بوجود فكرة الماضى الذى تم لتوه :

« الآن حصحص الحق » الحدث الذى تم حاضر أمام أعين النسوة صاحبات امرأة العزيز ، وكأنه يستقر لتوه ٠ ويتوافق هذا المنحى الدلالى

---

(٣٩) مختار الصحاح : ١٣٦ ٠
(٤٠) البقرة : ١٨٧ ٠
(٤١) التوطئة : ١٣٤ ٠
(٤٢) التوطئة : ١٣٤ ٠

لصيغة « الماضى » + ظرف الحاضر . مع المنحى الدلالى لصيغة « المضارع التام » فى الانكليزية :

The Present Perfect Tense.

الذى ينشكل من استعمال

has ، have + past participle

ويدل على حدث تم لتوه

For an action that is just finished

لكنهما يختلفان فى وجهة الدلالة : حيث يكون تفكيرنا فى المضارع التام فى الانكليزية ، أكثر تركيزا على النتيجة المحققة فى الحاضر منها على الحدث الماضى :

It is used when we are thinking more about the present result than about the past action (٤٣)

أما فى مركب « فعل الآن » فى العربية فاننا نفكر فى الماضى أكثر مما نفكر فى الحاضر .

---

(٤٣) Brighten Grammar, p. 23.

المبحث الثانى :

حقل الزمن الحاضر

يفعـل :

جعل سيبويه صيغة « يفعل » دالة على الحاضر والمستقبل ، قال : « وأما بناء ما لم يقع فانه قولك آمرا « اذهب » ومخبرا « يقتل » ، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن اذا أخبرت » (٤٤) وقال : « فمن ذلك قولك : « متى يسار عليه ؟ » فيقول : « اليوم أو غدا » (٤٥) ٠

كما انه نص على هذه الدلالة المزدوجة لصيغة « يفعل » فى باب نفى الفعل ٠ قال : « واذا قال : « هو يفعل » أى : هو فى حال فعل ٠٠٠٠ واذا قال : « هو يفعل » ولم يكن الفعل واقعا ٠٠٠ » (٤٦) ٠

غير أن سيبويه فى أغلب تطبيقاته جعل صيغة « يفعل » دالة على الحـاضر ٠ أما المستقبل فجعل الدلالة عليه منـوطة بتركبه مع أدوات الاستقبال ٠ قال : « وسأبين لك من ذلك » (٤٧) ٠

وقد اقتفى النحاة بعده توزيع صيغة « يفعل » على الحاضر والمستقبل وعبارة صاحب الأصـــول : « تصــلح لمـا أنت فيه من الزمان ، ولمـا يستقبل » (٤٨) ٠٠ « ولا دليل فىَ لفظه على أى الزمانين تريد » (٤٩) ٠

ومن ثم فقد اعتمد النحاة مورفيمات زمنية لتوزيع صيغة « يفعل » فى خانة الحاضر وخانة المستقبل :

« تقول « يفعل » وهو فى الفعل ، و « يفعل غدا » ، فاذا دخله « السين » أو « سوف » اختص بالمستقبل ، واذا دخلته « اللام » اختص بالحال نحو : « انه ليأكل » (٥٠) ٠

---

(٤٤) الكتاب : ١ : ٢٢ ٠
(٤٥) الكتاب : ١ : ٢١٦ ٠
(٤٦) الكتاب : ٣ : ١١٧ ٠
(٤٧) الكتاب : ١ : ٢٩٥ ٠
(٤٨) الأصول : ١ : ١٩ ٠
(٤٩) الأصول : ١ : ٤١ ٠
(٥٠) الجمل : ٥ ٠

غير أن قسما من النحاة ألح الى ارتباط دلالة صيغة « يفعل » بالحاضر أكثر من ارتباطها بالمستقبل : قال صاحب الاصول : « فاذا قلت : « سيفعل » أو : « سوف يفعل » دل على أنك تريد المستقبل ، وترك الحاضر على لفظه لأنه أولى به » (٥١) ٠

وقال ابن جني : « الحال التى المضارع أولى بها » (٥٢) وقد مال الرضى الى عد صيغة « يفعل » دالة على الحاضر :

قال : « المضارع حقيقة فى الحال والاستقبال ، وقال بعضهم هو حقيقة فى الحال ، مجاز فى الاستقبال ، وهو أقوى لأنه اذا خلا من القرائن لم يحمل الا على الحال ، ولا يصرف الى الاستقبال الا بقرينة » (٥٣) ٠

أما المعاصرون فقد أسندوا دلالة الازدواج الزمنى الى صيغة « يفعل » يقول الدكتور علي جابر المنصوري : « وهو — يفعل — الذى يدل فى أكثر استعمالاته على وقوع الحدث فى زمن التكلم » (٥٤) ٠ ويقول فى موضع آخر : « والجملة التى تعبر عن المستقبل البسيط وأداتها المضارع الصرفى » (٥٥) وجعلوا استعمال ظرف الاستقبال « يوم القيامة » مع صيغة « يفعل » دليلا على دلالة هذه الصيغة على المستقبل فى ناحية من نواحى استعمالها (٥٦) ٠

« يفعل » فى الاستعمال :

اذا عرضنا لاستعمال صيغة « يفعل » دالة على المستقبل فى القرآن وجدنا ثلاثة أنساق :

النسق الأول :

وفيه تقدم صيغة « يفعل » على ظرف الاستقبال ، قوله :

---

(٥١) الاصول : ١ : ٤١ ٠
(٥٢) الخصائص : ٢ : ١٤٦ ٠
(٥٣) الكافية : ٢ : ٢٢٦ ٠
(٥٤) مجلة كلية الشريعة / مقالة : جملة الماضى والحاضر والمستقبل : ٦ : ٢٢ ٠
(٥٥) مجلة كلية الشريعة / مقالة : جملة الماضى والحاضر والمستقبل : ٦ : ٣١ ٠
(٥٦) ينظر فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٧ ٠

« وانما توفون أجوركم يوم القيامة » (٥٧) ٠

وقوله : « ونخرج له يوم القيامة كتابا » (٥٨) ٠

وقوله : « ونحشره يوم القيامة » (٥٩) ٠

وقوله : « ونذيقه يوم القيامة » (٦٠) ٠

أما قوله تعالى : « ونحشرهم يوم القيامة » (٦١) ٠ فالصيغة واقعة فى اطار شرطى : « ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة ٠٠ » ٠

فاذا فحصنا سياق هذا النسق وجدنا أن هذه التركيبات « يفعل + ظرف الاستقبال » مكتنفة جميعها بتركيبات اسمية ٠ على النحو الآتى :

« كُل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة »

« وكل انسان ألزمناه طائره ونخرج له يوم القيامة كتابا »

« فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة »

« له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة »

وتؤثر التركيبات الاسمية المكتنفة فى الاتجاه الدلالى لصيغة « يفعل » حيث تتجه الى ايضاح حقيقة أكثر مما تتجه الى ايضاح حدث فى زمن ٠

ويمكن بسط ذلك باجراء التحويلات الآتية بين السطح والعمق :

السطح : « فان له معيشة ضنكا » « ونحشره يوم القيامة » ٠

العمق : فان له فى الدنيا معيشة ضنكا وان له حشرا يوم القيامة ٠

« له فى الدنيا خزى » « ونذيقه يوم القيامة »

له فى الدنيا خزى وله يوم القيامة اذاقة

ونلاحظ استحضار الصورة فى استعمال الصيغ دون اتجاهها

---

(٥٧) آل عمران : ١٨٥ ٠
(٥٨) الاسراء : ١٣ ٠
(٥٩) طه : ١٢٤ ٠
(٦٠) الحج : ٩ ٠
(٦١) الاسراء : ٩٧ ٠

الزمنى فى قوله تعالى : « ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم ... » .

ف « نخرج » و « اقرأ » و « كفى » أمثلة دقيقة على تشعب وظائف الصيغ الفعلية فى العربية .

النسق الثانى :

وفيه تعبر صيغة « يفعل » عن حدث مسند الى الله . كما فى قوله تعالى :

« **ان ربك يقضى بينهم يوم القيـامة** » (٦٢) .

وقوله : « **ان الله يفصل بينهم يوم القيامة** » (٦٣) .

وقوله : « **فالله يحـكم بينكم يوم القيـامة** » (٦٤) .

وقوله : «**وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة** » (٦٥) .

يقدم لنا النسق الثانى صيغة « يفعل » وفق قاعدة تبادل المواقع بين الصيغ ، التى عرضنا لها (٦٦) ، وليس على أساس صيغة زمنية تعبر عن المستقبل بدلالة ارتبـاطها ب « يوم القيـامة » كما توهم كثير من الباحثين .

وقد عرض ابن هشام لهذا النسق . حين رد على ابن مالك الذى رأى أن « لام الابتداء » لا تخلص المضارع للحال مستندا ـ أى ابن مالك ـ الى قوله تعالى « وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة » ، رد عليه بقوله : «أن الحكم واقع فى ذلك اليوم لا محالة ، فنُزل منزلة الحاضر المشاهد» (٦٧) فالقصد من استعمال هذه الصيغة فى هذه السياقات استحضار صورة المستقبل فى سياق فعلى Verbal context (يقضى ، يحكم ، يفصل) وليس فى سياق اسمى Normal Context (القاضى ، الحاكم ، **الفاصل**) ففى ظلال الصيغة الفعلية توجد صيغة اسمية .

---

(٦٢) يونس : ٩٣ .
(٦٣) الحج : ١٧ .
(٦٤) النساء : ١٤١ .
(٦٥) النحل : ١٢٤ .
(٦٦) انظر الفصل الثانى من هذه الرسالة المعنون ب « امكانات الصيغة » .

النسق الثالث :

وفى هذا النسق يتقدم ظرف الاستقبال « يوم القيامة » صيغة « يفعل » قال تعالى : « **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا** » (٦٨) وقال « **ثم أنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** » (٦٩) **وقال** : « **ثم يوم القيامة يكفر بعضكم بعضا** » (٧٠) **وقال** : « **ثم انكم يوم القيامة تبعثون** » (٧١) وقال : « **ثم يوم القيامة يخزيهم** » (٧٢) وقال : « **ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون** » (٧٣) والقصد ، كما فى النسقين السابقين استحضار الصور والا كان القول : « **ثم يوم القيامة سيخزيهم** » **أو** « **يوم القيامة سيكون عليهم شديدا** » • ويمكن أن نلاحظ ذلك بـ :

« **ثم انكم بعد ذلك لميتون** » (٧٤) « **ثم انكم يوم القيامة تبعثون** » ان وضع « مبعوثون » بدلا من « تبعتون » هو هدف التركيب ، غير أنه عدل الى صيغة الحركة الفعلية بعملية « البعث » بعد أن استعمل صيغة الجمود الاسمى فى عملية « الموت » وهذا ملحظ دقيق فى الاستعمال : فى عملية البعث : الحركة ، وعملية الموت : السكون •

كما نلحظ اتجاه الصيغة اللازمنى فى قوله : « **ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون** » ويشير استعمال الظرف « يومئذ » الى تقريب صورة الحدث على النحو الآتى : « ويوم القيامة » ــ فى هذا اليوم ــ « يخسر المبطلون » •

ووضع « سين » المستقبل يربك المعنى ، بل يناقضه ، فى هذا اليوم سيخسر المبطلون •

فاذا عرضنا لقوله تعالى :

« **ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** » (٧٥) •

---

(٦٧) مغنى اللبيب : ١ : ٢٢٨ •
(٦٨) الزمر : ٦٠ •
(٦٩) الزمر : ٣١ •
(٧٠) العنكبوت : ٢٥ •
(٧١) المؤمنون : ١٦ •
(٧٢) النحل : ٢٧ •
(٧٣) الجاثية : ٣٦ •
(٧٤) المؤمنون : ١٥ •
(٧٥) آل عمران : ١٨٠ •

وجدنا أن اسقاط « السين » من صيغة « يفعل » ، بدعوى أنها تدل بذاتها على المستقبل ، يخل بدلالة التركيب ، لأن « السين » وما بعدها استئناف لما سيحصل فى المستقبل ، وليس فى اطار الارتباط بما قبله على سبيل استحضار صورته ، مع ملاحظة وجـود « الواو » و « ثم » (ويوم القيامة / ثم أنكم يوم القيامة / ثم يوم القيامة ... الخ) اللتين تفيد ان اشراك ما بعدهما بما قبلهما فى الانساق التى يقصد من استعمال الصيغ فيها التعبير عن امكاناتها الحدثية وليس عن امكاناتها الزمنية . ونلاحظ العلاقة السياقية فى الفعل المضارع الذى يؤتى به للتعبير عن زمن حقيقى وليس عن زمن حكائى ، فى قوله تعالى : **«اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا . سآتيكم منها بخبر»** (٧٦) هنا لايمكن اسقاط (السين).

وتصور أن صيغة المضارع « آتى » تصلح للحاضر والمستقبل : « انى آنست نارا » « آتيكم منها » لأنها تفرض وجود صفة لموصوف ، فى حين لا يوجد فى هذا السياق الا حدث مستأنف .

والخلاصة : أن شكل صيغة « يفعل » فى العربية ، أو تلك الصيغة بذاتها ، كما يعبر عنها النحاة القدماء ، يدل على الزمن الحاضر فقط اذا أريد النص به على زمن . وتدل بامكاناتها الحدثية على دلالات عرضنا لها فى موضعها من هذه الرسالة (٧٧) والزمن حينئذ يستفاد من قرائن السياق لا من الصيغة . أما دلالة « يفعل » على الماضى : « لم يفعل » ، « كان يفعل » ، فينبغى أن نفهمها ، كما عرضنا لذلك (٧٨) فى سياق العربية التاريخى .

« يفعل » ومفهوم الزمن الحاضر :

فسر المستشرقون صيغة « يفعل » فى اطارها التاريخى . وقد أجاب هـذا التفسير عن الاستعمالات غير المحدودة لهذه الصيغة فى العربية ، من حيث : دلالتها على الحاضر « يفعل » وقوعها فى سياق الماضى « لم يفعل » والمستقبل « سيفعل » وجهات الماضى : « كان يفعل » والحاضر : « أخذ يفعل » والمستقبل : « سيظل يفعل » ، ومن حيث

---

(٧٦) النمل : ٧ .

(٧٧) ينظر الفصل الثانى من هذه الرسالة : « امكانات الصيغة » / ص : ٦٨ .

(٧٨) ينظر الفصل الأول من هـذه الرسالة : « الزمن الصرفى » / ص : ٣٤ فما بعدها .

مجيئها فى اطار انشائى كالدعاء : « يغفر الله لك » والطلب « ليفعل » و « ولا يفعل » فضلا عن امكاناتها الحدثيـة فى العـادة والاستمرار والاستحضار ... الخ ·

وقد جعل ذلك ــ الاستعمال المتنوع لصيغة « يفعل » فى العربية ــ عددا من المعاصرين يتجاوزون التعليلات اللغوية فى تحليلهـم صـيغة « يفعل» · ·

ومن ذلك ما يقوله الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى : « الظاهر أن الفعل المضارع ليس صيغة تقابل صيغة الماضى أو الأمر ، وانما مكانه بين الأفعال كمكان ما يسمى الـ Infinitive ــ المصدر ــ فى اللغـات الأوربية ، لأن فيه الدلالة بالقوة على معانى الأفعال جميعا » (٧٩) فـ « الدلالة بالقوة » يمكن أن تكون من سمات وصف الصيغة ، وليس مما تملكه هذه الصيغة من قدرات · ويذهب الأستاذ أحمد ماهر البقرى الى أن « المضارع من الشمول والاتساع بحيث يشمل الأزمنة الثلاثة » (٨٠)·

وفى ذلك خلط لامكانات صيغة المضارع التى تتسع لعدة معان ، أما دلالتها على الزمن فدلالة واحدة اذا كانت تلك الصيغة مجردة من مورفيمات نفى أو زمن . وهى الدلالة على الحاضر ·

لكن أهم معضلة واجهت الباحثين . قدماء ومحدثين ، تتمثل فى مفهوم الزمن الحاضر الذى تعبر عنه هذه الصيغة وتكشف مناقشة مفهوم (الزمن الحاضر) عن البعدين اللغوى والعقلى للوجـــود غـير المـــرئى لـ « نقطة الزمن الحاضر » التى تتسرب الى الماضى حالما تكون أو التى لم تكن بعد أصلا ، اذ هى فى الزمن المستقبل ·

وهذا الملحظ المنطقى الى جانب الملحظ اللغوى لمفهوم الزمن عامة والحاضر خاصة مما توفر عليه النحاة القدماء والمحدثون ، وخضع للمناقشة ليس فى الدراسات اللغوية العربية . حسب ، بل فى الدراسات الأجنبية أيضــا ·

وقد جعل ابن يعيش الزمن الحاضر « حركة تفصل بين ــ الحركتين ــ

---

(٧٩) نحو الفعل / هامش : ٣٤ ·

(٨٠) أساليب النفى فى القرآن : ٢٠ ·

الماضية والآتية » (٨١) ٠ وقد شرح ذلك قوله : « وأما الحاضر فهو الذى يصل اليه المستقبل ويسرى منه الماضى » (٨٢) ونقل عن بعض المتكلمين انكاره فعل الحال ٠ قال : « رأى بعض المتكلمين ان كان قد وجد فيكون ماضيا والا فهو مستقبل » (٨٣) ان هذا الملحظ يردده اللغوى الانجليزى « يسبرسن Otto Jesperson » الذى يقول : « ان لنا على الأصح ـ أن نقول ان الزمن ينقسم الى جزأين ماض ومستقبل ٠ وبينهما حد الانفصال ، وقت حاضر كأنه النقطة الهندسية التى لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع » (٨٤) ٠ ٠

ان هذه الملاحظات تنصب على زمن الوجود وليس على زمن اللغة ٠ ان اللغة لا تهتم بالحركة الفاصلة والسريان ، بل تنظر الى الصيغ واستعمالاتها ، الى الأشكال والعلاقات والدلالات التى تعبر عنها ٠

على أنه ينبغى علينا ألا نسىء فهم العلاقة بين العقلى واللغوى ، فمهما حاولنا النظر الى اللغة بوصفها كيانا موضوعيا مستقلا بخصائصه ، فانه لا يمكن تجنب الآثار العقلية فى هذا الكيان ، ولا يمكن اغفال التداخل بين العقلى واللغوى وهو أمر شائك ودقيق ٠ ولعل ابن يعيش يعطينا مثالا تطبيقيا على ذلك ٠ فعلى الرغم مما يبدو من صدوره عن المنطق العقلى فى تحديد زمن « الحال » اللغوى فانه يقدم لنا هذا الزمن من وجهة نظر لغوية ، يقول : « فيكون زمان الاخبار عنه هو زمان وجوده » (٨٥) فمعنى الاخبار هنا : الكلام ، ومعنى زمان وجوده : أنه زمن ذو أبعاد مكانية أى أن له نقطة ابتداء ونقطة انتهاء ٠ وليس هو زمنا بلا أبعاد كما يلاحظ ذلك عدد من الفلاسفة والمتكلمين وهم يبحثون ماهية الزمن الحاضر فى الوجود ٠ وقد رد ابن يعيش على ملاحظة (الزمن فى الوجود) دون اللغة بقوله « والحق ما ذكرناه ٠ وان لطف زمان الحال » (٨٦) ٠

ان مفهوم الزمن الحاضر بكونه زمنا لغويا مسطريا (له جدول ترقيم هو واقع الجهة أو المسافة فى القسم الزمنى) كما أشار اليه ابن يعيش ، قد وجد تحديدا دقيقا له عند الرضى ٠

---

(٨١) شرح المفصل ٠ ج ٧ ص ٤ ٠
(٨٢) المصدر السابق : ج ٧ ص ٤ ٠
(٨٣) شرح المفصل : ٧ : ٧ ٠
(٨٤) مجلة مجمع اللغة العربية : مقالةالزمن فى اللغة العربية . ١٤ ٠ ٦ ٠ ٤٠ ٠
(٨٥) شرح المفصل : ٧ : ٤ ٠
(٨٦) المصدر السابق : ٧ : ٤ ٠

قدم الرضى الزمن الحاضر من خلال وجهتي نظر :

الأولى : (عقلية) ونسبها الى الحكماء ، والثانية : (لغوية) ونسبها الى النحاة · قال : « فقال الحكماء ان الحال ليس بزمان موجود ، بل هو فصل بين الزمانين » (٨٧) وقد استدل الحكماء على ذلك بعدم وجود شكل لغوى لزمن الحال « لأنه لو كان زمانا لكان التصنيف مثلا تثليثا » (٨٨) — أى ثلاث صيغ وليس صيغتين — وهذه الزاوية العقلية المحضة تفترض أن صيغة (يفعل) للمستقبل وأن الحاضر ليس له صيغة ·

وليس بنا حاجة الى أن نعلق على هذا الرأى ، غير أنه يكفى أن نقول . وفق التعليل المنطقى هذا ، ان المستقبل وهو زمن « لم يكن له وجود بعد » (٨٩) لم يعدم أن يكون له شكل ·

ثم يقدم الرضى وجهة نظر النحاة فى الزمن الحاضر :

يقول : « الحال عند النحاة غير « الآن » المختلف فى كونه زمانا · بل هو ما على جنبتي « الآن » من الزمان مع « الآن » ، سواء كان « الآن » ايضا زمانا أو الحد المشترك بين الزمانين » (٩٠) ·

فالحاضر المتلاشى عند الحكماء المسلمين ويسبسرسن من بعدهم ، الذى ليس له طول ولا عرض ولا ارتفاع يقابله حاضر لغوى عند الرضى وابن يعيش ، له مسافة فى الماضى ومسافة فى الحاضر ومسافة فى المستقبل ·

ويقدم الرضى مثالا تطبيقيا على الحاضر اللغوى : يقول : « ومن ثم نقول ان « يصلى » فى قولك : « زيد يصلى » حال مع أن بعض صلاته « ماض » وبعضها باق فى المستقبل فجعلوا الصلاة الواقعة فى الآنات الكثيرة المتـــالية واقعة فى الحال » (٩١) · ويعنى ذلك أن صيغة الفعل المضارع اذا دلت على الزمن الحاضر لا ينظر اليها فى اللغة الا بكونها شكلا يعبر عن وقوع حدث فى زمن حاضر . من غير نظر الى أنها تنطوى على أزمنة أخرى · وتلك ملاحظة فريدة تكشف عن مطابقة بين النظر اللغوى الحديث ، حيث ينطلقان من النظر الى اللغة بكونها نظاما مستقلا بذاته ، وذلك أساس من أهم أسس المنهج الوصفى فى علم اللغة ·

---

(٨٧) شرح الكافية : ٢ : ٢٢٦ ·
(٨٨) شرح الكافية : ٢ : ٢٢٦ ·
(٨٩) شرح المفصل : ج ٧ ص ٤ ·
(٩٠) شرح الكافية : ٢ : ٢٢٦ ·
(٩١) شرح الكافية : ٢ : ٢٢٦ ·

الحاضر الشروعي

أخـذ يفعـــل :

عرض النحاة لما سموه « الأفعال التي وضعت للدلالة على الشروع في الخبر » (٩٢) وهي : « أنشأ ، طفق ، أخذ ، جعل ، علق ، قام ، هب » (٩٣) وقد « شرعت في هذا الأمر شروعا أي خضت » (٩٤) وأشكال الشروع تدخل في جدول فعلي في العربية ، ولكل فعل معنى معجمي يستقل به ۰ غير أنها تتركب مع « يفعل » لتتحول الى أشكال مساعدة ، تؤدي وظيفة زمنية في حدث الفعل فـ « « جعل يفعل كذا » : أقبل وأخذ » (٩٥) ۰ وبعبارة زمنية أن حدث الفعل قد بدىء به اللحظة ۰ وقد ألمح سيبويه الى هذه الخاصية فيما سماه « الحروف التي هي لتقريب الأمور ۰۰۰ » (٩٦) قال : « ولها نحو ليس لغيرها من الأفعال » (٩٧) وقال في موضع آخر : « فأخلصوا هذه الحروف للأفعال » (٩٨) لكن سيبويه عني بمنحى الاستبدال الاعرابي ۰ قال : « ومثله « جعل يقول » لا تذكر الاسم ها هنا (أي لا تقول جعل قائلا) ومثله : « أخذ يقول » فالفعل ها هنا بمنزلة الفعل في « كان » اذا قلت : « كان يقول » وهو في موضع اسم منصوب بمنزلته ۰ ثَمّ ، وهو ثَمّ ، خبر كما أنه ها هنا خبر » (٩٩) ان التحول من « الفعلية » الى « المورفيمية » هو معنى قول ابن مالك وشارح ألفيته ابن عقيل : « وترك أن مع ذي الشروع وجبا » لأن المقصود به للحال و « أن » للاستقبال » (١٠٠) ويعني ذلك أن زمن المركب الشروعي هو « الحاضر » وأن جهة زمن حدثه هو أن الحدث قد بدىء به الآن ، مع الاشعار بأنه غير منقطع ۰ ومن هنا فان ما اقترحه الدكتور حسان من تسمية هـذا المركب « الماضي الشروعي » (١٠١) يستند الى شكل مورفيم الشروع وليس الى دلالته ۰

والصحيح أن نطلق على هذا المركب : « الحاضر الشروعي » ۰

---

(٩٢) شرح الأشموني : ١ : ١٢٨ ۰

(٩٣) شرح الأشموني : ١ : ١٢٨ والدرراللوامع : ١ : ١٠٢ ، ١٠٣ ۰

(٩٤) لسان العرب : ٨ : ١٧٥ ۰

(٩٥) المصدر السابق : ١١ : ١١١

(٩٦) الكتاب : ٣ : ١٦١ ۰

(٩٧) الكتاب : ٣ : ١٦١ ۰

(٩٨) الكتاب : ٣ : ١٦١ ۰

(٩٩) الكتاب : ٣ : ١٦١ ۰

(١٠٠) شرح ابن عقيل : ١ : ٢٨٦ و ٢٨٩ ۰

(١٠١) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ملاحق الكتاب / جدول الزمن ۰

نفي الحاضر
والحاضر الشروعي :

لم يرد ، فيما وقعت عليه من مباحث قديمة وحديثة مقابل نفي لمركب الحاضر الشروعي ، باستثناء اشارة الدكتور تمام حسان الذى جعل نفيه « ما فعل » • كما انه جعل : « ما فعل » نفيا للماضى المنتهى بالحاضر « قد فعل » (١٠٢) •

فكأن تركيبى : « قد فعل » و « أخذ يفعل » عند الدكتور تمام يشعران ، من « ناحية زمنية » بنوع من التوافق ، فيكون نفيهما : « ما فعل » • وأكبر الظن أن الدكتور تمام استند الى عنصر « الحاضر » المفترض فى دلالة المركب « قد فعل » ، وعنصر الشروع فى دلالة المركب « أخذ يفعل » ، ليدخلهما ، توزيعيا ، فى خانة واحدة •

غير أننا – فيما عرضنا له – (١٠٣) لا يمكن أن نشعر بتوافق زمنى ما بين « قد فعل » و « أخذ يفعل » • فالأول فى الماضى والثانى فى الحاضر •

ان البحث عن المركب الذى ينفى الحاضر الشروعى يقود الى المركب الذى ينفى الحاضر المجرد • لأن الحاضر ليس له الا جهة واحدة هى «الآن» وقولنا : « هو يفعل » يعنى أنه الآن فى فعل وما زال فاذا أردنا جهة فى الحاضر خرجت صيغة المضارع عن الزمن : اما الى العادة أو الحقيقة او الصفة ••• الخ •

ان ملحظ الحدث فى تركيب الحاضر الشروعى يمتاز عن الحدث فى الحاضر المجرد بكون الحدث قد بدىء به الآن فى حين ينظر الى حدث الحاضر المجرد الى كونه فى الحاضر دون نظر الى نقطة معينة فيه • ومن هنا ينبغى أن يكون هذا الملحظ موجودا فى نفى المركبين •

ان فى العربية تركيبين ، فى هذا الجانب . الأول : « ما يفعل » والثانى « ليس يفعل » •

وقد اكتفى سيبويه بالاشارة الى مركب « ما يفعل » بوصفه نفيا ل « يفعل » (١٠٤) غير أن النحاة ، بعده ، جعلوا : « ما » و «ليس» نافيتين للحال اذا دخلتا على صيغة المضارع (١٠٥) •

---

(١٠٢) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ •

(١٠٣) ينظر : ص ٢٣١ من الفصل السابق « حقل الماضى » و ص ٢٨٥ من هذا الفصل •

(١٠٤) الكتاب : ٣ : ١١٧ •

(١٠٥) ينظر شرح المفصل : ١ : ١٠٨

ولا يمكن ملاحظة فرق بين « ليس » و « ما » الا بملاحظة الصيغ التى تميل اليها « ليس » أو « ما » فى الاستعمال ·

ان « ليس » تنزع نحو الصيغ الاسمية ، وبدرجة أقل نحو صيغه « المضارع » ، فى حين تنزع « ما » نحو الأفعال الماضية والمضارعه والأسماء بلا تفاوت (١٠٦) ·

ويرينا الاستعمال القرآنى أن « ليس » تنفى الجملة الاسمية فقط · كما فى قوله تعالى : « ليس البر أن تولوا » (١٠٧) « ليس عليكم جناح » (١٠٨) وقوله : « ليس الذكر كالأنثى » (١٠٩) ف « ليس » لم تدخل على فعل فى القرآن الكريم » (١١٠) ·

وقد كان سيبويه رد على ائتلاف « ليس » مع صيغة « فعل » قال : « وزعم بعضهم أن « ليس » تجعل ك « ما » وذلك قليل لا يكاد يعرف ، فهذا يجوز أن يكون منه : « ليس خلق الله أشعر منه » ، و « ليس قالها زيد » (١١١) ·

ان هذه الخاصية مع الصيغ هى التى تفرق بين « ليس » و « ما » · وتعنى فى جوهرها أن نسبة تسلط « ليس » على الأحداث actions أقل من نسبة تسلطها على الحالات States ، بل تكاد تكون معدومة فى الاستعمال القرآنى مثلا ، على الضد من « ما » التى تتسلط على الأحداث والحالات ·

ان هذا الفرق فى نفى الحالات أو الأحداث يرجح نفى الحاضر ب « ما » ، لأن نفى الحالات لا يتضمن زمنا لكن اذا تركبت « ما » و « ليس » مع « المضارع » عدم الفرق بينهما فى الدلالة الزمنية ، فيكون نفى « المضارع » الزمنى ب « ما » أولا : « ما يفعل وب « ليس » ثانيا : « ليس يفعل » · أما الحاضر الشروعى فيتطلب الاشعار بنقطة زمنية فى الحاضر هى نقطة البدء فى الحدث الذى يجرى نفيه فى الحاضر ، وهو ما يدل عليه مركبا النفى « لما يفعل » و «ما فعل مذ » ، فهذان المركبان ، وان كانا يدلان ، فى منحى من مناحيهما ، على

---

(١٠٦) ينظر أساليب النفى فى القرآن : ٩٣ ·
(١٠٧) البقرة : ٧٧ ·
(١٠٨) البقرة : ١٩٨ ·
(١٠٩) آل عمران : ٣٦ ·
(١١٠) أساليب النفى فى القرآن : ٧٤ ·
(١١١) الكتاب : ١٤٧/١ ·

الماضى ، يشيران الى نقطة فى الحاضر ، من حيث ان حدثه لم يبـــدأ به حتى هذه اللحظة •

مورفيمات الشروع فى الاستعمال :

يخلو الاستعمال القرآنى من مورفيمـــات الشروع خلوا تاما ، والمستعمل منها هو « الفعـــل » كقوله تعالى : « ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح » (١١٢) وقوله : « وجعـــل كلمة الذين كفروا السفلى » (١١٣) وقوله : « وهو الذى أنشأ جنات » (١١٤) وقوله : « واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى » (١١٥) •

الحاضر المقاربى (يكاد يفعل)

قلنا فيما سبقت الاشارة اليه (١١٦) ان المقاربة ناحية غير زمنية من نواحى الحدث ، فمركب : « كاد يفعـــل » يدل على أن الحدث قارب الوقوع فى الماضى (غير المحدد) ولم يقع ، فكأن « كاد يفعل » من الناحية الزمنية = « لم يفعل » •

أما مركب « يكاد يفعل » فيدل على أن الحدث يقـــارب الوقوع فى الحاضر •

ويتمثل الفرق بين « كاد يفعل » و « يكاد يفعل » فى الاستعمال القرآنى : بانطواء مركب « كاد يفعل » على أحداث • أما « يكاد يفعل » فينطوى على وقوع أحداث أقرب الى الصفات ، وهى واحدة من دلالات صيغة « يفعل » • كما يأتى :

كاد يفعـــل	يكاد يفعل
« وما كادوا يفعلون » (١١٧)	« تكاد السماوات يتفطرن منه » (١٢٠)
« وكادوا يقتلونني » (١١٨)	« تكاد تميز من الغيظ » (١٢١)
« لقد كدت تركن اليهم » (١١٩)	« يكاد البرق يخطف أبصارهم » (١٢٢)

(١١٢) الأعراف : ١٥٤ •
(١١٣) التوبة : ٤٠ •
(١١٤) الأنعام : ١٤١ •
(١١٥) النساء : ١٤٢ •
(١١٦) ينظر : ص ٢٦٠ من الفصل السابق •
(١١٧) البقرة : ٧١ •
(١١٨) الأعراف : ١٥٠ •
(١١٩) الاسراء : ٧٤ •
(١٢٠) مريم : ٩٠ •
(١٢١) الملك : ٨ •
(١٢٢) البقرة : ٢٠ •

نفى الحاضر المقاربى

جاء نفى الحاضر المقاربى فى القرآن بـ « لا » دون « ما » كقوله تعالى : « لا يكادون يفقهون حديثا » (١٢٣) وقوله : « ولا يكادون يفقهون قولا » (١٢٤) وقوله : « ولا يكاد يبين » (١٢٥) ·

ومرد نفيه بـ « لا » الى أن زمن الحدث المنفى بـ « لا » يلتبس فيه الحاضر بالمستقبل ·

فيكون امتدادا يتناسب مع نفى الحدث المقترب من الوقوع والمبعد عنه فى آن واحد · اذ كأنه حدث مستمر فى تعاقبه هذا · وهو امر يتطابق مع اتجاه الأحداث فى سياق هذا المركب الى عدم الانقطاع ، حيث تكون أقرب الى الصفات منها الى الأحداث ·

الحاضر المستمر

يتيح لنا النظر فى المركبات الرائجة الاستعمال البحث عن مقابلها الزمنى فـ « كان يفعل » الذى يدل على الماضى المستمر يدل بقلبه الى « يكون يفعل » على الدلالة ذاتها فى الحاضر أى الحاضر المستمر وهكذا شأن مرادف « كان يفعل » « ظل يفعل » يكون : « يظل يفعل » ·

ولما بينا (١٢٦) أن المركب « ظل يفعل » يتميز عن « كان يفعل » بتضمنه حدثا غير متكرر ، أى لا يكون عادة ، فى حين يدل « كان يفعل » على ما سمى « الماضى التعودى » ، فقد صلح أى « يظل يفعل » للتعبير عن المستقبل المستمر دون « يكون يفعل » كما يأتى :

الماضى المستمر	الحاضر المستمر	المستقبل المستمر
ظل يفعل	يظل يفعل	سيظل يفعل
كان يفعل	يكون يفعل	ـــــــــ

فى حين يصلح المركب « سيكون » مع صيغة « فاعل » لدلالتها على الثبوت الاسمى أى الصفة التى هى أقرب الى دلالة هذا المركب على العادة

(١٢٣) النساء : ٧٨ ·
(١٢٤) الكهف : ٩٣ ·
(١٢٥) الزخرف : ٥٢ ·
(١٢٦) ينظر : ص ٢٥١ من الفصل السابق ·

كقوله تعالى « **ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشـــدكم ثم لتكونوا شيوخا** » (١٢٧) أى ثم « ستكونون شيوخا » ولا يصح « ثم لتكونوا تشيخون » ·

وقد ورد استعمال « يكون يفعل » دالا على الحاضر المستمر فى القرآن الكريم مرتين فقط هما قوله تعالى : « **أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها** » (١٢٨) أى : فيكونون يعقلون بقلوبهم · وقوله : « أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها » (١٢٩) أى : ويكون يأكل من جنته ·

---

(١٢٧) غافر : ٦٧ ·
(١٢٨) الحج : ٤٦ ·
(١٢٩) الفرقان : ٨ ·

المبحث الثالث :

حقل المستقبل

سيفعـــل

سوف يفعل :

عرض سيبويه لـ « السين » و « سوف » مركبتين مع « المضارع » ليدلا على المستقبل من غير أن يشير الى فروق دلالية فى جهة المستقبل بينهما · بل أشعر بتطابقهما فى الدلالة الزمنية :

قال « وزعم الخليل انها (السين) جواب (لن) » (١٣٠) ·

وقال فى موضع ثان « واذا قال : « سوف يفعل » فان نفيه « لن يفعل » (١٣١) ·

وقال فى موضع ثالث : « ومن تلك · الحروف أيضا « سوف » لأنها بمنزلة « السين » فى قولك « سيفعل » (١٣٢) ·

أما النحاة من بعده ، فقد وافقه فريق منهم كما صرح الرضى بأن « السين » و « سوف » « حرفا تنفيس ، ومعناه تأخير الفعل الى الزمان المستقبل وعدم التضييق فى الحال » (١٣٣) ، وخالفه فريق آخر حيث أنكر الترادف بين « السين » و « سوف » · كما سيأتى ·

وقد استند البصريون الى الفرق (الشكلى) بين «سوف» و «السين» لافتراض وجود فرق « دلالى » بينهما · فذهبوا الى أن الزمان المستقبل « مع « السين » أضيق منه مع « سوف » نظرا الى أن كثرة الحروف تفيد مبالغة فى المعنى » (١٣٤) ·

ان الجدل المتواصل حول « السين » و « سوف » فى مباحث النحاة يرتبط بموضوع أساسى فى المنهج النحوى وأعنى به موضوع « التأصيل » · فهل « السين » و « سوف » حرف واحد ؟

---

(١٣٠) الكتاب : ٤ : ٢١٧ ·
(١٣١) المصدر السابق : ٣ : ١١٧ ·
(١٣٢) المصدر نفسه : ٣ : ١١٥ ·
(١٣٣) الكافية : ٢ : ٢٢٣ ·
(١٣٤) همع الهوامع : ٢ : ٧٢ ·

وقد انقسم الرأى بازاء ذلك ، فذهب فريق الى أنهما حرف واحد ، وأن « السين » تشير الى مظهر من مظاهر السلوك الصوتى فى اللغة ، حيث يتحول مورفيم ك « سوف » بالاستعمال الى « س » . كما ذكر من أنه يقال « سف » بحذف الوسط و « سو » بحذف الآخر و « سى » بحذفه وقلب الوسط ياء مبالغة فى التخفيف » (١٣٥) .

وقد تجلى ذلك كله فى المسألة الثانية والتسعين من الانصاف ، وقد كان عنوانها : « السين » متقطعة من « سوف » أو أصل برأسه ؟ » (١٣٦) وقد استند الكوفيون الى مبدأ السلوك الصوتى فى جعل « السين » مقتطعة من « سوف » . قالوا : « انما قلنا ذلك لأن « سوف » كثر استعمالها فى كلامهم وجريها على ألسنتهم . وهم أبدا يحذفون لكثرة الاستعمال » (١٣٧) .

لكن البصريين استندوا الى الفرق الوظيفى بين « السين » و « سوف » فجعلوه دليلا « على أن كل واحد منهما حرف مستقل بنفسه ، غير مأخوذ من صاحبه » (١٣٨) .

وقد رجع النحاة ـ معبرين عن نزوع وصفى ـ الى النصوص لاختبار وظيفة « السين » و « سوف » لكن النظر فى النصوص لم يكن دقيقا من جهة ، ولم يكن شاملا من جهة أخرى ، فأدى ذلك الى العودة الى الرأيين الأولين : « قال ابن أياز فى « شرح الفصول » : « الفرق بين « السين » و « سوف » التراخى فى « سوف » أشد منه فى « السين » بدليل استقراء كلامهم قال تعالى : « **وسوف تسألون** » (١٣٩) وطال الأمد والزمان . وقال تعالى : « **سيقول السفهاء من الناس** » (١٤٠) فتعجل القول » (١٤١) .

أما ابن مالك فقد قال ، مستندا الى التطابق الشكلى فى التركيبين اللذين يقع « السين » و « سوف » فى سياقيهما ، قال « بتعاقبهما » (١٤٢) قال تعالى : « **وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما** » (١٤٣) .

---

(١٣٥) مغنى اللبيب : ١ : ١٣٩ .
(١٣٦) الانصاف : ٢ : ٦٤٦ .
(١٣٧) الانصاف : ٢ : ٦٤٦
(١٣٨) الانصاف : ٢ : ٦٤٧ .
(١٣٩) الزخرف : ٤٤ .
(١٤٠) البقرة : ١٤٢ .
(١٤١) الأشباه والنظائر : ٢ : ٢٠٦ .
(١٤٢) ينظر الجنى الدانى : ١١٩ .
(١٤٣) النساء : ١٤٦ .

وقال : « **أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما** » (١٤٤) وقال : « **كلا سيعلمون** » (١٤٥) وقال : « **كلا سوف تعلمون** » (١٤٦) ٠

أما المباحث المعاصرة فلم تجهد فى فحص النصوص التى تتعلق بهذه النقطة ٠ وقد اكتفت بنقل النتائج القديمة ٠ فممن أشاروا ، بصورة غير مباشرة ، الى ترادفهما الدكتور مهدى المخزومى ٠ قال : « ك «السين» أو « سوف » فى تخليص « يفعل » للمستقبل » (١٤٧) ٠ وتابعه الدكتور على جابر المنصورى فقال : « جملة المستقبل وأداتها الأساسية « السين » ٠٠٠ وسوف ٠٠٠ (١٤٨) ٠

أما الدكتور تمام حسان فقد جعل ، ــ متابعا البصريين ــ ل « سوف » و « السين » قيما توزيعية متغايرة ، اذ جعل « سيفعل » للمستقبل القريب ، و « سوف يفعل » للمستقبل البعيد (١٤٩) ٠

« السين » و « سوف » فى الاستعمال :

ان فحص الجانب الاستعمالى فى « السين » و « سوف » فى القرآن يؤدى الى ما يأتى :

(أ) ملاحظة اتجاه « سوف » فى الغالب للدلالة على زمن بعيد يتصل بالآخرة : كما فى قوله تعالى :

« **فسوف نصليه نارا** » (١٥٠) وقوله : « **فسوف نؤتيه اجرا** » (١٥١) وقوله : « **وسوف تسألون** » (١٥٢) وقوله : « **وان سعيه**

---

(١٤٤) النساء : ١٦٢ ٠
(١٤٥) النبأ : ٤ ٠
(١٤٦) التكاثر : ٣ ٠
(١٤٧) فى النحو العربى نقد وتوجيه : ١٥٩ ٠
(١٤٨) مجلة كلية الشريعة / مقالة جملة الماضى والحاضر والمستقبل : ٦ : ٣٧ ٠
(١٤٩) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / الجدول الزمنى ٠
(١٥٠) النساء : ٢٩ ٠
(١٥١) النساء : ٧٣ ٠
(١٥٢) الزخرف : ٤٤ ٠

سوف يرى » (١٥٣) وقوله : « **فسوف يلقون غيا** » (١٥٤) وقوله : « **فسوف يحاسب حسابا عسيرا** » (١٥٥) وقوله : « **فسوف نصيبهم نار** » (١٥٦) ٠

(ب) ملاحظة اتجاه « السين » للدلالة على مستقبل قريب ، يتصل في الاستعمال القرآني بالدنيا ٠

كما في قوله تعالى :

« **سنقتل أبناءهم** » (١٥٧) وقوله : « **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض** » (١٥٨) وقوله : « **سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب** » (١٥٩) وقوله « **قالوا سنراود عنه أباه** » (١٦٠) وقوله : « **ان الله سيبطله** » (١٦١) وقوله : « **ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله** » (١٦٢) وقوله : « **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا** » (١٦٣) وقوله : « **سيغلبون في بضع سنين** » (١٦٤) وقوله : « **سنسمه على الخرطوم** » (١٦٥) وقوله : « **علم الله أنكم ستذكرونهن** » (١٦٦) ٠

(جـ) يتمثل الفرق الدلالي بين « سوف » و « السين » في وقوع « سوف » في اطار تركيبات شرطية ، دون « السين » ٠ ان التركيبات الشرطية تعنى بتعليق الأحداث ، أكثر مما تعنى بحدث ذي زمن معين ٠ كما في قوله : « ومن يفعل ٠٠٠ » الآية « فسوف نصليه » (١٦٧) وقوله : « ومن يقاتل ٠٠٠ » الآية « فسوف نؤتيه » (١٦٨) وقوله :

---

(١٥٣) النجم : ٤٠ ٠
(١٥٤) مريم : ٥٩ ٠
(١٥٥) الانشقاق : ٨ ٠
(١٥٦) النساء : ٥٥
(١٥٧) الأعراف : ١٢٦ ٠
(١٥٨) الأعراف : ١٤٥ ٠
(١٥٩) آل عمران : ١٥١ ٠
(١٦٠) يوسف : ٦١ ٠
(١٦١) يونس : ٨١ ٠
(١٦٢) الأنعام : ٩٣ ٠
(١٦٣) المزمل : ٥ ٠
(١٦٤) الروم : ٣ و ٤ ٠
(١٦٥) القلم : ١٦ ٠
(١٦٦) البقرة : ٢٣٥ ٠
(١٦٧) النساء : ٢٩ ٠
(١٦٨) النساء : ٧٣ ٠

« ومن يفعل ... » الآية « فسوف نؤتيه » (١٦٩) وقوله : « أئذا مامت لسوف أخرج حيا » (١٧٠) وقـوله : « من يرتد منكم ... » الآية « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم » (١٧١) وقوله : « فان استقر مكانه فسوف ترانى » (١٧٢) : وقوله : « وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله » (١٧٣) .

أما « السين » فغلب عليها مجيئها ابتدائية : كما فى قوله تعالى : « سأصرف عن آياتى ... » (١٧٤) وقوله : « سنلقى فى قلـوب ... » (١٧٥) وقوله : « سنقرئك فلا تنسى » (١٧٦) .

وقوله : « **سيذكر من يخشى** » (١٧٧) وقـوله « **ستجدون آخرين** » (١٧٨) وقوله : « **سيعلمون غدا** .. » (١٧٩) وقوله : « **سيهزم الجمع** .. » (١٨٠) وقوله : « **سأرهقه صعودا** » (١٨١) وقوله : « **سأصليه سقر** » (١٨٢) وقوله : « **وسنقول له من أمرنا** .. » (١٨٣) وقوله : « **سيقول لك المخلفون** » (١٨٤) وقوله : « **سنسمه على الخرطوم** » (١٨٥) وقوله : « **سنفرغ لكم أيها الثقلان** » (١٨٦) وقوله : « **سيقول المخلفون** .. » (١٨٧) .

يستنتى من ذلك مجىء السين فى اطار تركيب شرطى مرنين هما :

---

(١٦٩) النساء : ١١٤ .
(١٧٠) مريم : ٦٦ .
(١٧١) المائدة : ٥٧ .
(١٧٢) الأعراف : ١٤٢ .
(١٧٣) التوبة : ٢٩ .
(١٧٤) الأعراف : ١٤٥ .
(١٧٥) آل عمران : ١٥١ .
(١٧٦) الأعلى : ٦ .
(١٧٧) الأعلى : ١٠ .
(١٧٨) النساء : ٩٠ .
(١٧٩) القمر : ٢٦ .
(١٨٠) القمر : ٤٥ .
(١٨١) المدثر : ١٧ .
(١٨٢) المدثر : ٢٦ .
(١٨٣) الكهف : ٨٩ .
(١٨٤) الفتح : ١١ .
(١٨٥) القلم : ١٦ .
(١٨٦) الرحمن : ٣١ .
(١٨٧) الفتح : ١٥ .

قوله : « **حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعملون** ٠٠ » (١٨٨) ٠

وقوله تعالى : « **وان تعاسرتم فسترضع له أخرى** » (١٨٩) ٠

ان استحضار الصورة ثابت فى قوله : « حتى اذا رأوا ٠٠٠ » الآية وكأنهم رأوا فعلموا٠ومثل ذلك قوله فى استحضار الصورة : « **أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير** » (١٩٠) أما قوله : « وان تعاسرتم ٠٠٠ الآية » فالأحداث تتسم هنا بالتحقق لأنها تخص أمرا من أمور المجتمع « الطلاق » فى حين لا تحمل أحداث التركيبات الشرطية هذه السمة : « من يفعل » ، « من يرتد » ، « من يقاتل » « ان خفتم » ٠

ووضع « ان تعاسرتم فسترضع له أخرى » بازاء :

و « ان استقر مكانه فسوف تراني » ٠

يبين امكان وقوع الحدث فى الأولى واستحالة وقوعه فى الثانية ، ومن ثم تشعرنا هذه الاستحالة بالبعد الزمنى ٠

(د) يغلب على « السين » مجيئهـــا فى اطار حوار يقع فيه حدث « القول » المستقبل قريبـــا كمـــا فى قوله : « **قل لمن الأرض ٠٠٠٠٠ سيقولون لله** » (١٩١) وقوله : « **قـــل من رب الســـماوات ٠٠٠٠٠ لله** » (١٩٢) وقوله : « **قل من بيده ملكوت كل شىء ٠٠٠٠٠ سيقولون لله** » (١٩٣) وقوله : « **قل كونوا حجارة** ٠٠ » الآية « **فسيقولون من يعيدنا** » (١٩٤) وقوله : « **قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون اليك رؤوسهم** » (١٩٥) ٠

(هـ) يبقى هناك تركيبان لغويان تتماثل فيهما الأداتان « السين » و « سوف » تماثلا شكليا :

« سوف يعلـــم »	« سيعلـــم »
« سوف يصلى »	« سيصلى »

(١٨٨) الجن : ٢٤ ٠

(١٨٩) الطلاق : ٦ ٠

(١٩٠) الملك : ١٧ ٠

(١٩١) المؤمنون : ٨٤ ، ٨٥ ٠

(١٩٢) المؤمنون : ٨٦ ، ٨٧ ٠

(١٩٣) المؤمنون : ٨٨ ، ٨٩ ٠

(١٩٤) الاسراء : ٥١ ٠

(١٩٥) الاسراء : ٥١ ٠

ودلاليا : العلم فى الآخرة والاصلاء فيها . وقد جعل هذا التماثل نحويا كابن مالك يشــير الى تعاقبهما فى الدلالة كمــا سبقت الاشارة الى ذلك (١٩٦) .

لكن ملاحظة السياق الذى تقع فيه هذه التركيبات يقودنا الى ما يأتى:

١ ـ أن حــدث « العلم » وان وقــع فى الآخرة ، مع « سوف » و « السين » ذو قيمة استعمالية مع « سوف » اذ تكرر نمط « سوف يعلم » وصوره تسع عشرة مرة ، فى حين تكرر نمط « سيعلم » وصوره سبع مرات .

٢ ـ أنه يغلب على استعمال « سوف يعلم » أن يسبق بأحداث التمتع واللهو كما فى قوله تعالى : « **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** » (١٩٧) وقــوله : « **فتمتعــوا فســوف تعلمون** » (١٩٨) وقوله : « **وليتمتعوا فسوف يعلمون** » (١٩٩) وقوله : « **فتمتعوا فسوف تعلمون** » (٢٠٠) فكأن للأحداث ، ها هنا ، اطارا نفسيا تقع فيه . وهذا الاطار يعبر عن امتداد الزمن الفانى . وكأنه ترك للاهين أن يتصوروا أو يحسبوا امتداد الزمن ، وان هذا الامتداد ، على طوله ، سوف ينتهى ليقع العلم بالحساب . ومجىء السين سيقطع هذا الامتداد المقصود .

٣ ـ أن نمط « سوف يعلم » يقع فى سياق محاجة فكرية وتأمل وتبصر ، أى فى اطار من التمهل فى ملاحظة تعاقب الأحداث ، الأمر الذى يشعر فيه بامتداد الزمن ، كما فى قوله تعالى :

« **لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون** » (٢٠١) وقوله : « **ان هذا لمكر مكرتموه ...** » الآية « **فســوف تعلمون** » (٢٠٢) وقوله : « **انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون** » (٢٠٣) وقوله : « **فكفروا به فسوف يعلمون** » (٢٠٤) وقوله : « **وأبصرهم فسوف يبصرون** » (٢٠٥) وقوله :

---

(١٩٦) انظر / ص ٢٩٣ من هذا الفصل .
(١٩٧) الحجر : ٣ .
(١٩٨) النحل : ٥٥ .
(١٩٩) العنكبوت : ٦٦ .
(٢٠٠) الروم : ٣٤ .
(٢٠١) الأنعام : ٦٧ .
(٢٠٢) الأعراف : ١٢٣ .
(٢٠٣) الشعراء : ٤٩ .
(٢٠٤) الصافات : ١٧٠ .
(٢٠٥) الصافات : ١٧٥ .

« **الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون** » (٢٠٦) وقوله : « **فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون** » (٢٠٧) .

٤ ـ أما تصفح نمط « سيعلم » وصوره فيؤدى الى ملحظ القطع والعنف ، وهو ملحظ يشعر بقرب وقوع الأحداث كما فى قوله تعالى : « **سيعلمون غدا من الكذاب الأشر** » (٢٠٨) وقوله : « **وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** » (٢٠٩) .

٥ ـ أن هذا المنحى ، أى منحى التمهل فى سياق « سوف » والقطع فى سياق « السين » ، يمكن أن يلاحظ فى « سوف يصلى » و « سيصلى » فى قوله تعالى : « **ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا** » (٢١٠) ويقول : « سأصليه سقر » (٢١١) .

٦ ـ أن ملاحظة نمط « سيعلم » تشعر باستحضار الصورة وهو ما يشعر بقرب وقوع الحدث . وقد مر بنا ذلك (٢١٢) فى قوله : « حتى اذا رأوا ... » الآية « فسيعلمون » وقوله : « فاذا هى تمور ... » الآية « فستعلمون » .

٧ ـ أن هذا المنحى ، منحى استحضار الصورة من عدمه ، يتضح فى تركيبى « سوف يصلى » و « سيصلى » فى قوله تعالى : « **ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا** » (٢١٣) وقوله : « **ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا** » (٢١٤) وقوله : « **تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب** » (٢١٥) وقوله : « **انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا** » (٢١٦)

٨ ـ أن الذى يعترض نتيجة المبحث السابق قوله تعالى : « كلا

---

(٢٠٦) غافر : ٧٠ .
(٢٠٧) الزخرف : ٨٩ .
(٢٠٨) القمر : ٢٦ .
(٢٠٩) الشعراء : ٢٢٧ .
(٢١٠) النساء : ٥٦ .
(٢١١) المدثر : ٢٦ .
(٢١٢) انظر الفقرة السابقة .
(٢١٣) النساء : ٥٦ .
(٢١٤) النساء : ٣٠ .
(٢١٥) تبت : ٣ .
(٢١٦) النساء : ١٠ .

سيعلمون ثم كلا سيعلمون » (٢١٧) وقوله : « **كلا سوف تعلمون** » **ثم كلا سوف تعلمون** » **(٢١٨)** فالتركيبان يتطابقان من الناحيتين « الشكلية » و « الدلالية » تطابقا تاما ، ويقعان فى اطار من الزجر والتعنيف مستفاد من أداة « الردع والزجر » (٢١٩) « كلا » عبر أن فحص نصيهما وملاحظة سياقيهما يعيدنا الى النقطة التى انتهينا اليها وهى ان «السين» و «سوف» أداتان مختلفتان من حيث الوظيفة النحوية وتنحصر هذه الوظيفة فى جهه المستقبل ٠

قال تعالى : « **عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذين هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون** » (٢٢٠) وقال : « **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ٠ كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون** » (٢٢١) فالردع والوعيد بالعلم كان يدور حول أهم أدلة الخالق وقدرته المطلقة ٠ وهو « البعث » وما يشتمل عليه من دلالة الايمان تصديقا به ، أو من دلالة الكفر انكارا له ، وكان موجها الى الجماعة البشرية التى اضطربت أفكارها حوله ٠

هنا يكون الحسم بوقوع حدث العلم وتقريب وقوعه وتبيان أن « ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق » (٢٢٢) أمر لا بد منه ، يتطلبه السياق ، الذى حفل بتقديم البراهين على أن البعث واقع لا محالة : « **ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا** » (٢٢٣) « فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات » (٢٢٤) ٠

أما سياق الآية الثانية فقد كان الردع والوعيد بالعلم موجها الى الجماعة البشرية التى اختلت قيمة من قيمها ، وتجلى ذلك الاختلال فى « التبارى فى الكثرة والتباهى بها » (٢٢٥) وهذه القيمة الاجتماعية ليست بشىء اذا وضعناها بازاء « النبأ العظيم » ومن هنا جاء حدث العلم بعقباها مسبوقا بـ « سوف » وجاء حدث العلم بعقبى « النبأ العظيم » مسبوقا بـ « السين » ٠

---

(٢١٧) التكاثر : ٣ و ٤ ٠
(٢١٨) النبا : ٤ و ٥ ٠
(٢١٩) مغنى اللبيب : ١ : ١٨٨ ٠
(٢٢٠) النبأ : ٤ و ٥ ٠
(٢٢١) التكاثر : ٣ و ٤ ٠
(٢٢٢) الكشاف : ٤ : ٢٠٧ ٠
(٢٢٣) النبا : ٦ ٠
(٢٢٤) الكشاف : ٤ : ٢٠٧ ٠
(٢٢٥) الكشاف : ٤ : ٢٨٠ ٠

ونخلص من كل ذلك الى أن « السين » و « سوف » فى اللغة العربية بمعزل عن ملاحظة ما اذا كانت « السين » قد تحولت فى الاستعمال فصارت « سوف » أو اقتطع منها ، مورفيمان زمنيان يؤديان وظيفتين مختلفتين من حيث الجهة الزمنية ٠

المستقبل الاستمرارى ونفيه :

عرضنا فى حقلى الماضى والحاضر لبعض مركبات المادة وهو « ظل يفعل » فى الماضى و « يظل يفعل » فى الحاضر ٠

وقد وزع الدكتور تمام حسان هذا المركب فى حقل المستقبل على النحو الآتى :

الاستقبال الاستمرارى	موكده	نفيه	استفهامه
سيظل يفعل	لسوف يظل يفعل	لن يفعل	أسيظل يفعل ؟ (٢٢٦)

ويرينا هذا التوزيع الاضطراب السائد فى جدول الدكتور تمام حسان ٠ ف « السين » و « سوف » يتعاقبان من دون أن يكون لفرق الجهة الذى يؤديانه والذى قال به الدكتور تمام نفسه ، تأثير هناك ، كما أن وضع دلالتين مختلفتين بازاء مركب واحد ، كما فعل باسناده دلالة نفى « المستقبل القريب » ونفى « المستقبل الاستمرارى » الى مركب « لن يفعل » (٢٢٧) ، يعنى نقض المفهوم الدلالى فى النحو ٠

كما أنه ينبغى أن نعرض لنقطة أساسية ، يتسم بها حقل الزمن فى العربية وهى توكيد مركبات الزمن وصيغه أو الاستفهام عنها ٠

ان « التوكيد » ليس له آثار فى اتجاه الصيغ والمركبات الى الزمن ، سواء أكان ذلك فى قسم الزمن أم فى جهته ، كما نقول : « فعل » و « قد فعل » و « لقد فعل » ٠ وقد بحثنا ذلك فى حقل الماضى ودحضنا الافتراضات التى كان مؤداها أن للماضى المؤكد دلالة زمنية خاصة به (٢٢٨) ٠

والاستفهام ، شأنه شأن التوكيد ، لا أثر له فى اتجاه الصيغ الزمنى ٠ كما تقول : « أفعل ؟ » « آكان قد فعل ؟ » « أ كان يفعل » « ألم يكن يفعل » « أ سيظل يفعل ؟ » ٠٠٠ الخ ٠

---

(٢٢٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٤٥ فما بعدها ٠
(٢٢٧) ينظر المصدر السابق : ٢٤٥ فما بعدها ٠
(٢٢٨) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ملحق الكتاب / جدول الزمن ٠

باستثناء مركب واحد · تخرج به أداة الاستفهام الصيغة عن زمنها · كما سنعرض لذلك فى خاتمة هذا الفصل ·

ويؤدى بنا ملحظ هذه النقطة ، والملاحظات التى نفرعت منها الى توزيع المستقبل الاستمرارى ، كما يأتى :

المستقبل الاستمرارى	نفيــــــه
ســـــيظل يفعـــــل	لا يظل يفعـــل
ســوف يظل يفعـــل	لن يظل يفعل

كما انه يمكن استعمال مرادفات هذه المواد ك « سيستمر يفعل » و « يبقى يفعل » ·

نفى المستقبل

لن يفعـــــل

لا يفعـــــل

يقدم سيبويه انطباعا أوليا على أن نفى المضارع ب « لن » ونفيـــه ب « لا » متطابقان من حيث دلالتهما الزمنية ، فى نفى حدث المستقبل ، قال: « واذا قال : « هو يفعل » ، ولم يكن الفعل واقعا فان نفيه : « لا يفعل »· واذا قال « سوف يفعل » فان نفيه « لن يفعل » (٢٢٩) غير أن سيبويه بوضعه ثانية « لا يفعل » بازاء « ليفعلن » · « واذا قال « ليفعلن » فنفيه : « لا يفعل » كأنه قال : « والله ليفعلن » فقلت : « والله لا يفعل » (٢٣٠) ، كشف عن الفرق الوظيفى بين « لا » و « لن » · فالحدث فى سياق قسم فى المستقبل يشعر بأنه كالمتحقق أو كالقريب من التحقق · وكـذا نفيه · وهذا ملحظ دقيق سنعرض له فى هذا المبحث ·

وقد عكس الزمخشرى من تحليل سيبويه السابق ، فرق التوكيد ، بأن « لن » لتأكيد ما تعطيه « لا » من نفى المستقبل تقول : « لا أبرح اليوم مكانى » فاذا وكدت وشددت قلت : « لن أبرح اليوم مكانى » (٢٣١) ومن ثم فقد الصق ب « لن » : دلالة التأبيد » (١٣٢) ·

---

(٢٢٩) الكتاب : ٣ : ١١٧ ·
(٢٣٠) الكتاب : ٣ : ١١٧ ·
(٢٣١) المفصل : ٣٠٧ ·
(٢٣٢) مغنى اللبيب : ١ : ٢٨٤ ·

وقد رد ابن هشام على الزمخشرى ، فيما أسنده الى « لن » من دلالات معينة ، محتكما الى النص القرآنى • قال : « ولا تفيد « لن » توكيد النفى خلافا للزمخشرى فى « كشافه » ولا تأبيدا خلافا له فى « انموذجه » وكلاهما دعوى بلا دليل ، قيل ولو كان للتأبيد لم يقيد منفيها ب « اليوم » فى : « فلن أكلم اليوم انسيا » (٢٣٣) •

وتعنى ملاحظة ابن هشام أن النفى ب « لن » يدل على زمن غير محدد فى المستقبل شأنه شأن نفى الماضى ب « لم » • وقد حلل ابن يعيش ملاحظات سيبويه فى النفى ب « لا » و « لن » التى سبقت الاشارة اليها (٢٣٤) تحليلا زمنيا ، اذ جعل ل « لن » وظيفة نفى « المستقبل » : « سوف يفعل : لن يفعل » أما « لا » فوظيفتها نفى « يفعل » اذا أريد به المستقبل » (٢٣٥) وأظن أن ابن يعيش كان يستند الى مفهوم النحاة حول صيغة « يفعل » فى دلالتها المشتركة على زمنى الحاضر والمستقبل فى حين لا يدل المركب « سوف يفعل » ، « سيفعل » الا على المستقبل •

وكأن « لن » أخص بنفى المستقبل من « لا » • وهذه الخصوصية تجعل نفيها واقعا على « التأبيد » ، وطول المدة نحو قوله : « ولن يتمنوه أبدا » (٢٣٦) •

وقد بين الزملكانى فى (البرهان) أن (لن) تجمع بين دلالة التوكيد فى النفى وقرب وقوع حدثها فى المستقبل قال : « لن » آكد فى النفى وإن كان زمانها أقصر » (٢٣٧) •

ونقل السيوطى رأى أبى محمد عبد الواحد فى أن « لن » تنفى ما قرب من الزمان ولا يمتد معها النفى » (٢٣٨) ومن ثم ناقش الزملكانى الاعتراض الذى يوجده الظرف « أبدا » فى سياق « لن » على النحو الآتى : « فان قلت قوله « أبدا » ينفى ما ذكرنه ، قلت : قوله : « قد يأتى لفظ « الأبد » فى الزمن القريب تفخيما لأمره واعطاء له معنى الزمن الطويل كقولك : « زيد يصلى أبدا » (٢٣٩) •

وفى هذا التحليل خلط ، اذ يخرج الزملكانى من ملاحظة النص الى

---

(٢٣٣) مغنى اللبيب : ١ : ٢٨٤ •
(٢٣٤) انظر : الصفحة السابقة •
(٢٣٥) شرح المفصل : ٨ : ١١١ ، ١١٢ •
(٢٣٦) شرح المفصل : ٨ : ١١١ ، ١١٢ •
(٢٣٧) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : ١٩٣ •
(٢٣٨) الأشباه والنظائر : ٢ : ٢٠٦ •
(٢٣٩) البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : ١٩٤ •

ما وراء النص باعتماده مطابقة شكلية مفترضة بين نصين لا تطابق بينهما ففي مثاله : « زيد يصلي أبدا » لا نعنى صيغة « يفعل » : « يصلى » هنا حدثا زمنيا بل هو صلة الاسم فى تركيبه العميق :

ف « زيد يصلي أبدا » = « زيد هو المصلى » أبدا ٠

فى حين يكون الظرف « أبدا » أداة قياس حدث التمنى فى قوله تعالى : « ولن يتمنوه أبدا » (٢٤٠) ٠ ويكون ملحظ الفرق واضحا اذا افترضنا أن « زيدا » في حال صلاة تستمر أبدا ، كما ان الكفار فى حال عدم تمنى الموت أبدا ٠

وعلى أية حال فقد نقل السيوطى رأى ابن عصفور فيما ذهب اليه من قصر زمان « لن » وعلق عليه بقوله : « الذى ذهب اليه باطل بل كل منهما « لن » و « لا » يستعمل حيث يمتد النفى وحيث لا يمتد ، فمن الأول « فان لم تفعلوا ولن تفعلوا » (٢٤١) وفى « لا » « ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى » (٢٤٢) ومن الثانى فى « لن » : « فلن أكلم اليوم أنسيا » (٢٤٣) ٠ وفى « لا » : « أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام » (٢٤٤) ٠

وقد خالف ابن مالك أكثر النحاة فى نفيه تخلص المضارع بـ « لا » النافيه للاستقبال ٠ « لصحة قولك : « جاء زيد لا يتكلم » (٢٤٥) ٠

وتصب ملاحظة ابن مالك هذه ، بصورة ما ، فى رأى سيبويه الذى افتتحنا به هذا المبحث ٠

فحدث « لا » هنا لا يدل على زمن البتة ٠ كما عرضنا لذلك فى بحث الصيغة والحال النحوى (٢٤٦) ٠

ولأن لـ « لن » وظيفة زمنية فقط ، هى الدلالة على المستقبل ، فقد امتنع وقوعها ها هنا ، فلا نقول : « جاء زيد لن يتكلم » ٠

أما الملاحظات المعاصرة فقد تباينت ، غير أنها قدمت تحليلات دقيقة

---

(٢٤٠) البقرة : ٩٥ ٠
(٢٤١) البقرة : ٢٤ ٠
(٢٤٢) طه : ١١٨ ٠
(٢٤٣) مريم : ٢٦ ٠
(٢٤٤) آل عمران : ٤١ ٠
(٢٤٥) مغنى اللبيب : ١ : ٢٤٤ ٠
(٢٤٦) ينظر الفصل الثاني من هذه الرسالة / « امكانات الصيغة » ص ٧٤ ٠

فى هذه النقطة · وقد فرق «برجشتراسر» بين «لا» و «لن» تفريقا زمنيا توضحه توزيعاته الآتية :

أداة النفى	الماضي	الحاضر	المستقبل
لا	ــــ	لا يفعل	لا يفعل
لن	ــــ	ــــــ	لن يفعل (٢٤٧) ·

وهو ــ كما يبدو ــ يصدر عن آراء سيبويه وان أضاف الى « لا » دلالة حدث المضارع معها على « الحاضر » ·

وقد انتهى الأستاذ محمد البقرى فى مؤلفه : « أساليب النفى فى القرآن » الى النتيجة ذاتها :

« التعبير بـ « لا » لأن الخبر يطرد فى الحاضر والمستقبل ، أما « لن » فتتخصص للاستقبال » (٢٤٨) ·

ونخلص من كل ذلك الى : أن « لا » تنطوى على وظيفة زمنية هى نفى الحاضر الملتبس بالمستقبل · أو تدل على نفى غير زمنى · فى حين لا يدل حدث « لن » الا على المستقبل ·

ويقدم لنا الأستاذ البقرى تحليلا تطبيقيا للقيم الخلافيــة بين نفى « لا يفعل » ونفى « لن يفعل » فى قوله تعالى :

« ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من النـــاس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير » (٢٤٩) ·

يقول : « ف : « لا » فى الآية أما أنها تفيد نفى الحاضر ، اذ أن طبعهما ، فى كل مرة ، أنهما كذلك لا تسقيان ريثما يصدر الرعاء ، وأما يقصد بها المستقبل ·

وينتهى الى أن ملحظ النفى هنا يؤدى الى :

(أ) أن حاجتهما الى الماء شديدة بحيث لا تبلغ أن تنفيا بقوة أنهما « لن تسقيا » ففى نفسيهما لو أتيح لهما السقيا لحظة كلامهما قبل غيرها ·

(ب) التعبير القرآنى « لا نسقى » بليغ لصدوره من امرأتين ضعيفتين

---

(٢٤٧) التطور النحوى للعربية : ١١٤ ·

(٢٤٨) أساليب النفى فى القرآن : ٢٢ ·

(٢٤٩) القصص : ٢٢ و ٢٣ ·

أبوهما شيخ كبير ، ففي « لن » من القوة ما ليس في « لا » (٢٥٠) ولدينا على هذا التحليل ملاحظتان :

الأولى : تعترض الصاق دلالة « القوة » بنفي حدث « لن » دون نفي حدث « لا » ف « لن » تدل هنا على أن الحدث سيقع في المستقبل . وابعاد الحدث الى المستقبل مما لا تريده المرأتان واستعمال « لا نسقي » ، والحدث لم يقع بعد ، تقريب لوقوع الحدث .. وكأنهما تريدان أن تسقيا الآن .

الثانية : أن « لا نسقي » مركب يخلو من الدلالة على زمن نحوي ، فهو نفي حدث عام ، أي : هذه حالتنا ، أي : الرعاء أولا ونحن ثانيا . وقد ألمح الأستاذ البقري الى ذلك حين قال : « اذ أن طبعهما في كل مرة أنهما كذلك » (٢٥١) ومن نفي « يفعل » غير الزمني قوله تعالى « **الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم** » (٢٥٢) وقوله « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** » (٢٥٣) فكأن صيغة « يفعل » اذا خلت من الدلالة على زمن أو دلت على زمن حاضر ملتبس بالمستقبل تنفى ب « لا » أما اذا أريد نفي حدث المستقبل « سوف يفعل » فانه ينفي به « لن يفعل » . وهذا هو منتهى ما ترمي اليه اشارة سيبويه التي افتتحت هذا المبحث .

المشترك والمختلف في نفي « يفعل » :

ب « لا » و « ما » :

مر بنا كيف أن سيبويه جعل نفي الحاضر ب « ما يفعل » (٢٥٤) ومر بنا كيف أنه فرق بين « لا » و « لن » اذ جعل الأولى نفيا لصيغة «يفعل» والثانية نفيا لمركب المستقبل «سوف يفعل» ـ «سيفعل» (٢٥٥). وقد فهم النحاة اشارة « ولم يكن الفعل واقعا » (٢٥٦) على أنه نص على دلالة الحدث المنفي ب « لا » على المستقبل . فجاءت ملاحظاتهم وفقا لذلك . فقد أدرج الجرجاني « النفي والزمن » في وجوه الباب وفروقه . قال « وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه ، نحو

---

(٢٥٠) ينظر أساليب النفي في القرآن . ٢٤ . ويلاحظ الهامش من الصفحة نفسها .
(٢٥١) أساليب النفي في القرآن : ٢٤ .
(٢٥٢) البقرة : ٢٥٥ .
(٢٥٣) الأنعام : ١٠٣ .
(٢٥٤) ينظر / ص ٢٨٦ من هذا الفصل .
(٢٥٥) ينظر / ص ٣٠١ من هذا الفصل .
(٢٥٦) الكتاب : ٣ : ١١٧ .

أن يجيء ب « ما » في نفى الحال · و ب « لا » اذا أراد نفى الاستقبال ... » (٢٥٧) ·

وقد عدل قول ك « ما يفول زيد غدا » من القبيح « لأن هذا الموضع « المستقبل » خصت به « لا » » (٢٥٨) ·

وقد نقل ابن هشام الخلاف بين رأى الجمهور وابن مالك فى دلالة « ما النافية + المضارع » · « فعند الجمهور « ما » اذا نفت المضارع تخلص للحـال · ورد عليهم ابن مالك بنحـو : « **قل ما يكون لى أن أبدله** » (٢٥٩) وأجيب ــ أى ابن مالك ــ بأن شرط كونه للحال انتفـاء قرينة خلافه » (٢٦٠) ·

يعكس راى الجمهور صراع القرائن السياقية والأدوات والصيغ فى تعيين حدود الزمن فى اللغة · فكأنهم وجدوا أن سياق الانشاء الطلبى : « قل » قرينة على المستقبل ، وأن كل ما يندرج فيه من صيغ ودلات زمنية ينبغى أن يتجه الى المستقبل · وفى هذا نظر : لأن « قل » صيغة طلب حسب ، ولا نص فيها على زمن معين · وإن نفى « ما يكون » هنا نفى عام ومعناه الانبغـاء · قال الزمخشرى فى قوله تعالى : « ما يكون لى أن أقول ما لبس لى بحق » (٢٦١) : « ما يكون لى » ، « ما ينبغى لى · » (٢٦٢) ·

وخلاصة هذه النقطة أن « ما » و « لا » اذا نفتا المضارع تطابقتا فى نقطة واحدة وافترقتا فى نقطتين :

فتطابقهما فى أنهما تنفيان أحداثا عامة لا نص فيها على زمن ، أو ليس القصد مع مجيئها الاشعار بزمن كقوله تعالى : « ما يكون لى أن ما لبس لى بحق » (٢٦١) : « ما يكون لى » « ما ينبغى لى » (٢٦٢) ·

وافتراقهما : فى أن هذا النفى العـــام هو نفى انبغاء مع « ما » ــ فى الأغلب ــ ونفى أحداث مع « لا » فى الأغلب أيضا (٢٦٤) ·

---

(٢٥٧) دلائل الاعجاز : ٦٧ ·
(٢٥٨) الأصول : ١ : ١٠٧ ·
(٢٥٩) يونس : ١٥ ·
(٢٦٠) مغنى اللبيب : ١ : ٢٩٣ ·
(٢٦١) المائده : ١١٦ ·
(٢٦٢) الكشاف : ١ : ٦٥٥ ·
(٢٦٣) الأنعام : ١٠٣ ·
(٢٦٤) حللنا فى مبحث نفى ما فعل / ينظر ص : ٢٢١ من الفصل السابق / نفى الأحداث بأدوات النفى ، ولاحظنا أن كل أداة نفى أصلية أو محولة تختص بدلالة معينة ، وأن هناك آثارا من التداخل الدلالى بين الأدوات بسبب الاستعمال ·

الثانى : أن منفيهما اذا كان زمنيا دل على الحاضر مع « ما » وعلى الحاضر الملتبس بالمستقبل مع « لا » ويؤيد هذا التحليل أن مضارع مركب الاستمرار « ما زال » هو « لا يزال » وليس « ما يزال » لأن « لا يزال » كما لاحظنا فى الاستعمال القرآنى (٢٦٥) يدل على استمرار الحدث من الماضى حتى الحاضر مع أشارة الى المستقبل ٠

فاذا ألقينا نظرة على التوزيعات التى أجراها الدكتور تمام حسان لتكوين جدول زمنى خاص بالعربية وجدنا المنحى الاعتباطى الذى يسمهـا بالنسبة الى التحليلات التى أجريناها :

الزمن	الجهـــة فعـــل	يفعـــل
الحال	العــادى	ليس يفعــل
الحال	التجددى	ما يفعــل
الحال	الاستمرارى	ما يفعــل
المستقبل	البسيط	لا يفعــل
المستقبل	القريب	لن يفعــل
المسنفبل	البعيد	ما كان ليفعــل (٢٦٦)

الاستفهام والزمن

قلنا (٢٦٧) انه ليس للاستفهام أثر فى اتجاه الصيغ والمركبات الى الزمن كما تقول « أفعل ؟ » « ألم يفعل ؟ » « أيفعل ؟ » « أسيفعل ؟» « آكان فعل ؟ » ٠٠ الخ ونستثنى من ذلك مركب « هل يفعل ؟ » ٠

قال سيبويه « اذا قلت : هل تضرب زيدا ؟ » فلا يكون أن تدعى أن الضرب واقع » وقد تقول : « أتضرب زيدا ؟ » وأنت تدعى أن الضرب واقع » (٢٦٨) ٠

وتابع علماء الدلالة والنحاة هذه الاشارة ، فقال القزوينى : « « هل» تخصص المضارع بالاستقبال ، فلا يصح : « هل تضرب زيدا وهـــو

---

(٢٦٥) ينظر ص ٢٧٠ فما بعدها من هذا الفصل ٠

(٢٦٦) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها / ملحق الكتاب / جدول الزمن ٠

(٢٦٧) ينظر : ص ٣٠١ من هذا الفصل ٠

(٢٦٨) الكتاب : ٣ : ١٦٧ ٠

أخوك ؟ » (٢٦٩) وعرض ابن هشام للفروق بين « هل » و « الهمزة »٠ ومن بينها « تخصيصها (هل) المضارع بالاستقبال نحو : « هل تسافر ؟ » بخلاف « الهمزة » نحو : « أتظنه قائما ؟ » (٢٧٠) ٠ ولم يكتف ابن هشام بهذه الاشارة ، بل نقل رأى ابن سيده فى « شرح الجمل » وهو أنه « لا يكون الفعل المستفهم عنه الا مستقبلا » (٢٧١) لكنه جعل ذلك من قبيل السهو ، وأورد قوله تعالى : « فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ » (٢٧٢) ٠

ان ملمح الزمن المستقبل مع مركب الاستفهام : « هل يفعل ؟ » اذا أريد النص به على زمن ، ملمح واضح فى الاستعمال القرآنى كقوله: « فارجع البصر ٠ هل ترى من فطور ؟ » وقوله « هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ؟ » (٢٧٣) ٠

وقد مثل الهروى فى « الأزهية » ب : « هل تخرجن ؟ » (٢٧٤) ف : المضارع عند النحاة يخلص للاستقبال ٠٠ بنونى التوكيد » (٢٧٥)

---

(٢٦٩) التلخيص : ١٥٧ ٠
(٢٧٠) مغنى اللبيب : ٢ : ٣٥٠ ٠
(٢٧١) مغنى اللبيب : ٢ : ٣٥٠ ٠
(٢٧٢) الاعراف : ٤٤ ٠
(٢٧٣) الزخرف : ٦٦ ٠
(٢٧٤) الازهية : ٢٦١ ٠
(٢٧٥) شرح الكافية : ٢ : ٢٣١ ٠

جداول بزمن اللغة العربية

الزمن	الجهة	الاثبات	النفى	الاستفهام
الماضى	غير المحدد	فعل	لم يفعل ما فعل	
	غير المحدد (المؤكد)	قد فعل لقد فعل		
	غير المحدد (المقاربى)	كاد فعل	لم يكد يفعل ما كاد يفعل	
	البعيد البعيد (المؤكد)	كان فعل كان قد فعل قد كان فعل	ما كان فعل لم يكن فعل	
	مستقبل الماضى (المفترض)	كان سيفعل	ما كان ليفعل	
	الاستمرارى التعودى	ظل يفعل كان يفعل	ما كان يفعل لم يكن يفعل	

جداول بزمن اللغة العربية

الزمن	الجهة	الاثبات	النفى	الاستفهام	الاستفهام عن النفى / نفى الاستفهام
الحاضر	غير المحدد	يفعل	ما يفعل	أ يفعل ؟	أ ما يفعل ؟
	الشروعى	اخذ يفعل	لما يفعل	أ أخذ يفعل ؟	أ لما يفعل ؟
	المقاربى	يكاد يفعل	لا يكاد يفعل	أ يكاد يفعل ؟	ألا يكاد يفعل ؟
	المستمر	يكون يفعل يظل يفعل	لا يكون يفعل	أ يكون يفعل ؟ أ يظل يفعل	ألا يكون يفعل ؟
المستقبل	القريب	سيفعل	لن يفعل	هل يفعل ؟	
	البعيد	سوف يفعل	لن يفعل	أيظل يفعل ؟	
	المستمر	سيظل يفعل سوف يظل يفعل	لن يفعل	هل يفعل	

جداول بزمن اللغة العربية

الزمن	الجهة	الاثبات	النفى	الاستفهام
المشترك	من الماضى حتى الحاضر ويكون الحدث منقطعا أو غير منقطع بحسب السياق	ما زال يفعل	ـ ما فعل مذ ـ لما يفعل	
	من الماضى حتى الحاضر غير المنقطع	لا زال يفعل	ـ ما فعل مذ ـ لما يفعل	

ملاحظات :

١ ـ لا دخل للاستفهام فى موضوع الزمن فى اللغة العربية عدا موضعين : الأول : ويستفهم فيه عن صيغة « يفعل » فى الحاضر بالهمزة ، والثانى : ويستفهم فيه عن صيغة « يفعل » فى المستقبل بـ « هل » .

٢ ـ اخرج هذا الجدول التوكيد والشرط والانشاء والاسم وصيغ فاعل ومفعول والمصدر من خاناته ، فليس من علاقة بينها وبين الزمن .

٣ ـ ما وضع بين قوسين ـ فى خانة الجهة ـ ليس دلالة زمنية فى جهة الحدث . ولكنها أدرجت لشيوع استعمالها وللخلاف الذى عليه المباحث بشأنها .

المصـــادر والمراجـــع :

-- القـــرآن الكريم .

- الآراء الراقية الحديثة فى تفســـير قواعد اللغـــة العربية وبيان أسرارهـــا :

محمـــد كاظم صـــادق الملكى ، مطبعة الآداب ، ط ١ ، النجف ١٩٥٨ م .

- ابن قيم الجوزية ــ جهوده فى الدرس اللغوى : الدكتـــور طاهر سليمان حموده ، الناشر دار الجامعـــات المصرية ، الاسكندرية ١٩٧٦ م .

- أثر النحاة فى البحث البـــلاغى : الدكتور عبد القادر حسين ، دار نهضـــة مصرللطبع والنشر ، مطبعة نهضـــة مصر ، القاهرة ١٩٧٥ م .

-- أدوات الشرط فى اللغـــات السامية : الدكتـــور فاروق جودى/ مخطـــوطة .

- الأزهية فى علم الحروف : على بن محمد الهروى (ت : ٤١٥ هـ) . تح : عبد المعين الملوحى ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٧١ م .

- الأساليب الانشائية فى النحو العربى : عبد السلام محمد هرون . الناشر مكتبة الخانجى ، مطابع الدجـــوى ، ط ٢ ، القـــاهرة ١٩٧٩ م .

-- أساليب النفى فى القـــرآن : أحمد ماهر محمود البقرى ، مطبعة دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ١٩٦٨ م .

-- أسرار العربية : كمال الدين أبو البركات الأنبارى (ت : ٥٧٧ هـ) ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٨٦ م .

- الأشباه والنظائر فى النحو : أبو الفضـــل جلال الدين السيوطى (ت : ٩١١ هـ) تح : طه عبد الرؤوف سعد ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ١٩٧٥ م .

- الأصول فى النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج (ت : ٣١٦ هـ) ، تح : عبد المحسن الفتلى ، مطبعة النعمان ، النجف ١٩٧٣ م ٠
- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة : الدكتور نايف خرما ، من اصدارات المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ١٩٧٨ م ٠
- اعراب القرآن المنسوب الى الزجاج ـ مكى بن أبى طالب (ثلاثة أجزاء فى مجلد واحد) ٠ تح : ابراهيم الأبيارى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ م ٠
- الألسنية العربية : الدكتور ريمون طحان ، دار الكتاب اللبنانى ، ط ١ ، بيروت ١٩٧٢ م ٠
- الانسان ذلك المجهول : تأليف الكسيس كاريل ترجمة عادل شفيق ، نسخة بالأوفست ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ـ بيروت ، ١٩٧٢ م ٠
- الانصاف فى مسائل الخلاف : كمال الدين أبو البركات الأنبارى (ت : ٥٧٧ هـ) ، منشورات المكتبة التجارية بمصر ، مطبعة السعادة ، ط ٤ ، القاهرة ١٩٦١ م ٠
- البحث النحوى عند الأصوليين : الدكتور مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد للنشر ، مطبعة دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٠ م ٠
- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن : كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى (ت : ٦٥١ هـ) ٠ تح : الدكتور أحمد مطلوب ، والدكتورة خديجة الحديثى ، مطبعة العانى ، بغداد ١٩٧٤ م ٠
- بنية الكلمة بين العربية والانجليزية : الدكتور محمد أبو الفتوح شريف والدكتور عبد الرازق أبو زيد ، الناشر مكتبة الشباب ، دار وهدان للطباعة بالقاهرة ، القاهرة ١٩٧٧ م ٠
- تاريخ الشعوب الاسلامية : كارل بروكلمان ٠ ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى ، دار العلم للملايين ، ط ٨ ، بيروت ١٩٧٩ م ٠

- تاريخ اللغات السامية : أ · ولفنسون ، دار القلم ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٠ م ·
- ترجمة معاني القرآن الكريم : مارمادوك بكثـــال ، دار الكتـــاب اللبناني ، الشركة الافريقية للطباعة والنشر · بيروت د · ت ·
- التركيب اللغوى للأدب : الدكتور لطفى عبد البديع ، ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية ، مطبعة السنة المحمدية ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٧٠ م ·
- التطور النحوى للغة العربية : برجشـــتراسر ، عنى بطبعه محمد حمدى البكرى مطبعة السماح ، القاهرة ١٩٢٩ م ·
- التلخيص فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى (ت : ٧٣٩ هـ) : شرح عبد الرحمن البرقوقى ، المكتبة التجارية الكبرى ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٣٢ م ·
- التوطئة : أبو على الشلوبينى (ت : ٦٤٥ هـ) ، دراسة وتحقيـق يوســـف أحمد المطوع ، دار التراث العربى للطبـــاعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٣ م ·
- الجمل : أبو بكر عبد القاهر الجرجانى (ت : ٤٧١ هـ) تحقيـق وتقديم على حيدر ، منشورات دار الحكمة بدمشق ، دمشـــق ١٩٧٢ م ·
- الجنى الدانى فى حروف المعـــانى : حسن بن قاســـم بن عبد الله المرادى (ت : ٧٤٩ هـ) · تح : طه محسن ، طبع مؤسسة دار الكتاب للطباعة ، الموصل / العراق ١٩٧٦ م ·
- حاشية الخضرى : محمد الخضرى (ت : ١٢٨٧ هـ) ، مطبعـــة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، القاهرة ١٩٤٠ م ·
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة د · ت ·
- الحضارات الاسلامية القديمة : موســـكاتى ، ترجمة سيد يعقوب بكر ، دار الكتاب العربى ·
- الخصائص : أبوالفتح عثمان بن جنى (ت : ٣٩٢ هـ) · تح : محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، ط ٢ ، بيروت : د · ت ·

- دراسات في الفلسفة الوجودية : الدكتور عبد الرحمن بدوى ، دار النقافة ط ٣ بيروت ١٩٧٣ م ·
- دراسات في اللغة العربية : الدكتور خليل يحيى تامي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٤ م ·
- الدرس النحوى في بغداد : الدكتور مهدى المخزومى ، منشورات وزارة الاعلام بالعراق ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٥ م ·
- دلائل الاعجاز : أبو بكر عبد القاهـــر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) تح : محمد عبده ومحمد محمود التركزى الشنقيطي ، مطبعه محمد علي صبيح وأولاده ، ط ٦ · القاهرة ١٩٦٠ م ·
- الرد على النحـــاة : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن مضاء ، (ت ٥٩٢ هـ) تح : الدكتور شوقي ضيف ، دار الفكر العربي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٧م·
- رسائل في النحو واللغة (وهي ثلاث رسائل : ١ ـ كتاب نمـام فصيح الكلام لابن فارس ، ٢ ـ كتاب الحدود في النحو للرماني ، ٣ ـ كتاب منازل الحروف للرماني أيضا) حققها وشرحها وعلق عليها الدكتور مصطفى جواد ويوسف يعقوب مسكوني ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام بالعراق ، المؤسسة العـــامة للصـــحافة والطباعة ، بغداد ١٩٦٩ م ·
- رصف المباني في شرح حروف المعاني : أحمد بن عبد النـــور المالقي · تح : أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغـــة العربية بدمشق ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق : ١٩٧٥ م ·
- الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم : الدكتور حســـام الالوسي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ · بيروت ١٩٨٠ م ·
- الزمن في الأدب : هانز ميرهوف ، ترجمة الدكتور أسعد مرزوق ، الناشر مؤسسة سجل العرب ، مطابع سجل العرب ، القاهـــرة ١٩٧٢ م ·
- شذا العرف في فن الصرف : الشــــيخ أحمد الحملاوى ، ملتزم الطبع والنشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط ١٨ ، القاهرة ١٩٧١ م ·

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل (ت : ٧٦٩ هـ) . تح : محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، ط ١١ ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : نور الدين الأشموني (ت : ٩٢٩ هـ) تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، بيروت ١٩٥٥ م .
- شرح شافية ابن الحاجب : رضي الدين بن محمد بن الحسن الاستراباذي (ت : ٦٨٦ هـ) . تح : محمد نور الحسن وآخرين، مطبعة حجازي ، بيروت ١٩٧٥ م .
- شرح شذور الذهب : جمال الدين أبو محمد عبد الله ابن هشام (ت : ٧٦١ هـ) تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، القاهرة : د . ت .
- شرح قطر الندى وبل الصدى : جمال الدين أبي محمد عبد الله ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) . تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية مطبعة السعادة بمصر ، ط ١١ ، القاهرة ١٩٦٣م.
- شرح كافية ابن الحاجب : رضي الدين بن محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦ هـ) ، دار الكتب العلمية : بيروت : د . ت .
- شرح مفصل الزمخشري : أبو البقاء بن يعيش (ت : ٦٤٣ هـ) ، منشورات عالم الكتب ومكتبة المتنبي ، بيروت : د . ت .

الشفاء ـ جزء العبارة ـ الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا (ت ٤٢٨ هـ) الهيئة المصرية للتأليف والنشر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م .

- العربية بين أمسها وحاضرها : الدكتور ابراهيم السامرائي ، منشورات وزارة الثقافة والفنون بالعراق ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٨ م .
- العربية ولهجاتها : الدكتور عبد الرحمن أيوب ، معهد البحوث والدراسات العربية : ١٩٦٨ م .

- علم اللغة العربية : الدكتور محمود فهمي حجازي ، الناشر وكالة المطبوعات بالكويت ، الكويت ١٩٧٣ م ٠
- الفعل زمانه وأبنيته : الدكتور ابراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، بيروت ١٩٨٠ م ٠
- فقه اللغات السامية : كارل بروكلمان ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ، الرياض ١٩٧٧ م ٠
- فقه اللغة وسر العربية : أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت : ٤٣٠ هـ) ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة : د ٠ ت ٠
- في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر : مالك يوسف المطلبي ٠ دار الرشيد للنشر ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨١ م ٠
- في النحو العربي نقد وتوجيه : الدكتور مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٤ م ٠
- قواعد اللغة العبرية : الدكتور عوني عبد الرؤوف ، الهيئة العامة للكتاب والأجهزة العلمية ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٧١ م ٠
- كتاب سيبويه : أبو بشر عمرو بن قنبر (ت : ١٨٠ هـ) تح : عبد السلام محمد هرون ، ج ١ : دار القلم ، القاهرة ١٩٦٦ م ٠

ج ٢ : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م ٠
ج ٣ و ج ٤ : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ - ١٩٧٥ م ٠

- الكشاف (٤ أجزاء) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٣٨ هـ) ، الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت : د ٠ ت ٠
- لسان العرب (١٥ جزءا) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم منظور الأفريقي (ت : ٧١١ هـ) ، دار صادر ، بيروت ١٣٠٠ هـ ٠

- اللغة : ج ٠ فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ١٩٥٠ م ٠
- اللغة العربية المعاصرة : الدكتور محمد كامل حسين ، دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧٦ م ٠
- اللغة العربية معناها ومبناها : الدكتور تمام حسان ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ م ٠
- المباحث اللغوية فى العراق : الدكتور مصطفى جواد ، مطبعة العانى ، ط ٢ ، بغداد ١٩٦٥ م ٠
- مجالس ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت : ٢٩١ هـ) شرح وتحقيق عبد السلام هرون ٠
  ج ١ ، دار المعارف بمصر ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٩ م ٠
  ج ٢ ، دار المعارف بمصر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٦٠ م ٠
- محاضرات فى فقه اللغة ، مخطوطة : بول كراوس ٠
- محاضرات فى اللغة : الدكتور عبد الرحمن أيوب ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٦ م ٠
- مختار الصحاح : محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى (ت : ٦٦٦ هـ) ، الناشر دار الكتاب العربى ، ط ١ ، بيروت ١٩٧٩ م ٠
- المخصص : على بن اسماعيل بن سيده (ت : ٤٥٨ هـ) ، المكتب التجارى للطباعة (أوفست عن المطبعة الكبرى الأميرية بالقاهرة ـ ١٣٢١ هـ) ٠
- المدخل الى دراسة النحو العربى على ضوء اللغات السامية : الدكتور عبد المجيد عابدين ، مطبعة الشبكشى بالأزهر ، القاهرة ١٩٥١ م ٠
- المدخل الى علم اللغة : الدكتور محمود فهمى حجازى ، دار الثقافة للطباعة والنشر مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة ١٩٧٦ م ٠
- المرتجل : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب (ت : ٥٦٧ هـ) ٠ تح : على حيدر ، دمشق ١٩٧٢ م ٠

- مشكل اعراب القـــرآن : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧ هـ) ، دراسة وتحقيق حاتم صالح الضامن ، منشورات وزارة الاعلام بالعراق ، سلسلة كتب التراث ، رقم ٣٨ ، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ١٩٧٥ م ٠
- مشكلة البنية : الدكتور زكريا ابراهيم ، ملتزم الطبع والنشر ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، القاهرة : د ٠ ت ٠
- معـــاني القرآن : (٣ أجزاء) أبو زكريا يحيى بن زياد الفـــراء (ت : ٢٠٧ هـ) ٠ تح : محمد علي النجار ، الدار العربية للتأليف والترجمة ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ١٩٦٦ م ٠
- المعجمات العربية : اعداد وجدى رزق غالى ، الناشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٧١ م ٠
- معجم علم اللغة النظرى : وضع الدكتور محمد على الخولى ، مكتبة لبنان ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٢ م ٠
- معنى اللبيب عن كتب الأعاريب : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن هشام ٠ تح : محمد محيى الدين عبد الحميد ، منشورات دار الكتاب العربى ، بيروت : د ٠ ت ٠
- مفتاح العلوم : (أطروحة دكتوراه) ـ مخطوطة تح : الدكتور أكرم عثمان ٠
- المفصل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى ، منشورات دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، ط ٢ ، بيروت ١٣٢٣ هـ ٠
- المقرب (جزآن فى مجلد واحد) على بن مؤمن بن عصفور (ت : ٦٦٩ هـ) ٠ تح : الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى ، مطبعة العانى ، ط ١ ، بغداد ١٩٧١ م ٠
- من أسرار اللغة : الدكتور ابراهيم أنيس ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٥ ، القاهرة ١٩٧٠ م ٠
- مناهج البحث فى اللغة : الدكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، ط ٢ ، الدار البيضاء ١٩٧٤ م ٠
- مولد اللغة : الشيخ أحمد رضـــا العاملى ، منشورات دار مكتبة الحياة ، مطبعة سيبا ، بيروت ١٩٥٦ م ٠

- النحو العربي والدرس الحديث : الدكتـــور عبده الراجحي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩ م ٠

- نحو الفعل : الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٧٤ م ٠

- نحو القرآن : الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٧٤ م ٠

- النحو الوافي (٤ أجزاء) : عباس حسن ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٤ ـ ١٩٧١ م ٠

- نظرية النحو العربي في ضـــوء مناهج النظر اللغوي الحديث : الدكتور نهاد الموسى ، المؤسسة العربية للدراســـات والنشر ، ط ١ ، بيروت ١٩٨٠ م ٠

- النقد اللغوي عند العرب : الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، منشورات وزارة الثقـــافة والفنون بالعراق ، دار الحرية للطبـاعة ، بغـــداد ١٩٧٨ م ٠

- همع الهوامع : أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١ هـ) ، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت : د ٠ ت ٠

- الواضح في علم العربية : أبو بكر محمـــد بن الحسن الزبيدي (ت : ٣٧٩ هـ) ، تح : أمين علي السيد ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٧٥ م ٠

- الوجيز في فقه اللغة : محمد الانطاكي ، منشورات دار الشروق ، ط ٣ ، بيروت : د ٠ ت ٠

المجـلات :

- مجلة الأستاذ ، كلية التربية ، بغـــداد ، المجـــلد الثالث عشر ١٩٦٦ م ٠

- مجلة دراسات ، كليـــة التربية ، جامعة الرياض ، عـــدد ١ ، ١٩٧٧ م ٠

- مجلة الفكر العربي المعاصر ، العددان الثامن عشر والتاسع عشر (في مجلد واحد) ، بيروت : شباط ، آذار ١٩٦٦ م ٠

- مجلة كلية الشريعة ، بغداد ، العدد : ٦ : ١٩٥٨ م .
- مجلة اللسان العربى ، المجلد : ٨ «ج١» ، عدد يناير (كانون الثانى) المغرب ١٩٧١ م .
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ــ العدد : ١٠ : ١٩٥٨ م .
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ــ العدد : ١٣ : ١٩٦١ م .
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ــ العدد : ١٤ : ١٩٦٢ م .

المراجــع الأجنبيــة :

1. Brighter Grammer, Book 3 by C. E. ECKESIEY and MARGARET MOCAULAY Twelfth impression, London, 1965.
2. Course in General Linguistics by Ferdinand de Saussure. U.S.A., 1966.
3. Description and contrastive Analysis of Tense and Time in English and Arabic by DBDUR-RASUL AL-KHAFAJI (manuscript) vol. 2, University of Glasgo. U.K., 1972.

فهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٧٤/١٩٨٦

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٠٩٠٧ ـ x

ABSTRACT

This thesis proposs to give a comprehensive study to the theoretical bases of conception of Time and Tense in the Arabic Language, and to present a scheme for Arabic Tense. Accordingly, this thesis is divided into two main parts : The first deals with the theorical side of the study and he second contains types of Tense in practice.

The first chapter deals with morphological time, the second exposes the potentialities of Tenses in Arabic the third deals with the syntactic Time, the fourth descusses Times in the stative and effective sentences, the fifth deals with Time and grammar, the sikth deals with the symantic time, and the seventh with adverbial Time.

The second part contains two chapters the first tackles the field of the past tense while the second handles tenses concerning the fields of time in the present, future and overlapping time.

The main results of this study are .

1. The identification of the conception of linguistic time.
2. The dismissal of morphological time from Arabic.
3. The identification of the function of time adverbial in Arabic.
4. Exposing the frequency of complex tense-construction particularly in conditional sentences.
5. Presenting a table of Tenses in Arabic.

Malik e. Al-Mutalibi
Malik Y. Al-Muttalibi
College of Arts,
University of Baghdad

TIME IN LANGUAGE

A THESIS

SUBMITTED TO THE DEPARTMENT OF
ARABIC, COLLEGE OF ARTS OF THE UNIVERSITY
OF BAGHDAD IN PARTIAL FULFILLMENT OF
THE REQUIREMENTS FOR THE DEGREE
OF DOCTOR OF PHILOSOPHY

By

MALIK YOUSIF AL-MUTTALIBI

January 1984

PH, D